بسم الله الرحمن الرحيم

(الورقة 257 و)

كتاب النفس والروح وشرح قواهما

(فى علم الاخلاق)

(للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى رح)

القسم الأول : فى مرتبة الإنسـان من مـراتب الموجودات ـ فى تقرير ذلك فى مراتب الأرواح البشرية ـ فى البحث عن ماهية النفس ـ فى الدلائل المستفادة من الكتب الإلهية ـ فى أن المتعلق بجـوهر النفس هو القلب بدليل النقل والعقل ـ فى شـرح قـوى النفس ـ فى بحث يتعلق بالعبارات والألفاظ ـ [فى نسـبة] هـذه القـوى إلى جوهر النفس ـ فى النفس الناطقة هل هى متحدة بـالنوع أو بـالجنس ـ فى بيـان أن اللـذات العقلية أشـرف من الحسية ـ

القسم الثانى : فى علاج النفس ـ وفيه فصول.

[فى فضـل] المـال ـ [فى كيـف] يتوسل بالمـال إلى نيل السعادة ـ [فى ذم] الحرص والبخل ـ فى الجاه ـ فى الرياء والسمعة.

(الورقة 257 ظ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتعالى كبريـاؤه (1 عن منازعة الأشـكال والأضداد ، المقدس جلاله عن معارضة (2 الأمثال والأنداد ، المــنزه فردانيته ووحدانيته عن الصــاحبة (3 والأولاد ، المــبرإ [1] وجــوده عن طبيعة القــوة [2] والاســتعداد (4 ، سامك المسموكات العاليات بلا أعماد ولا إعتماد ، وباسط الارضين المدحيات بلا اسناد ولا استناد ، الّذي تحيرت فى بيـداء كنه ازليته خـواطر ذوى الارتيـاد ، وتـاهت فى نـور هوية ألوهيته أفكــار طلاب الســداد ، وانظــار أصــحاب الرشاد ، فسافرت فى غيب الغيب وازل الآزال وأبد الآباد (5 ، فلم ترجع إلا لمجـرد الإقـرار بأنه فـرد لا كـالأفراد ، واحد لا كالآحاد ، إن قلت : متى كان؟ فقد كـان ولا زمـان (6 يشــار إليه قبل الايجــاد ، وإن قلت : «فيم»؟ فقد جل عن الحلـول والنقلة والاعتمـاد ، فهو الله لا إله الا هو ، له الحمد فى الأولى والآخرة حمدا من غير انقطاع وإنفاد.

احمده حمدا صادرا عن صفاء الاعتقاد ، واشكره على ما أفــاض علينا من إيــاد (7 [3] وأشــهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة مبرأة عن الكذب والعناد ، مهياة لأن يتوسل بها إلى حصول النجاة فى يوم المعاد ، واشهد ان محمدا عبده ورسـوله أرسـله إلى كافة العبـاد ، وجعله أفصح من نطق بالضــاد ، وصــلوات الله عليه وعلى آله على تعاقب الأيام والشهور والاعياد ، وسلم تسليما كثيرا.

---

(1) فى المخطوطة : المبرى وجود وجوده الخ
(2) أيضا : القوى
(3) أيضا : الإياد هو ما أيد به الشى

اما بعد : فهـذا كتـاب فى علم الاخلاق (8 ، مـرتب على المنهج البرهـانى اليقيـنى لا على الطريق الخطـابى الإقنـاعى ، نسـأل الله ان يجعله سـببا للنفع العظيم فى الدارين والسعادة فى المنزلين ، إنه خير موفق ومعين ، وهذا الكتاب مرتب على أقسام :

القسم الاول

فى الأصول الكلية لهذا العلم ، وفيه فصول :

الفصل الاول

فى شرح مرتبة الإنسان من مراتب الموجودات (1 :

اعلم أنه يمكن وصف الموجـــود بوجـــوه كثـــيرة ، وبحسب كل واحد منها يظهر مرتبة الإنسـان من مـراتب الموجودات.

التقسيم الأول : أن يقـال : المخلوقـات على أربعة أقسام :

الأول : الّـذي له عقل (2 وحكمة (3 ، وليس له طبيعة (4 ولا شهوة (5 ، وهم الملائكة (6 ، ومن صفتهم «أنهم لا يعصـون الله ما أمـــرهم ، ويخـــافون ربهم من فوقهم ، ويفعلون ما يؤمرون» (7.

الثـانى : الّـذي ليس له عقل ولا حكمة ، وله طبيعة وشهوة (8 ، وهو سائر الحيوانات سوى الإنسان.

الثالث : الّـذي ليس له عقل ولا حكمة ولا طبيعة ولا شهوة ، وهى الجمادات والنبات ،

ولما دخلت هــذه الأقســام فى الوجــود لم يبق من الأقسام سوى القسم الرابع.

الرابع : وهو الّـذي يكـون له عقل وحكمة ويكـون له طبيعة وشهوة وذلك هو الإنسان.

ولما ثبت فى المعـــارف الحكمية أن واجب الوجـــود عـام الفيض على كل الممكنـات ، اقتضى عمـوم [فيضـه] إدخال هـذا القسم فى الوجـود فلهـذا قـال تعـالى : (**إِنِّي جاعِــلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَــةً**) (9. لئلا يبقى شـــيء من أقســام الممكنــات [مجــردا] (الورقة 258 و) عن تــاثير إيجاده ونعمة إبداعه.

ولما أوحى الله تعـالى إلى الملائكة : «إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قــالوا أتجعل فيها من يفسد فيهــا» الآية (9 ، ومعناه إذا جمعت بين الشـهوة والغضب وبين العقل صار مشتعلا فى الهيبة قضـاء الشـهوة وإمضـاء الغضب ــ وذلك يوجب وقوع الفسـاد من الشـهوة ، وقوله (**يَسْـفِكُ الدِّماءَ**) من استعمال الغضب فعند ذلك أوحى الله تعـالى إليهم :

(**إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ**) (9.

وهـــــذا الكلام ، والله أعلم ، يحتمل وجوها من المعنى :

أحدها أن الملائكة عقول مجردة ، وأنوار صرفة ، فلا جرم لا يصدر منهم إلا التسبيح والتحميد والتقديس (10 ، وذلك هو القسم الأول من أقسام المخلوقات الموجودات (11 ، أعـنى الّـذي يكـون له عقل وحكمة بلا طبيعة ولا غضب ، والمقتضى لإدخـــال القسم الأول فى الوجـــود لا لإدخـــال النفع من تقديســـهم وتســـبيحهم ، بل المقتضى لذلك عمـوم الجـود ، وهـذا المعنى قـائم فى حق القسم الرابع فى الوجود.

وثانيها أن هـــذا القسم وإن اشـــتمل على الفســـاد بسبب الشهوة ، وعلى سفك الدماء بسبب الغضب ، لكنه يكون مشتملا أيضا على التسبيح

والتحميد [1] بسـبب ما فيه من العقل ، ويكـون اشـتغالهم بهذا [2] الخير أكثر من اشتغالهم وإقدامهم على ذلك الشر ، وتـرك الخـير الكثـير لأجل الشر القليل شر كثـير (12 ، فلأجل هذا وجب فى الحكمة إيجاد هذا القسم.

وثالثها أن الملائكة القدسـيـة والمعـارف الإلهية حاصلة للملائكة لكن الشـوق إلى الحق غـير حاصل لهم ، ومقام الشوق مقام شـريف ، فـوجب فى الحكمة إدخـال الطبيعة البشرية فى الوجود تحصيلا لهذا المقام.

وبيـان أن الشـوق (13 غـير حاصل للملائكة ، إن الشوق لا يتصور إلا إلى شـيء صـار مـدركا من وجه غـير مـدرك من سـائر الوجـوه ، فـإن الّـذي ما أدركه الإنسـان بوجه من الوجوه لم يشتق إليه ، وأما الّـذي أدركه بكماله وتمامه فإنه لا يشـتاق إليه ، لأن الشـوق طلب ، وطلب الحاصل محال.

غير أن الشوق إلى المحبوب يقع على وجهين :

أحـدهما أنه إذا راه ثم غـاب عنه بقى فى خياله آية تلك الصـورة المحبوبة ، فاشـتاق الـروح أن ينقل الأثر من عالم الخيال إلى عالم الحس.

وثانيهما أن يـرى وجه محبوبه أى ذاته ، لكنه ما رأى باقى محاسنه فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره.

إذا عرفت هذا ، فنقول : أما الوجه الأول من الشـوق فذلك إنما يمكن فى حق من يدرك شـيئا ، ثم يغيب عنه ، وهذا فى حق الملائكة

---

(1) فى المخطوطة : التوحيد
(2) أيضا : لهذا

غــير اصل ، لأن معــارفهم دائمة حاضــرة بريئة عن طبيعة القــــوة والاســـتعداد ، فلا يتبــــدل عرفــــانهم بالغفلة ولا حضــورهم بالغيبة وهــذا هو المــراد من قوله ســبحانه : «يســبحون الليل والنهــار لا يفــترون» (14. ومن قوله عليهالســـلام : «إنه من الملائكة قــــائمون لا يركعـــون وراكعون لا يسجدون ، ،. فامتنع أن يحصل لهم شــوق من القسم الاول ، فــإن حصل فــذاك إنما يكــون من القسم الثانى.

وأما البشر فهـــذان القســـمان يمكن وقوعهما فى حقهم بالنسبة إلى المعارف الإلهية ، بل هما لا زمـان لكل العارفين ضرورة.

أما القسم الأول فلأن الّــذي يظهر للعـــارفين من الأمــــور الإلهية ، وإن كـــان فى غاية الوضـــوح والجلاء والإشراق ، إلا أنه يكون مشــوبا بشــوائب التخيلات ، فــإن الخيالات [لا تقر فى] هذا العالم ولا تخلو [1] عن المحاكات والتمـــثيلات (الورقة 258 ظ) وهى مكـــدرات لإشـــراق المعارف ولهـذا قـال عليهالسـلام (15 : «إنه ليغـان على قلبى وإنى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة» ــ وتمــام التخيل لا يحصل إلا فى الآخــرة ، وحيث تــزول الخيــالات وتبطل التمـثيلات ، فهـذا هو النـوع الأول من الشـوق إلى الله تعالى.

وأما القسم الثانى ، فاعلم أن الشوق الّـذي يكـون من هذا القسم غـير متنـاه [2] ، ولو أن العـارف خلق فى أول حــدوث العــالم إلى الآن ، وســار بأســرع ســير فى درجات المعارف الإلهية ، بل طار حول عرش الجلال أشد الطــيران ، وبقى على هــذه الحالة إلى آخر أوقــات أهل الجنة

(1) فى المخطوطة : لا تخلوا
(2) أيضا : غير متناهى

وأهل النــار ، لكــان الحاصل من طيرانه وســيره متناهيا ، ولكان الّذي بقي خارج وصـوله غـير متنـاه [1] ، وإذا كـان كــذلك ، ظهر أن القسم الأول من الشــوق إلى الله ربما زال فى الآخـرة ، وأما القسم الثـانى فإنه البتة لا يـزول ، بل كلما كان السير أشد والتوغل أكثر كان الشــوق أعظم والظمأ أكمل وأعظم.

فـإن قـال قائل : الحق فـرد مطلق مـنزه عن جميع أنحاء التركيبات ، والفرد إن عـرف عـرف بتمامه وإلا فلم يعرف ، فكيف يعقل فى حقه ما ذكرتم؟

قلنا : إنا نضرب لتحقيق كلامنا مثالا واحدا حتى يقاس عليه الباقى.

فنقول : هذا العالم الجسـماني الّـذي هو الآن موجـود مـركب من الأجـزاء الـتى لا تتجـزأ عند طائفة عظيمة من العقلاء فلو قـــدرنا أنه تعـــالى خلق بحسب كل جـــزء ولا يتجزأ من هذا العالم ألف ألف عـالم مثل هـذا العـالم ، ثم قدرنا أن تلك العوالم امتـدت حـتى صـارت فى الرقة إلى الغاية الـتى لا تبقى منها ثخانة ، بل يصـير الكل كالسـطح الّذي ليس له ثخن عند من يثبت الجـزء الّـذي لا يتجـزأ ثم قـــدرنا أنه كتب كـــاتب تلك الورقة العظيمة من نقـــوش رقــوم الهندسة وأخــذنا بحسب تلك الرقــوم فى مــراتب الســـنين ، فالعقل يعلم أنه لا ســـبيل للعقل إلى ضـــبط مقادير هذه السنين ولا إلى ضبط القليل منها (16.

ثم إنا نعلم إذا قايســـنا من هـــذه المـــدر المتطاولة بالنسـبة إلى معـنى الأزل (17 كـانت تضـاهيه ، لأنها وإن طالت وعظمت وخرجت عن ضبط العقول

(1) فى المخطوطة : غير متناهى

والأوهام إلا أنها متناهية ، وحقيقة الأزلية غـير متناهية ، ولا نسبة للمتناهى إلى غير المتناهى بوجه من الوجوه ، وعند هذا تعرف شمة من قولنا : أن العقول قاصـرة عن اكتنـاه جلال الله تعــالى ، إذا عــرفت مثل هــذا فى بقــاء الله ســبحانه فــاعرف مثله فى معلوماته وفى مقدوراته وفى آثار حكمته.

فيثبت بما ذكرنا أن الشوق إلى الله تعالى مقام عـال شريف المرتبة ، فهو أن كل ما كان لذيذا إذا بقى واستمر لم يبق لذيذا حال بقائه ، وكذا [1] إن كان مولما ، بل اللذة والألم لا يحصــلان إلا عند الانتقــال من أحد الجــانبين إلى الجانب الآخر (18 ، والله أعلم.

ولنضــرب لهــذا مثــالا ، وهو أن أحــوال الخلق بالنســـبة إلى الأغذية اللطيفة اللذيـــذة على ثلاثة أقسام :

الأول : حـال الملـوك المتنعمين المتوسـعين فى كل الأشــياء اللذيــذة الطيبة ، فــإنهم لما واظبــوا على أكلها اعتادوها ، فلا جرم لا يلتذون بها كغيرهم.

وأما القسم الثــانى : الــذين ما أكلــوا إلا الأطعمة الخشـــنة البشـــعة ، ولم يتفق لهم البتة تنـــاول الأطعمة الطيبة ولا الأشربة ولا الملابس وغيرها.

وأما القسم الثالث : الـذين فى أكـثر الأمر يـأكلون الأطعمة الخشـــــنة البشـــــعة [2] وقد يتفق لهم فى بعض الأوقــات تنــاول الأطعمة اللذيــذة الطيبة فهــؤلاء (الورقة 259 و) لما ذاقوا الطيبات ثم لم يجدوها اشتاقوا إليها ،

---

(1) المخطوطة : كذى
(2) أيضا : الشبعة

فإذا وجدوها اشتاقوا والتذوا بها التذاذا عظيما.

إذا عرفت هذا فنقول : الملائكة المقربون وإن كـانت درجــاتهم عالية فى العرفــان ، إلا أنهم آمنــون فى تلك الـــدرجات عن التغـــيرات فهم كـــالملوك المتنعمين المواظــبين على أكل الطيبــات ، فالملائكة وإن كـــانوا مواظبين على الاغتذاء بنـور جلال الله والإغبـار من نسـيم روح الله إلا أنهم لم يبق لهم فـــترة فى هـــذه الحالة ولا انتقال من هذه الدرجة.

وأما الحيوانــات العجم فحـالهم بالنسـبة إلى هـذه اللــذات كحــال الفقــراء المواظــبين على الفقر والضر والبؤس والمسكنة ، ولم يبق لهم انتقال من هذه الأحوال الموذية إلى أحــوال طبيعية ، فلا جــرم لا يتــألمون بتلك الأحوال التى هم عليها.

وأما الإنســان (19 فتـارة يصـير غرقا فى ظلمـات علل الأجسام ، وتارة يتخلص منها إلى أنوار عالم القــدس وسبحات سرادقات الجلال ، وينتقل تـارة من الشـدة إلى الرخاء ، واخرى من الياس إلى الرجـاء ، فـإذا انتقلـوا من الظلمة إلى النـــور ومن الحجـــاب إلى الوصـــول عظم التذاذهم بـذلك ويحصل لهم من اللـذات والسـعادات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (20.

وهاهنا دقيقة أخـــرى ، وهى أن فى حق البشر إذا حصل الحضور بعد الغيبة كان ذلك الالتذاذ فى غاية القــوة ، ثم إذا حصــلت الغيبة بعد [1] الحضـور مع علم العقل [ما فى الحضور والمشاهدة من السعادة (21] كان ذلك الألم فى غاية القوة ، فإذا تعاقبت هاتان الحالتان حصلت هنـاك آلام ولــذات مختلفة مشــبهة بالدغدغة الروحانية ، وهــذا النوع من السعادة

(1) المخطوطة : بغير

والبهجة (كـــان) حاصلا للإنســـان وغـــير حاصل للملائكة المقربين ، ولا لسـائر الحيوانـات أصلا ، فلا يبعد أن يكـون هو المــراد من قوله : (**أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ**) ، ذلك الوجه الرابع.

فى بيـان الحكمة فى تخليق القسم الرابع ــ وهو الإنسان.

فنقـــول : إنه [1] بتخليق الملائكة ظهر من القـــدرة ، وذلك لأن كمـال قـوتهم يـدل على كمـال قـدرة خـالقهم ، وكمال عصمتهم يدل على ذلك أيضا.

أما تخليق البشر فإنه يـــدل على كمـــال الجـــود والرحمة ، أما كمـال الجـود فلأنه لا مناسـبة بين الـتراب وبين جلال رب الأربـــاب ـــ ثم أن الحق برحمته التامة وجوده الكامل جعل التراب صـفة الـذرة الحاملة للأضـواء الإلهية والأنوار الصمدية.

وأما كمال الرحمة فلأنه مع أنه مركب من الشـهوة والغضب والأخلاق الذميمة أو دع قلبه نـور العرفـان وعلى لســـــانه ذكر التوحيد ، وجعل عينيه طريقا لرؤية دلائله وأذنيه محلا لســـماع كلامه ـــ فالملائكة [2] بهم ظهر من القدرة والحكمة ، والبشر بهم ظهر الجود والرحمة.

التقسيم الثانى : أن نقول : الموجـود إما أن يكـون موجودا لا أول له ولا أخر له ، وهو الخالق تعـالى وتقـدس ، أو موجــودا له أول وله آخر وهو الــدنيا ، أو موجــودا له أول ولا آخر له ، وهو الأرواح البشرية والدار الآخرة ، وأما الرابع وهو الّـــذي لا أول له وله آخر ، فهـــذا ممتنع فى الوجود لأن ما ثبت قدمه امتنع عدمه.

---

(1) المخطوطة : ان
(2) أيضا : بالملائكة

وإذا ثبت هذا ظهر من المشابهة بين الأرواح البشـرية وبين الدار الآخرة أكثر ما بينها وبين الدنيا. وظهر أن العبد (كان) كفؤا للآخرة لا كفـؤا للـدنيا ، والكفـاءة معتـبرة فى الارواح فيجب أن تكـــون رغبة الإنســـان فى الســـعادات (الورقة 259 ظ) الروحانية الأخروية أكـــثر من رغبته فى السعادات العاجلة.

التقسيم الثالث المخلوقات على ثلاثة أقسام (22 :

إما كاملة لا يتطرق النقصان إليها وهم أصحاب العالم العلــوى ، أجســادهم الســماوات وقلــوبهم الكـــواكب ، وأرواحهم الملائكة المقربون الطاهرون المطهرون.

وإما ناقصة ولا يتطـرق إليها الكمـال وهى الحيوانـات سيما الجن والشياطين والنبات والمعادن ،

والقسم الثـالث وهم الـذين يكونـون تـارة كـاملين وتـارة ناقصـين ، فـإن صـاروا فى حد الكمـال كـانوا مع الملائكة المقربين معتكفين على عتبات عزة الله تعـالى ، مواظبين على ذكر جلال الله متفكرين فى معارج آلاء الله ، متـــوكلين على فيض فضل الله ، مســـتغرقين فى محبة الله تعــالى ، وتــارة يــنزلون إلى أفق البهــائم ومقــامى الشـهوة والغضـب. أما فى مقـام الشـهوة فتـارة يكونـون كخـــنزير اجيع ثم أرسل على النجاســـات يأكلها ، وتـــارة كالـذباب الّـذي كلما ذب مـال إلى القـاذورات ، وأما فى مقـام الغضب فتـارة كـالكلب العقـور ، وأخـرى كالجمل الصـئول ، وثالثا كالنـار المحرقة والسـيول المغرقة ، فهو مع أنه شخص واحد يصدق عليه انه ملك نورانى وشيطان ظلمانى ، وخـنزير حـريص ، وحمـار صـبور ، وكلب نـابح ، وثعلب رواغ ،

حيث لا شك أن شخصا واحـــدا يظهر منه هـــذه الآثـــار المتناقضة والاحوال المتباينة مما يـدل على قـدرة قـاهرة وحكمة غير متناهية.

واعلم أن الانسان (23 الموصوف بهذه الصفات بعث إلى هذه الدار ليكون مسافرا. قال أمـير المؤمـنين على : (24 النــاس على ســفر والــدنيا دار ممر ، لا دار مقر ، وبطن أمه مبـدأ سـفره ، وزمـان حياته مقـدار مسـافته ، وســـنوه منازله ، وشـــهوره فراســـخه واميا له ، وأيامه وأنفاسه خطأه ، والآخرة مقصده يسـار به سـير السـفينة براكبها ، وقد دعى إلى دار الســلام كما قـــال تعـــالى : (**وَاللهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّـلامِ**) (25. ثم إن دار السـلام أشـرف البقـاع ، قـال تعـالى : (**جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ**) (26.

الفصل الثانى

فى تقرير ما سلف بطريق آخر أقرب إلى التحقيق

اعلم أن الموجـــودات بحسب القســـمة العقلية على أربعة أقسام ، لأنها :

1 ـ إما أن يؤثر ولا يتأثر البتة بوجه من الوجوه ،

2 ـ وإما أن يتأثر ولا يؤثر بوجه من الوجوه ،

3 ـ وإما أن يؤثر ويتأثر معا ،

4 ـ وإما أن لا يؤثر ولا يتأثر البتة ،

فهذه أقسام أربعة لا مزيد عليها.

أما القسم الأول وهو الّـذي يـؤثر ولا يتـأثر البتة ، فهو الحق سـبحانه وتعـالى لأنه واجب الوجـود لذاته ولحقيقة هويته (1 ، وكلما

كان واجبا لذاته كان واجب الوجود من جميع اعتباراته لأن ذاته المخصوصة إن كفت ذلك الإيجـــاب وذلك الســـلب ، دام ذلك الإيجاب وذلك السـلب لـدوام ذاته ، وإن لم تكف فحينئذ يتوقف حصــول ذلك الســلب وذلك الإيجــاب على اعتبـــار حـــال الغـــير ، وتتوقف هويته على حصـــول ذلك الإيجـاب أو ذلك الســلب ، والمتوقف على المتوقف على الغــير متوقف على الغــير ، فحقيقته الموصــوفة متوقفة على ذلك الغــير الخــارج ، والمتوقف على الغــير ممكن لذاته ، والممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجــاد الــواجب لذاته ، وللإيجاد تاثير فهو من حيث أنه مسـتقل بذاته لا يقبل الأثر (الورقة 260 و) عن غيره ، كان قائما بنفسه ، ومن حيث أنه يؤثر فى كل ما سواه ويوجد كل ما يغـايره فإنه مقـوم لغـيره ، والقـائم بذاته المقـوم لغـيره يكـون فى أعلى [1] درجات القيـام بالـذات ، واسم ما يكـون بهـذه الصـفة هو صـفة القيـوم (2 ، لأنه مبالغة من القيـام ، فثبت أنه لما كان الحق سبحانه مؤثرا لا يتأثر كان قيوما محضا ، فلهـذا السر اتفق المحققــون على أنه أعظم آية فى كتــاب الله تعالى هو قوله : (**اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**) (3.

وأما القسم الثانى وهو الموجود الّـذي يتـأثر ولا يـؤثر فهو الهيــولى ، فقد صح عنــدنا أن هيــولى هــذا العــالم الجســمانى هو الأجـزاء الـتى لا تتجـزى [2] ، وعند غيرنا هيـولى الأجسـام موجـود ليس بمتحـير ، وصـورتها [3] هى التحيز والحجمية.

---

(1) المخطوطة : اعلا
(2) أيضا : لا تتجزى
(3) أيضا : صورتهما

إذا عـرفت هـذا ، فنقـول : تلك الأجـزاء من حيث هى هى ليست حارة ولا بـاردة ولا رطبة ولا يابسة ولا مجتمعة ولا مفترقة ، بل هى قابلة لهذه الصفات ولهذه الأحوال.

وتلك الأجزاء تسمى عند بعضهم الهيئات ، وليس فيها إلا مجـرد القبـول والطاعة والانقيـاد ، ولما كـان الوجـود بإعطـاء الجـود لا يصح إلا من الموجـود ، وكـان القبـول والتـأثر لا يحصل إلا عند حصـول العـدم ، لا جـرم قيل فى الكتاب الإلهي : (**اللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ**) (4.

إذا عرفت هذا ، فنقول : إن الوجود أشرف من العدم ، ولهذا السبب كـان أشـرف الموجـودات المـؤثر الّـذي لا يتأثر ، وهو الله سبحانه وتعالى ، وأخسها المتـأثر الّـذي لا يؤثر وهو الهيولى.

وأما القسم الثالث : وهو الّذي يؤثر ويتـأثر معا فهو عـــالم الأرواح والنفـــوس ، وذلك لأنه لما ثبت أن واجب الوجود ليس إلا الواحد ثبت أنه كل ما سوى الواحد ممكن لذاته ، وكلما كـــان ممكنا لذاته ، فإنه لا يوجد إلا بإيجـــاد غيره ، وذلك الشــيء فقد قبل الأثر من ذلك الغـير. فثبت أن الأرواح قابلة للأثر من الغير ، وأما انها مــؤثرة ، فمنهم من قال لا مؤثر إلا الواحد ، وذلك لأن الممكنات مشـتركة فى معنى الإمكان ، ومعـنى الإمكـان محـوج إلى المـؤثر ، فأما ان يحوج إلى مؤثر معين فى نفسه أو إلى مؤثر غــير معين فى نفسه ، والثــانى محــال ، لأن ما لا يكــون معينا فى نفسه لم يكن موجــــودا فى نفسه ، وما لا يكــــون موجودا فى نفسه استحال ان يكون معطيا للوجود لغــيره ، ولما بطل هذا (فلا بد من أن يثبت) الأول ، وهو أن

الإمكـان محـوج إلى شـيء معين فى نفسه ، وكل ممكن فهو محتاج إلى ذلك المعين فلا مؤثر الا الواحد.

ثم إن هؤلاء قالوا : الأرواح مغـيرات لا أنها مـؤثرات ، وقال آخرون الأرواح مؤثرة فى عالم الاجسـام مـدبرة لها متصــرفة فيها ، ونصــروا هــذا القــول بوجــوه فلســفية وشــيدوها برمــوز نبوية ، فإنه تعــالى قــال : فى صــفة الملائكة : (**فَالْمُقَسِّـماتِ أَمْـراً**) وقـال : (**فَالْمُـدَبِّراتِ أَمْراً**) (5).

إذا ثبت هذا ظهر على كلى القـولين أن عـالم الأرواح متوسط بين العالم الالهى والعالم الجسـمانى متوسـطا لا بــالحيز والجهة بل بالشــرف والرتبة ، فهى من حيث أنها مؤثرة فى الجسـمانيات (مـا) كـانت أدون منهـا. فلا جـرم كانت هذه الدرجة متوسطة بين الدرجتين الاوليين.

إذا عرفت هذا فنقول : إن الروحانيـات (6 مـراتب ودرجـات فأعلاها مرتبة وأجلها درجة الـذين (الورقة 260 ظ) يكونـون مسـتغرقين فى نـور جلال الربوبية اسـتغراقا تاما بحيث لا يتفرغـون مع ذلك الاسـتغراق لتـدبير العـالم الجســـمانى ، فطعــــامهم التوحيد ، وشـــــرابهم التفريد والتمجيد ، استغرقوا فى أنوار جلاله ولم يتفرغـوا للشـيء ســـوى الله وهـــؤلاء هم الملائكة المقربـــون ، وقد عـــبر الكتــاب الالهى عن هــذه المرتبة بقوله : (**وَمَنْ عِنْـدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ**) الآية (7.

ثم إن لهـــذا القسم من الروحانيـــات درجـــات فى العرفان لا نهاية لها ، ولا يعرفها إلا الله ، لأنا بينا أن أنــوار جلال الله لا نهاية لها ، فكـــذلك درجـــات العـــارفين فى العرفان أيضا لا نهاية لها.

ثم أنه لما كان لا صفة لهذا القسم من الروحانيات إلا الاســـــتغراق فى المعـــــارف الإلهية وتعقل تلك الجلالات الصمدية ، لا جرم سمى الحكماء الإلهيون لهذا القسم من الأرواح بـالعقول المحضة ، لأنها وإن كـانت جـواهر قائمة بأنفسـها ، إلا أنها لكـثرة تعـدادها وشـدة معارفها صـاروا كأنهم عين تلك التعقلات ، ونفس تلك الإدراكات.

فـإن قـال قائل : فعلى ما تقولونه انتم؟ لم يبق لهـذا القسم من الروحانيات إلا قبول الوجود عن الحق ، وقبول القدسية عن أضواء للوائح لجلال الحق ، وكل ذلك انفعال وتاثير ، فأين الأثر والفعل؟

قلنا : إنها وإن كـــانت مســـتغرقة فى تلك التعقلات الإلهية للأضـــواء الصـــمدية ، إلا أنه لا يبعد أن تفيض عنها آثارها إلى عالم الأرواح أو على الأجـرام الفلكية ، فيضـان النور عن الشمس والحياة عن الروح ، وبهـذا التقـدير أنها تكـــون فعالة لا يبعد أن تكـــون مرتبة من مـــراتب تلك النفوس المشرقة ، اذا كـانت أدني حـالا من غيرها ، فإنها تقبل تلك الأضواء عن ذلك الغير الّـذي هو أكمل منها [1] ، كما أن الشمس والقمر ، وإن كانا فى العـالم الجسـمانى جوهرين علويين شريفين [2] ، إلا أن القمر لما كان أضعف حالا من الشمس لا جرم صار يقبل النور عنها ، ثم أنه بعد قبـول ذلك النـور عن الشـمس يصـير فياضا على العـالم الأرضى السـفلى ، ولا يبعد ان يكـون حـال الروحانيـات هكذا.

وأما الدرجة الثانية من عـالم الأرواح والنفـوس فهم الذين التفتوا

---

(1) المخطوطة : منه
(2) أيضا : سريعين

إلى تدبير عالم الاجسام ، وما توغلوا فى الاستغراق فى الحنين إلى الصمدية ، بحيث يذهلهم ذلك عن الالتفات إلى أفق الأسفل الجسمانى ، وإن هذا القسم أيضا متفاوت [1] فى الشرف ، فكل من كان تعقله لجسم أشرف وأقوى كان هو فى نفسه أعلى وأبهى.

ولما كان أعظم الموجودات فى الأفق الجسمانى هو العرش (8 كان أقوى الأرواح المتعلقة بتدبير الأجسام هو الروح المتصرف فى كرة العرش ، ولا يبعد أن يكون هو المسمى بالروح الأعظم (9 ، ولا يبعد أن يكون له قوى وفروع تلبث فى جنبات تلك الكرة ، وأن يكون لتلك الفروع فروع أخرى ، والإشارة إلى تلك الفروع فى قوله : (**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ**) (10. والإشارة إلى فروع الفروع بقوله : (**وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**) (11.

ثم يليه فى الدرجة الروح المتصرف فى الكرسى ، كما قال : (**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ**) (12.

ثم تليه الأرواح [2] المدبرة بكرة زحل ، ثم بسائر كرات السموات وأجرام الكواكب على اختلاف درجاتها ومراتبها ، حتى ينتهى إلى الأرواح [3] المدبرة لكرة القمر ثم لكرة الهواء ثم الماء والبحار والأرض وجبالها ، وكل ما ذكرناه على وفق كلام صاحب الشرع ، فإنه كان (الورقة 261 و) يقول : «جاءنى ملك البحار» (13 ،

---

(1) المخطوطة : متفاوتون
(2) أيضا : الروح
(3) أيضا : الروح

فقـال كـذا وكـذا [1] ، وملك الجبـال وملك الرعد وخـازن الجنة وخازن النار ، فهذا الّذي ذكرناه وشرحناه كما تقــرر بالبرهان فقد تأكد بالوحى والقرآن.

واعلم أنك قد عـــرفت أن القسم الاول من اقســـام الروحانيات أشرف من القسم الثانى [2] ولا يبعد أن تسـيح (14 من القسم الأول أنـــوار علوية شـــريفة على القسم الثـانى فيقـوى على تـدبير هـذه الأجسـام بواسـطة تلك الأنوار التى ساحت عليها من القسم الاول.

واعلم أنك بهذا الطريق الّذي بيناه يظهر لك أن عـالم النفوس والأرواح ابتدأت بالأشـرف والأشـرف منحطا إلى الأدون فـالأدون ، حـتى بلغت أجـزاء المـراتب إلى الأرواح الأرضية وهى بالنسبة إلى الأرواح العامة كنسـبة الأجسـاد الى الأجســاد ، ثم إن الأرواح الأرضــية هما بينها تتفــاوت تفاوتا شــديدا فى الشــرف والــدناءة ، فأعلاها وأشــرفها الأرواح البشــــرية وتليها الأرواح البهيمية وتليها القـــــوى النباتية ، وهى أيضا من جنس الارواح ، وهى آخر مـــراتب عالم الأرواح ، فهـذا هو الكلام فى مـراتب القسم الثـالث وهو الموجود الّذي يؤثر ويتأثر معا.

وإنما القسم الرابع وهو الموجـود الّـذي لا يـؤثر ولا يتأثر البتة ، فهذا ممتنع الوجـود فى العقـول ، لأنا لما دللنا على أن ما سـوى الواحد الأحد الحق ممكن الوجـود لذاته واجب لغــيره لــزم أن كل ما ســوى ذلك الواحد أنه قبل الأثر عنه ، ووجد به ، فيكون عنه ، فكان هذا

---

(1) المخطوطة : كذى وكذى

(2) أيضا : من قسم الثانى

القسم ممتنعا.

ومن النــاس من يقــول : الفضــاء الّــذي لا نهاية له ، والمــدة الــتى لا نهاية لها من هــذا القسم ، وفيه اســرار دقيقة غامضة [1] لا يليق ذكرها فى هذا الموضع.

الفصل الثالث

فى بيان مراتب الأرواح البشرية

اعلم أن الكلام فى تلخيص هذا المطلوب لا يتهذب إلا بتقـــديم مقدمة ، وهى أنا نعلم بالبداهة [2] انا نحب شـــيئا ونكــره شــيئا. فنقــول : إما أن يكــون هاهنا شــيء يكــون محبوبا لذاته ، وشيء مكروها لذاته. وإما أن يقــال أن كل شيء فإنما يكون محبوبا لاشتماله على شــيء اخــر. وإنما يكــون مكروها لاشــتماله على شــيء آخر ، وهــذا القسم الثــانى باطل لا فضــائه إما الى التسلسل (1 ، وإما إلى الدور (2 ، وهما باطلان.

وهب أنا ســلمنا صــحة التسلسل والــدور ، إلا انه [3] على هــذا التقــدير لا يكــون فى تلك السلســلة المــادة ، والدائرة شيء يكون محبوبا فى نفسه ، فعلى هذا القــول ، فإن كل شيء فانما يكون محبوبا لأجل اشــتماله [4] على شيء آخر. فوجب القول بأنه ليس هاهنا محبــوب البتة ولا مكروه البتة ، لكنا قد بينا ان العلم البديهى حاصل

---

(1) المخطوطة : غميضه
(2) أيضا : بالبديهة
(3) أيضا : أن
(4) أيضا : لاشتماله ، على هامش المخطوطة : لاجل اشتماله

بأن هاهنا محبوبا ومكروها. هذا خلف ، فثبت ان هاهنا من هو محبوب لذاته ، وشيء هو مكروه لذاته.

ثم أنا لما بحثنا وتأملنا لم نجد شيئا يمكن أن يقال إنه محبوب لذاته سوى اللذة والكمـال. وفى الحقيقة لا فـرق بينهما ، لأن يكون لذيذا يكـون سـببا لحصـول كمـال حـال الملتذ ، وما يكون كمالا يكـون لذيـذا ، إلا أنا سـمينا اللذيذ الجسمانى باللذة واللذيذ الروحانى [1] بالكمال.

وأيضا المكـــروه بالــذات هو الألم والنقصـــان ، وفى الحقيقة لا فــرق بينهما على ما تقــدم تقريــره فالكمــال محبــوب لذاته بذاته ، من حيث انه كمـــالى ، والنقصـــان مكروه بذاته لذاته من حيث انه نقصان.

ومما يقـــرر هـــذه (الورقة 261 ظ) المقدمة بعد ما سبق البرهان القاهر وجوه :

الأول ان النـاقص اذا وصف بصـفات المـدح فـرح به وان كـــان يعـــرف ان القائل كـــاذب ، والكامل اذا وصف بصفات الذم حزن ، وان كان يعلم كـذب القائل ، وما ذاك الا لأن تصـور حصـول الكمـال لذاته لذيذ ، وتصـور خيـال النقصان مكروه لذاته.

الثانى إنك متى سمعت فى اخبار رستم واسفنديار (3 شــدة شــجاعتهما واســتيلائهما على الاقــران دخل فى قلبك حب شديد لهما ، ولهـذا السـبب صـار القـاص يجمع العوم بأمثال هذه الحكايات ستخرجون الأموال منهم بهذه الطرق ، وذلك يدل على ان الكمال محبوب لذاته.

الثالث انا اذا حاولنا صـنعة التجـارة طلبنا من انفسـنا انا لم اقدمنا

---

(1) المخطوطة والروحانى.

على تعب هــذه الحرفة ، قلنا انما اتخــذنا لطلب المــال ، فاذا قلنا : ولم طلبنا المال؟ قلنا : لنقـدر به على تحصـيل اللـذات ، فـاذا قلنا : لم طلبنا اللـذات؟ (قلنـا) : بل قضى عقلنا أن اللـــذة مطلوبة بـــذاتها ، فكـــذا [1] أيضا الكمـــال مطلوب لذاته.

واذا تقررت هذه المقدمة فنقول : الكمال إما ان يعز فى الذات او فى الصفات. اما الكمـال فى الـذات فهو ان يكون واجبا لذاته من حيث غـير قابل للعـدم والفنـاء بوجه البتة إلا ان تحصيل هذا الكمـال محـال لأن الشـيء إما ان يكون واجبا لذاته أو لا يكـون ، فـان كـان واجبا لذاته كـان الوجوب للذات [2] حاصـلا. والحاصل لا يمكن تحصـيله وإن لم يكن واجبا لذاته ، امتنع ان ينقلب واجبا لذاته ، وما يمتنع وجوده لا يكون مطلوبا.

فثبت أن الكمــال الحاصل بســبب الوجــوب الــذاتى ممتنع ان يكــــون مطلوبا ، بل الممكن لذاته لا يصـــــير موجودا الا بسبب غـيره ، وكلما كـان موجـودا لغـيره كـان واجب الوجود عند وجود ذلك الغير ، فيكون ذلك الغـير هو الّـذي به يتم وجـوب وجـوده. ولما كـان وجـوب الوجـود محبوبا بالذات ، فما يكون سببا لـذلك الوجـود يكـون أيضا محبوبا ، فلهـذا المعـنى كل ما كـان سـببا لوجـود الشـيء ولبقائه على افضل احواله الفاضـلة كـان محبوبا بالـذات ، وكل ما كان سـببا لعـدم الشـيء فى نفسه ولعـدم أحواله الفاضلة كان مكروها بالذات.

---

(1) المخطوطة : فكذى
(2) أيضا : الذات

ولما كـان الحق سـبحانه وتعـالى واجب الوجـود لذاته كان محبا لذاته ومحبوبا لذاته.

ولما كان من لوازم ذاته فيضان الممكنـات عنه ، وقد بينا أن لــوازم المحبــوب محبوبة ، كـانت أفعاله محبوبة ، فلهـذا السـبب قـال : (**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـهُ**) (4. لما سـمع بعض مشايخ الصوفية هذه الآية قـال : إنه وإن أحبهم فهو بالحقيقة ما أحب إلا نفسه (5.

واما الكمــال فى الصــفات فلما تاملنا لم نجد من هذا الجنس شيئا سـوى العلم والقـدرة ، فـالعلم لما كـان كمالا لذاته كان محبوبا لذاته.

إذا عرفت هذا فنقول : الأرواح البشـرية ، لما عـرفت انه لا سبيل لها إلى تحصـيل الوجـوب بالـذات طمعت فى تحصيل الوجوب بالغير ، فلا جرم كل ما كـان سـببا لحيـاة الإنسان ولبقائه كان محبوبا له بالذات. وكل ما كـان سـببا لموته ولفنائه كان مكروها له بالذات.

وأما الكلام بالعلم والقـدرة (الورقة 262 و) ، فقد عــــرفت ، ان الارواح البشــــرية لها انها قابلة ، ولها انها فاعلة ، فإذا تـوجهت إلى العـالم الإلهي كـانت قابلة ، وإذا توجهت إلى العالم الهيولانى الجسمانى كانت فاعلة.

فأما كونها قابلة من العالم الإلهي ، فتارة تكـون قابلة للوجــود ، وتــارة تكــون قابلة للجلايا القدســية والصــور الروحانية ، وهى العلوم.

وأما كونها فاعلة فى العالم الهيـولانى ، فـذاك لكونها متصرفة فى هذا العــالم بــالتركيب والتحليل على مقتضى الإرادة. ولما كان لا نهاية لمراتب العلم والقـدرة فـذلك لا نهاية لمراتب حب الإنسان بهذين الأمرين ،

ولا نهاية للخـوض على تحصـيل هـذين المطلـوبين ، لكنه يمتنع أن يحصل للإنسـان علـوم لا نهاية لها وقـدرة على مقدورات لا نهاية لها. بل العلوم الحاصلة للأرواح البشرية وإن كـــثرت فهى متناهية ، والقـــدرة على الموجـــودات الهيولانية وإن كـــــثرت فهى متناهية ، لا جـــــرم لا تنتهى النفس الإنسـانية فى العلم والقـدرة إلى درجة إلا وكـان الحاصل منها أمـورا [1] غـير متناهية ، لا جـرم امتنع خلو جوهر النفس عن الحرص والطلب ، فحرص الإنسان على طلب المـــال ليس إلا انه يريد تحصـــيل القـــدرة على الجمـادات ، وحرصه على طلب الجـاه ، ليس إلا انه يريد تحصيل القـدرة على أرواح العقلاء ، وحرصه على منازعة الأشـكال ، ومصـارعة الأبطـال ليس إلا انه يريد أن يكـون قادرا ويكره أن يكـون [2] مقـدورا [3] ، كل ذلك راجع إلى أصل القدرة التى هى صفة الكمال.

ولو أن الإنسـان صـار نافذ الحكم على بلـدة واحـدة دعته نفسه إلى أن يصـــــير نافذ الحكم فى الإقليم ، ولو وجد ذلك دعته نفسه إلى أن يصــــــــير نافذ الحكم فى الأقاليم والبحار والجبـال ، بل ربما دعته نفسه إلى التعلق بأجرام الأفلاك والكواكب ، بل قد لا يقصد ذلك لعلة تتعذر هذه القدرة عليه ، فامتناع الإنسان عن هذا الطلب يكـون لقيام المانع لا لعدم المقتضى.

---

(1) المخطوطة : امور
(2) أيضا : تكون
(3) أيضا : مقدورات

ثم هاهنا دقيقة أخرى ، وهى أن الإنسـان قبل وجـدان لـذة القـدرة والمملكة لا يكـون عظيم الرغبة فى تحصـيل هذه الحالة ، فإذا ذاقها والفها ازداد تشـوقه إلى تحصـيلها ورغبته فى الوصـــول إليها والازديـــاد منها ، لأن مثاله فى هذا الحب مثال الذوق ، مثاله من سمع اسم امرأة جميلة فعشـقها بمجـرد سـماع الاسم وما رآها ، ثم إذا ذاق لـذة النفاذ والمملكة كان أحب امـرأة على أنه رءاها وارتضـاها والتذ بمخالطتها ، فأما تلك المخالطة مما تقـــوى العشق فى جـــوهر الـــروح ويزيد العاشق حرصا على المخالطة ، فكـذلك هاهنا كلما كـان وصـوله إلى المـراتب العالية فى الدولة والمملكة أكثر كان حرصه على الازدياد منها أقــوى وأكمل ، فثبت بما ذكرنا انه لا نهاية لحـرص الإنسـان على طلب العلم وعلى طلب القــدرة ، وثبت ان جملة العــالم الجسـمانى [1] متناهية ، فلو قـدرنا إنسـانا واحـدا اسـتولى عليه بكليته لكان الحاصل عنده مملكة متناهية.

وقد بينا أنه يطلب قـــــدرة غـــــير متناهية ، فثبت أن الإنســـان الواحد لو قـــدر على كل العــالم الجســـمانى لم يســكن عن طلب الازديــاد ، ولو حصل عند الإنســان علم بجميع ما دخل فى الوجـود لكـان حرصه على طلب العلم باقيا ، لما بينـــاه ان الحاصل عنـــده من مـــراتب القـــدرة والعلم (مقدور متناه) [2] ويكون الغائب عنه مقدورا [3] غير

(1) المخطوطة : الجسمانية
(2) أيضا : بياض طويل ، وعلى الهامش : «متفاوتا متناهيا»
(3) أيضا : مقدور

[متنــاه] (الورقة 262 ظ) فلهــذا الســبب قــال صــاحب الشــريعة صلىاللهعليهوســلم : «منهومــان لا يشــبعان طالب علم وطالب دنيا» (16.

إذا عــرفت هــذا فنقــول : أما تحصــيل القــدرة على التصــرف فى الأفق الأســفل [1] وهو العــالم الجســمانى ، فهو وإن كان كمالا إلا انه يلزمه أمر محــذور [2] ، وهو أن قـــدرة النفس على التصـــرف فى العـــالم الجســـمانى مشـــروط ببقـــاء تعلق النفس بالجسد ، ثم هـــذا التعلق منقطع ، وعند انقطاعه تـــزول تلك القـــدرة بـــزوال المعشوق بعد طول الإلف به زوالا لا يســكنه [3] تحصــيله ، يـــوجب البلاء العظيم والشـــوق المعلق المهلك ، فلأجل الحذر عن الوقوع فى هـذا المحـذور صـار هـذا المطلـوب مرغوبا عنه.

وأما اشتغال النفس بطلب كمــال العلم فهو لــذة فى الحال وســعادة فى الاســتقبال ، وذلك لأن تصــرف النفس فى العالم الجسمانى مشروط بتعلق النفس بالبدن.

أما قبول النفس للجلايا القدسية (7 والمعارف الإلهية ، فغير موقوف على تعلق النفس بالبــدن ، بل هــذا التعلق كالعـــائق عن حصـــول كمالها ، فـــإذا انقطع هـــذا التعلق اشـــــرقت تلك الجلايا الالهية ، فثبت بما ذكرنا أن التوجه إلى الافق الأعلى لطـــالب قبـــول الجلايا الالهية يـــوجب الكمال فى الحال والاستقبال.

(1) المخطوطة : الاعلى ، وعلى الهامش : «لعله الاسفل»
(2) أيضا : محدود
(3) أيضا : لا يمكنه

وأما التوجه إلى الافق الأسفل لأجل حصول الاسـتيلاء على العـالم الجسـمانى ، فهو وإن كـان يـوجب لـذة فى الحـال ، إلا أنه يـوجب الألم العظيم بعد المـوت ، فلهـذا السـبب أطبق العقلاء على أنه يجب على كل العقلاء أن يشـتغلوا بتوجه الـروح إلى العـالم الأعلى ولصـرفها عن العالم الأسفل ، فإن المتوجهين إلى عالم القـدس وجـدوا بقاء بلا فناء وعزا بلا ذل ولذة بلا ألم وأمنا بلا خوف.

إذا عـرفت هـذا ظهر ان النفـوس (8 على ثلاثة أقسام [1] **:**

فأعلاها درجة المتـوجهين إلى العـالم الالهى المستغرقين [2] فى تلك الأنوار الصمدية والمعارف الالهية ، وهم المسمون فى القرآن تـارة بالسـابقين حيث قـال : (**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولئِكَ الْمُقَرَّبُـونَ**) (9 وتـارة بالمقربين حيث قـال : (**فَأَمَّا إِنْ كـانَ مِنَ الْمُقَـرَّبِينَ**) (10.

والدرجة الوسطى هى النفوس التى لها التفات إلى العالمين ، فتارة تترقى إلى العـالم الأعلى بالعبودية والخضوع ، وتارة تنزل إلى العالم الأسفل بسـبب التـدبير والتصرف ، وهم أصحاب الميمنة والمقتصدون.

والدرجة الثالثة هم المتوجهـون إلى العـالم الأسـفل ، المتوغلـون فى طلب لذاته ، وهم أصـحاب الشمال والظالمون.

فالعلم الهـادى إلى طريق المقـربين هو علم الرياضة الروحانية ، والعلم الهـادى إلى طريق أصـحاب اليمين هو علم الأخلاق.

---

(1) المخطوطة : اقسام ثلاثة.
(2) أيضا : المستغرقون

الفصل الرابع

فى البحث عن ماهية جوهر النفس

اعلم أن الّذي يشير إليه كل أحد بقوله : «أنا جئت» ، يقول : «أنا انصرف» و «أنا سمعت» و «أنا فهمت» و «أنا فعلت» شيء غير هذه البنية (1 الظاهرة المحسوسة ، ويدل عليه المعقول والمنقول.

أما المعقول فمن وجوه : الأول أن نقول النفس واحدة ، ومتى كانت واحدة وجب أن تكون مغايرة لهذا البدن ولكل واحد من أجزائه.

أما المقدمة الأولى ، وهو قولنا : إن النفس واحدة فنحن هاهنا بين مقامين ، تارة ندعى العلم البديهى ، وتارة نقيم البرهان على صحة هذا المقام.

أما الأول وهو ادعاء البديهية ، فنقول : المراد من النفس ما إليه يشير كل أحد إلى ذاته المخصوصة بقوله (الورقة 263 و) : «أنا» ، وكل أحد يعلم بالضرورة ، إذا أشار إلى ذاته المخصوصة بقوله : «أنا» فإن ذلك المشار إليه واحد غير متعدد.

فإن قيل لم لا يجوز أن يكون ذلك الشيء المشار إليه واحدا ، إلا أنه مركب من أشياء كثيرة : قلنا : إنه لا حاجة بنا فى هذا المقام إلى إبطال هذا السؤال ، بل نقول المشار إليه بقوله : «أنا» ، معلوم بالضرورة انه شيء واحد ، فأما ان ذلك الواحد ، هل هو واحد مركب من أشياء كثيرة ، أم هو واحد فى نفسه وذاته وحده وحقيقته مما لا

حاجة إليه فى هذا المقام البتة.

وأما المقام الثانى وهو مقام الاستدلال والّــذي يدل على توجه النفس وجوه :

الأول إن الغضب عند بقائه يحـــدث عند محاولة دفع المنافى ، وطلب الملائم مشروط بالشعور بكـون الشـيء ملائما ومنافيا.

فالقوة الغضبية التى هى قـوة دافعة للمنـافى [1] على سبيل الاختيار والقصد ، لأن القصد إلى الجذب تـارة وإلى الـدفع أخـرى ، مشـروط بالشـعور بالشـيء ، فالشـيء المحكوم عليه بكونه دافعا للمنافى على سبيل الاختيـار لا بد وأن يكــون من وجه له شــعور وبكونه منافيا ، والّــذي يغضب لا بد وأن يكون هو بعينه مدركا ، والّـذي يشـتهى لا بد وأن يكون بعينه مدركا. فثبت بهـذا البرهـان أن الادراك والغضب والشهوة صفات ثلاثة لذات واحدة لا أنها صـفات متباينة فى محال مختلفة

الحجة الثانية أنا إذا فرضنا جوهرين مستقلين يكـون كل واحد منهما يســتقل بفعله الخــاص ، امتنع أن يكــون اشتغال أحدهما بفعله الخاص به مانعا للآخر من الاشتغال بفعله الخاص به.

وإذا ثبت هـذا ، فنقـول : لو كـان محل الفكر جـوهرا ومحل الغضب جـوهرا ثانيا ومحل الشـهوة جـوهرا ثالثا [2] وجب أن لا يكــون اشــتغال القــوة الغضــبية بفعلها مانعا للقوة الشـهوانية من الاشـتغال بفعلها ولا بـالعكس ، لكن التالى باطل ، فإن اشتغال الإنسان بالشهوة والصبابة

---

(1) المخطوطة : للمبانى
(2) أيضا : ثانيا

إليها يمنعه من الاشــــــتغال بالغضب والانصــــــباب إليه وبــالعكس ، فعلمنا أن هــذه الأمــور الثلاثة ليست مبــادئ مســتقلة بل هى صــفات مختلفة لجــوهر واحد ، فلا جــرم كان اشتغال ذلك الجــوهر بأحد هــذه الأفعــال مانعا له عن الاشتغال بالفعل الأخر.

الحجة الثالثة أنا إذا ادركنا شــيئا فقد يكــون الإدراك سببا لحصول الشهوة ، وقد يصير سببا لحصــول الغضب ، فلو كــان الجــوهر المــدرك مغــايرا للــذى يغضب والّــذي يشتهى ، فحين أدرك صاحب الإدراك لم يكن ولا خــبر عند صــاحب الشــهوة ولا عند صــاحب الغضب ، فــوجب أن لا يــترتب [1] على هــذا الإدراك إلا حصــول الشــهوة ، وهو حصول الغضب وحيث حصل هذا الترتيب علمنا أن صاحب الإدراك بعينه هو صـــاحب الشـــهوة ، وهو أيضا صـــاحب الغضب.

الحجة الرابعة : حقيقة الحيوان أنه جسم دون نفس ، حساسة متحركة بــالإرادة ، فــالنفس لا تمكن أن تتحــرك بــالإرادة إلا عند حصــول الــداعى ، ولا معــنى للــداعى إلا الشعور بخير يرغب فى تحصيله ، أو شر يــرغب فى دفعه ، فهــذا يقتضي أن يكــون المتحــرك [2] بــالإرادة هو بعينه حاسا بالخير والشر والمؤذى والمضر.

فثبت بما ذكرنا أن النفس الإنســـانية شـــيء واحد ، وثبت أن تلك النفس هى المبصــرة والســامعة والشــامة والذائقة واللامسة ، وهى الموصوفة بعينها بالتخيل والفكر (الورقة 263 ظ) والتذكر وتدبير البدن واصلاحه.

---

(1) المخطوطة : لا ترتب
(2) أيضا : المحرك

إذا عــرفت هــذا فلننتقل إلى إثبــات المقدمة الثانية وهى أنه لما كان الأمر كذلك لم يكن النفس هذا البدن ولا شيئا من أجزائه.

أما أن النفس يجب أن لا يكون جملة هذا البــدن فلأنا علمنا بالضرورة أن القوة الباصـرة غـير سـارية فى جملة أجزاء البدن ، وكذا [1] القوة السـامعة والذائقة والشـامة ، وكذا [2] القول فى القوة الفكرية والذكرية والمتخيلة وكذا [3] القول فى الشـهوة والغضـب. والعلم بـأن هـذه القـوى غير سارية فى جميع أجـزاء البـدن ، علم بـديهى اولى بل هو من أقوى البديهيات واجلها واجلاها.

وأما أن النفس يجب أن لا يكون عبارة عن شيء من أجـزاء هـذا البـدن ، فالـدليل عليه أنا نعلم بالضـرورة أنه ليس فى البدن جزأ واحدا هو بعينه موصـوف بالأبصـار ولا بالسماع وبالذوق وبـالفكر وبالـذكر ، بل الّـذي يتنـادى فى أول الأمر إلى الخاطر أن الابصار مخصوصة بالعين وكـذا [4] القول فى سائر الإدراكات وسائر الأفعال.

وإما أن يقــال أنه حصل فى البــدن جــزء واحد ، ذلك الجــزء هو مخصــوص بكل هــذه الادراكــات ، وكل هــذه الأفعال. فـالعلم الضـرورى حاصل بأنه معـدوم ، فثبت أن النفس الإنســانية شــيء واحد موصــوف بهـذه الإدراكـات وبجملة هــذه الأفعــال ، فثبت بالبداهة [5] أن جملة البــدن ليس كذلك ، وشـيء من أجـزاء البـدن أيضا ليس كـذلك ، فحينئذ يحصل اليقين ان النفس شـيء مغـاير لهـذا البـدن ولكل [6] واحد من أجزائه ،

---

(1) المخطوطة : كذى
(2) المخطوطة : كذى
(3) المخطوطة : كذى
(4) المخطوطة : كذى
(6) المخطوطة : كذى
(5) أيضا : بالبديهة

وهو المطلوب.

ولنقرر هذا البرهان بعبـارة أخـرى ، فنقـول : إنا نعلم بالضرورة أنا إذا أبصرنا شيئا عرفناه وإذا عرفناه اشتهيناه أو كرهناه ، فإذا إشتهيناه حركنا أبداننا إلى القـرب منه فلا بد من القطع بـــأن المبصر لـــذلك الشـــيء والعـــارف به والمشتهى له والمحرك إلى التقرب منه واحد ، إذ لو كان المبصر شيئا والعارف شيئا ثانيا [1] ، والمشتهي شيئا ثالثا والمحرك رابعا [2] لكان الّذي ابصر لم يعرف والّذي عـرف لم يشته ، والّذي اشتهى لم يحرك ، لكن من المعلــوم أن ابصــار شــيء لا يقتضي كــون شــيء عالما (و) لا يقتضي كون شيء أخر شبيها له.

وأيضا فإنا نعلم بالضرورة أن الرائى للمرئيـات «أنـا» وإنى لما رأيتها عرفتها ولما عرفتها فقد اشــــــتهيتها ولما اشــتهيتها طلبتها ، وحــركت الأعضــاء إلى القــرب منها ، ونعلم أيضا بالضــرورة ان الموصــوف بهــذه الروية وبهــذا العلم وبهذه [3] الشهوة وبهذا التحريك شيء واحد لا أشياء كثيرة.

فـــالعقلاء قـــالوا الحيـــوان لا بد وأن يكـــون حساسا متحركا بـــالإرادة ، وذلك لأنه إن لم يحس بشــيء البتة لم يشـعر بكونه ملائما وبكونه منـافرا ، وإذا لم يشـعر بـذلك امتنع كونه مريدا للجذب أو للدفع ، فثبت أن الشيء الّذي يكون متحركا [4] بالإرادة فإنه بعينه يجب أن يكون حساسا ، وثبت ان المـــدرك بجميع الإدراكـــات والمباشر لتحريك جميع الأعضاء شيء

(1) المخطوطة : وبكل
(2) أيضا : تابعا
(3) أيضا : وبهذا
(4) أيضا : محركا

واحد فى الإنســان ، لأنا إذا تكلمنا فقد عقلنا أولا معــنى ، ثم أردنا أن نعرف غيرنا ذلك المعـنى ثانيا ، ثم انا باختيارنا أدخلنا تلك الحروف والأصوات ثالثا لنعرف غيرنا بواســطة (الورقة 264 و) تلك الحــروف والأصــوات تلك المعــانى التى عرفنا.

إذا ثبت هذا فنقول : إن كـان محل العلم والإدراك هو بعينه محل تلك الحروف والأصوات لزم أن يقـال أن محل العلـوم والإدراكـات هو الحنجـرة واللهـاة واللسـان. ومن العلوم بالضرورة أن الأمر ليس كذلك

وإن قلنا : إن محل العلــوم والإدراكـــات هو القلب ، ومحل الحــروف والأصــوات أيضا هو القلب ، فــذاك أيضا معلوم البطلان بالضرورة.

وإن قلنا : إن محل الكلام هو الحنجـــــرة واللهــــــاة واللسان ، ومحل العلوم والإدراكـات هو القلب والـدماغ ، ومحل القوة هو الأعصاب والأوتار والعضلات كنا قد فرعنا هذه الأمور على الأعضاء المختلفة ، لكنا أبطلنا ذلك.

وقد بينا أن المدرك لكل المدركات بتلك [1] الإدراكات والمحرك لجميع الأعضاء بكل التحريكـات بحيث أن تكـون شيئا واحدا ، فلم يبق إلا أن يقال محل الإدراك فى البــدن شيء سوى هذه الأعضاء ، وأن هذه الأعضاء جارية مجرى آلات وأدوات له ، فكما أن النجـــار يفعل أفعـــالا مختلفة بواســـطة آلات مختلفة ، فكـــذلك النفس تبصر بـــالعين وتســمع بــالأذن وتتفكر بالــدماغ وتفعل بــالقلب ، فهــذه الأعضاء آلات للنفس و

(1) المخطوطة : تلك

ادوات لها ، وذات النفس جــوهر مغــاير لها مفــارق عنها بالذات متعلق بها تعلق التصرف والتدبير.

وهذه الحجة برهان قاهر فى إثبات هذا المطلوب.

الحجة الثانية : لو كــان الإنســان عبــارة عن هــذا الجسد لكــان إما أن يقــوم بكل واحد من الأجــزاء حيــاة وعلم وقــــدرة وإرادة له بمجمــــوع الاجــــزاء (أو لا) ، والقسمان بــاطلان ، فبطل القــول بكــون الإنســان عبــارة عن هذا الجسد.

أما بطلان القسم الأول فلأنه يقتضي أن يكــــون كل واحد من أجــزاء هــذا البــدن حيا عالما مريــدا قــادرا على سبيل الاســتقلال ، فــوجب أن لا يكــون الإنســان [1] الواحد حيا واحدا قادرا وأحــدا ، بل أحيــاء ، علمــاء ، قــادرين [2] ، وحينئذ لا يبقى بين الإنسان الواحد وبين أشــخاص كثــيرين من الناس ربط بعضهم ببعض بسلســلة واحــدة. لكنا نعلم بالضــرورة فســاد هــذا القــول لأنى أجد ذاتي ذاتا واحــدة وحيوانا واحدا لا حيوانات كثيرين لأن بتقــدير أن يكــون كل واحد من أجــزاء هــذا الجسد حيوانا على حــدة ، فحينئذ لا يكون لكل واحد منها خبر عن حال صاحبه. فيجوز أن يريد هذا الجزء أن يتحرك إلى هــذا الجــانب ويريد الجــزء الآخر أن يتحرك إلى جانب آخر ، فحينئذ يقع التــدافع بين أجــزاء البدن الواحد كما يقع بين الشخصين ، وفساد ذلك معلــوم بالضرورة.

---

(1) المخطوطة : للانسان

(2) أيضا : قادرون

وأما بطلان القسم الثـانى فإنه يقتضي قيـام الصـفة الواحدة بالمحل الكثير ، وذلك معلوم البطلان بالضرورة ، ولأنه لو جـاز حلـول الصـفة الواحـدة دفعة واحـدة فى المحال الكثيرة لجـاز حصـول الجسم الواحد دفعة واحـدة فى الاحيـاز الكثـيرة ، وذلك معلـوم البطلان بالضـرورة. ولأن بتقـدير أن يحصل الصـفة الواحـدة دفعة واحـدة فى المحال المتعددة ، فحينئذ يكون كل واحد من تلك الأجزاء حيا عالما قادرا فيعود الأمر إلى كـون هـذه الجثة الواحـدة أناسا كثيرين لا إنسانا (الورقة 264 ظ) واحدا ، ولما ظهر فسـاد هـذين القسـمين ثبت أن الإنسـان ليس هو هـذه الجثة.

فـإن قـالوا : لم لا يجـوز أن يقـال أنه تقـوم الحيـاة بـالجزء الواحد ، ثم أن تلك الحيـاة تقتضى ضـرورة جملة الأجـزاء حيا ، قلنا هـذا باطل ، لأنه لا معـنى للحيـاة إلا الحيية ولا للعلم إلا العالمية ، إلا أنا نقـول : إن حصل فى مجمـوع الأجـزاء حيية واحـدة ، وعالمية واحـدة ، فقد حصلت الصفة الواحدة فى المحال الكثيرة ، وهو محـال ، وإن حصل فى كل جـزء حيية واحـدة على حـدة وعالمية واحـدة على حـدة عـاد ما ذكرنا من كـون الإنسـان الواحد أناسا كثيرين ، وذلك الفساد معلوم بالضرورة.

الحجة الثالثة : لو كـان الّـذي يشـير إليه الإنسـان بقوله «أنا» موجودا متحـيزا [1] لا يتبع أن يشـير إلى نفسه بقوله «أنـا» ويعلم المتحـيز لكن التـالى كـاذب فالمقـدم كاذب.

بيـان الشـرطية أنه لو كـان المشـار إليه بقوله «أنـا» متحيزا مخصوصا

---

(1) المخطوطة : موجود متحيز

لكـان المتحـيز احد جـزئى الماهية ، ويمتنع حصـول العلم بالماهية إلا عند العلم بكونه متحيزا.

وأما بيـان كـذب التـالى فلأن الإنسـان عند اهتمامه بمهم من المهمـات قد يقـول : تفكـرت وعقلت وفهمت ، ومع هـذه الحالة قد يكـون عالما بذاته المخصوصة مع أنه قد يكون غافلا عن استحضار ماهية المتحيز والحجم وذلك يفيد صحة ما قلنا.

فـإن قيل ما الـدليل على أن العـالم [1] بالماهية يجب أن يكون عالما باجزائها ، ثم يقـول لم لا يجـوز أن يقـال : أجزاءها المخصوصة ماهية يلزمها المتحـــيز به ، وماهية اللازم مغايرة لماهية الملزوم ، وعلى هذا التقدير لا يلـزم من علمنا بذواتنا المخصوصة علمنا بماهية المتحيز.

ثم نقـول : لا نسـلم أنا نعقل ذواتنا المخصوصة مع ذهولنا عن معنى الحجم والتحيز.

قوله انا قد نقول «علمت وفهمت وتفكرت» حـال ما اكون [2] غافلا عن معنى التحيز والحجمية.

قلنا لم لا يجوز أن يقال العلم بالتفصيل [3] وإن غاب ، إلا ، أن العلم به على سبيل الجملة حاصل.

ثم نقـول : كما أنا نعلم ذواتنا المخصوصة حـال الذهول عن الجسم فكـذلك [4] قد نعقل ذواتنا المخصوصة حال الذهول عن استحضار ماهية النفس ، وحـال الـذهول عن استحضار موجود لا يكون جسما ولا يكـون جسـمانيا ، فما أوردتموه علينا فهو وارد عليكم.

والجـواب عن الأول أنه لا حقيقة لـذلك المـركب إلا تلك الأجزاء ،

---

(1) المخطوطة : العلم
(2) أيضا : نكون
(3) أيضا : العلم التفصيل
(4) أيضا : فلذلك

فالعـــالم بـــذلك المـــركب [1] يكـــون لا محالة عالما بتلك الأجـزاء ، وإلا لـزم كـون الشـيء الواحد معلوما (و) غـير معلوم معا وهو محال.

وعن الثـانى أنا نعلم بالضـرورة أن ذواتنا ذوات قائمة بأنفسها ، فلو جعلنا المتحيز لازما من لوازمها لوجب كون التحيز صفة من صفات نفوسـنا وذواتنا وذلك محـال ، لأن التحيز لو كان صفة لشيء آخر لكـان ذلك الشـيء الآخر ، إن كـــان متحـــيزا يلـــزم افتقـــاره إلى محل آخر ويلـــزم التسلسل ، وإن لم يكن متحـيزا كـان مجـردا عن الوضع والجزء ، والمتحـيز مختص بالوضع والجـزء ، وحلـول ماله وضع وحيز فيما لا وضع له ولا حيز له محال.

وعن الثالث أن العلم بالشـيء عبـارة عن الشـعور به على وجه يمـــيز بينه وبين غـــيره ، فلما أمكننا أن نعقل ذواتنا حال كوننا غافلين عن التحيز والحجم غـير شـاعرين به فقد حصل الغرض.

وعن الرابع (الورقة 265 و) نفسى عبـــارة عن ذاتى المجـــــردة المخصوصة فيســـــتحيل أن أعـــــرف ذاتى المخصوصة حال ما أكون غـافلا عن نفسى ، بل يمكن أن أعرف نفسى حال ما أكون غـافلا عن وصـفها بأنها ليست متحـــيزة ولا حالة فى المتحـــيز إلا أن قولنا أن الشـــيء الفلانى ليس متحيزا ولا حالا فى المتحيز عبارة عن سـلب غيره عنه مغـاير لذاته المخصوصة لأن حقيقة الموجـود [2] ليست عين عدم غيره ، فثبت أن هذه السلوب (2 مغايرة لتلك الذات المخصوصة ، فلا جرم جاز العلم

---

(1) المخطوطة : فالعالم بذلك الاجزاء المركب ،
(2) أيضا : الموجودة

بتلك الذات المخصوصة حال الذهول عن تلك السلوب.

ولأنا قد دللنا على أن بتقـــدير كـــون النفس جســـما مخصوصا كان الجسم جزأ من أجزاء الماهية ، وعلى هـذا التقـدير يمتنع شـعوره بـالنفس حـال الـذهول عن الجسم فظهر الفرق.

الحجة الرابعة على أن الإنسان ليس عبارة عن هـذا الجسد ، أن نقول : هذا الجسد اجـزاؤه واقعة فى التبـدل ابدا ، والمشار إليه لكل أحد بقوله «أنا» باق [1] مستمرا.

أما المقدمة الأولى فجلية [2] ، وذلك لأن جسد الإنسـان جـوهر رطب ، والحـرارة إذا عملت فى الرطوبة اصعدت عنها البخارات ، وذلك يوجب انحلال بدن الإنسـان ، ولهـذا السـبب احتـاج بـدن الإنسـان إلى الغـذاء ليقـوم الغــذاء ببــدل ما يتحلل ، فثبت أن التحلل والــذوبان دائم الحصول فى بدن الإنسان ، وأيضا فبدن الإنسـان حـال ما كان طفلا كان منا أو منين أو ثلاثة أمناء ، وحال صــيرورته شابا قد يبلغ سبعين منا وأكثر ، وذلك يـوجب كـون أجزائه فى التبدل ، وأيضا الإنسان قد يكون سمينا فيصير هـزيلا ، ثم يعود سمينا ، فـالأجزاء قد تبـدلت بالزيـادة والنقصـان. وأيضا فانا نشـاهد ونحس كـون هـذه الأجـزاء الجسـدانية واقعة فى الانحلال بسبب العرق وسائر الرطوبات ، فثبت أن الجسد واقع أبدا فى الانحلال والذوبان.

وأما المقدمة الثانية : وهى أن المشــــار إليه لكل واحد بقوله «أنا» غير واقع فى التبـدل ، والأمر فيه ظـاهر ، لأنى أعلم بالضرورة أنى

---
(1) المخطوطة : باقيا
(2) أيضا : مجلية

الآن عين ما كنت موجـــودا قبل هـــذا بعشـــرين ســـنة ، والإنسان إذا قطعت يـداه ورجلاه وقلعت عينـاه فإنه يعلم بالضرورة أنه عين الإنسـان الّـذي كـان موجـودا قبل ذلك فثبت بما ذكرنا أن الجسد بجميع أجزائه واقع فى التبدل ، وثبت أن المشـــار إليه لكل أحد بقوله «أنـــا» عين هـــذا الجسد وغير كل واحد من أجزاء هذا الجسد.

واعلم أنه يبقى هاهنا سؤال واحد [1] ، وهو أن يقـال لم لا يجوز أن يقال هـذا الجـزء المحسـوس يشـتمل على أجـزاء أصـلية باقية من أول العمر إلى أخـره مصـونة عن الاختلال والانحلال.

وأما سائر الاجـزاء فإنها واقعة فى الانحلال والتبـدل ، والإنسان عبارة عن تلك الأجـزاء الأصـلية ، إلا اننا نقـول [2] : ظهر على جميع التقـديرات أن الانسـان ليس عبـارة عن جميع هذا الجسد المحسوس وعن هذا الهيكل الظاهر ، فأما أن يقال انه عبارة عن أجزاء مخصوصة سـارية فى تضـاعيف هـذا الجسد ، فنقـول : الفلاسـفة يـدفعون هـذا الاحتمال بناء على مقدمتين :

أحـــدهما ، أن الأجســـام متماثلة (3 ، وبرهانه أن الاجسام لا شك (الورقة 265 ظ) أنها متساوية فى طبيعة الحجمية والامتـــــــــداد ، فلو اختلفت نفس بعد ذلك فى ماهياتها ، لكان ما به المخالفة مغايرا [3] لما به المشـاركة لا محالة. فيلزم ان تكون تلك الخصوصيات مغايرة لطبيعة الحجمية والامتداد ، ولو كان كذلك لكان إما ان يكون كل

---

(1) المخطوطة : سؤالا واحدا
(2) أيضا : الا انها تقول
(3) أيضا : مغاير

واحد من هــذين الاعتبــارين ذاتا والآخر [1] صــفة. والأول محــال ، لان على هــذا التقــدير تكــون طبيعة الحجمية والامتداد ذاتا مستقلة بنفسها.

اقصى ما فى الباب أنه حصل فى الوجود ذات أخـرى ، إلا أن حصول هـذه الـذات لا تـوجب وقـوع المخالفة فى الــذات الاولى ، وحينئذ يرجع القـــول إلى أن الاجســـام متماثلة.

وأما القسم الثانى ، وهو أن يكون احد الاعتبـارين ذاتا والآخر صــفة ، فنقــول : إما أن يقــال إن طبيعة الحجمية هى الذات ، والّـذي به حصـلت المخالفة ذات ، او [2] (ان) الحجمية التى حصلت بها المشاركة صفة ، فإن كان الأول فحينئذ كانت الـذوات متسـاوية فى تمـام الماهية ، إلا أنها مختلفة فى الصفات العرضية ، وذلك لا يمنع [3] قولنا. وإن كان الثانى لزم كون الحجمية والتحيز صـفة وقد ابطلنـاه. فثبت بهذا البرهان أن الأجسام متماثلة.

والمقدمة الثالثة أن واجب الوجـــــود لذاته عـــــام الفيض ويمتنع أن يختص أحد المثلين بخاصــــــية ، وانه لا يحصل فى الثانى ، وهذه المقدمة فلسفية محضة.

وإذا ثبت هـذا ، فنقـول : تلك الأجـزاء الأصـلية البدنية مســاوية للأجــزاء الفرعية فى تمــام الماهية والحقيقة ، فكــانت نســبة الأحــوال الموجبة للانحلال والــذوبان إليها وإلى غيرها على الســـوية ، ويمتنع ان يقــــال ان واجب الوجود لذاته خص بعض تلك الأجزاء بالإبقاء

(1) المخطوطة : وللآخر
(2) أيضا : والحجمية
(3) أيضا : لا يمتنع

والصـــــون عن الـــــذوبان ، لما ذكرنا أن الفيض عـــــام والتخصيص محـال ، فـإذا كـان الأمر كـذلك وثبت حصـول الذوبان والانحلال فى جميع الأجزاء البدنية فينـدفع [1] هـذا السؤال.

الحجة الخامسة المشـار إليه لكل واحد بقوله «أنـا» قد يكــون معلوما له حــال كونه غــافلا عن جميع الأجــزاء الجسدانية الظاهرة والباطنة ، فإن الإنسان حــال اهتمامه بمهم قد يقول «تفكرت» و «سمعت» مع أنه يكـون حـال تكلمه بهـــذا الكلام غـــافلا عن وجهه ويـــده وقلبه ودماغه وسائر أعضائه ، والمشـعور به مغـاير للمغفـول عنه ، وإلا لزم أن يصدق على الشـيء الواحد كونه مشـعورا به غـير مشعور به ، فيلـزم اجتمـاع النقيضـين فى الشـيء الواحد وهو محال ، وهذا البرهان إنما يكمل بالعود إلى ما ذكرناه فى البرهان الثالث.

الحجة السادسة : أنا لما تأملنا فى أحــــوال النفس رأينا أحوالها بالضد من أحـوال الجسم وذلك يـدل على أن النفس ليست بجسم ، وتقريره من وجوه :

الأول : إن كل جسم يحصل فيه صــورة بعد صــورة أخــــرى من جنس الصــــورة الأولى لا يحصل إلا بعد زوال الصـورة الأولى عنه زوالا تاما ، مثاله أن الشـمع إذا حصل فيه شكل التثليث فإنه يمتنع أن يحصل فيه شـكل الـتربيع والتــدوير إلا بعد زوال الشــكل الأول عنــه. ثم إنا وجــدنا الحال فى قبول النفس تصور المعقولات بالضد من ذلك ، فــإن النفس (الــتى) لم تقبل صــورة عقلية يعسر قبولها لشيء من الصور العقلية ، فإذا قبلت صورة واحــدة صـار قبولها للصورة الثانية أسهل ،

---

(1) المخطوطة : فندفع

وإذا قبلت الصــورة الثانية صــار قبولها للصــورة الثالثة ، (الورقة 266 و) اســهل ، غــير أن النفس لا تــزال على صـورة بعد صـورة أبـدا من غـير أن تضـعف فى وقت من الأوقات ، بل كلما كان قبولها للصور أكثر ، صارت الصـفة المتقدمة أقوى وأكمل ظهورا ما قبل ذلك ، ولهذا السـبب يــزداد الإنســان فهما وادراكا ، كلما ازداد ارتياضا وتخرجا فى العلــوم ، فثبت أن فعل النفس للصــور العقلية على خلاف قبـول الجسم للصـور الحالة فيه ، وذلك يـدل على أن النفس ليست بجسم.

الثانى أن المواظبة على الأفكـار الدقيقة والتـأملات العميقة لها أثر فى النفس وأثر [1] فى البدن.

أما أثرها فى النفس فهو إخراجها للنفس من القـــوة إلى الفعل ، وفى التعقلات والإدراكـــات ، وكلما كـــانت الأفكار أكثر كان حصـول هـذه الأحـوال أكمل ، وذلك غاية كمالها ونهاية شرفها وجمالها [2].

وأما أثرها فى البدن ، فهو أنه يـوجب اسـتيلاء النفس على البـــدن واســتيلاء الــذبول عليه وهــذه الحالة (إن) استمرت لانتهت إلى الماليخوليا وموت البدن.

فثبت بما ذكرنا أن هـذه الأفكـار تـوجب حيـاة النفس وشــرفها وجمالها [3] ، وتــوجب مــوت البــدن ونقصــانه واختلاله ، فلو كــانت النفس هى البــدن لصــار الشــيء الواحد بالنسبة إلى الشـيء الواحد سـببا لكماله ونقصـانه معا ولحياته وموته معا وذلك محال.

---

(1) المخطوطة : اثرا
(2) أيضا : ولجلالها
(3) أيضا : ولجمالها

الثالث أنا شاهدنا أنه ربما كان بـدن الإنسـان ضـعيفا نحيفا ، فإذا لاح له نور من أنوار عالم القـدس ، وتجلى له سر من أسـرار عـالم الغيب حصل لـذلك الإنسـان قـوة عظيمة واستيلاء شديد ، ولم يعبأ بحضور أكابر السـلاطين ، ولم يتأثر من حضور العساكر الكثيرة والأهوال الشـديدة ولم يثبت لها وزنا ولا قدرا.

ولو لا أن النفس شيء سـوى البـدن وان النفس إنما تحيى وتقـوى بغـير ما به يحـيى البـدن. وإلا لما كـان الأمر كــذلك بل من تأمل حق التأمل عـــرف كل ما هو ســبب لحيـاة البـدن ولقوته فهو سـبب لمـوت النفس وضـعفها ، وكل ما هو سـبب لحيـاة النفس وقوتها فهو سـبب لمـوت البدن وضعفه.

الرابع أن أصـــحاب الرياضـــات والمجاهـــدات كلما أمعنوا فى قهر القوى البدنية وبتجويع الحس قويت قواهم الروحانية واشرقت اسرارهم بالمعارف الإلهية.

وكلما امعن الإنســـان فى الأكل والشـــرب وقضـــاء الشهوات الجسـدانية صـار كالبهيمة (4 وبقى محروما عن آثار النطق والعقل والفهم والمعرفة.

ولو لا أن النفس شـــيء غـــير البـــدن وان ســـعادتها مغايرة بسعادة البـدن ، وقوتها غـير قـوة البـدن ، وإلا لما كان الأمر كذلك.

الخامس أن الإنسان حال النوم يصـير ضـعيف البـدن قـوى النفس حـتى أنه عند النـوم ليطلع على ما يعجز عن الاطلاع عليه حال اليقظة ، ولو كانت النفس شـيئا [1] غـير الجسد لامتنع أن يكون حال النوم

---

(1) المخطوطة : شيء

كذلك.

فهـذا مجمـوع ما لحصـناه وحصـلناه فى إثبـات أن النفس شـيء غـير الجسد ، وأما الـدلائل الـتى ذكرها من تقـدم [فقـد] [1] لحصـناها فى كتبنا وبحثنا عنها واعترضـنا عليها بما لم يبق للقائل فيها شك وارتياب.

الســادس : قــال بعضــهم إذا تفحصــنا امر النفس وجــدناها يفعل بــذاتها من غــير حاجة إلى البــدن ، لأن الإنسـان [إذا تصـور بالعقل شـيئا] [2] فإنه لا يتصـوره بآلة بدنية كما يتصـور الألـوان بـالعين ، والـروائح بـالأنف فـإن (الورقة 266 ظ) الجــزء الّـذي فيه النفس لا يســخن ولا يبرد ولا يتغير عند حصول التصورات العقلية.

الفصل الخامس

فى الـدلائل المسـتفادة من الكتـاب الإلهي فى إثبات

أن النفس شيء غير الجسد.

اعلم أن الكتاب الإلهي يدل على صحة هذا المطلوب من وجوه :

الحجة الأولى : أن القـــرآن دل على أن الشــــيء المشار إليه بأنه هو الإنسان المخصـوص بـاق بعد المـوت لهـذا البـدن حي ، قـاهر ، عاقل ، قـال تعـالى فى صـفة الشـهداء : (**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُـوا فِي سَـبِيلِ اللـهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ**) (1. وقـال فى صــفة المعــذبين : (**النَّارُ يُعْرَضُــونَ عَلَيْها غُــدُوًّا وَعَشِيًّا**) (2 ، وقال : (**أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا**

(1) لفظ غير واضح فى المخطوطة
(2) هذه العبارة على هامش المخطوطة

ناراً) (3

وهذه النصـوص ناطقة بـأن الشـيء المشـار إليه بأنه هو الإنسـان بـاق بعد مـوت هـذا البـدن حي مـدرك للألم واللذة.

وأما أن هذا الجسد المشار إليه ليس حيا بعد المــوت فهذا معلوم بالضرورة ، ولو جوزنا كونه حيا لجاز مثله فى جميع الجمادات وذلك عين السفسطة.

وإذا لاحت المقــدمتان علمنا أن المشــار إليه بقولنا : «هذا الإنسان» ليس هو هذا البدن ، ولا عضوا من أعضـاء البـدن ، فإنا مضـطرون إلى العلم بـأن هـذا البـدن مـات بجميع أجزائه وابعاضه.

وإنى لشــديد التعجب من هــؤلاء المنكــرين لوجــود النفس ، وذلك لأن تصـديق القـرآن والنصـوص فى ثـواب القــبر وعقابه وفى الحشر والنشر تصــير مقبولة معقولة بسـبب إثبـات النفس ويتخلص عن المطـاعن والشـبهات والإشــكالات ، وإذا لم تثبت النفس تــوجهت الإشــكالات وعظمت المطــاعن مما الّــذي حمل هــؤلاء على إنكــار النفس حتى وقعوا فى الظلمات الشديدة.

الحجة الثانية : قوله (**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ**) (4 ، وهذا صـريح فى أن النفس شـيء مغـاير لهـذا الجسد يتصل به تارة وينفصل به أخرى.

قــال تعــالى : (**يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً**) (5 ، وهذا يدل على أن النفس لا تمـوت بمـوت البـدن ، بل يرجع من الجسد إلى عــالم القدس والجلال.

وقال أيضا : (**حَتَّى إِذا جـاءَ أَحَـدَكُمُ الْمَـوْتُ تَوَفَّتْـهُ رُسُـلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُـونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللـهِ مَـوْلاهُمُ الْحَقِّ**) (6 ، وهذا يدل على أن

الشيء المشار إليه بأنه هو الإنسان المخصـوص لا يمـوت عند موت البدن بل يرد من هذا الجسد إلى عـالم القـدس وحضرة الجلال.

وأما لفظ الرجـــــوع إلى الله عند المـــــوت فهو فى القرآن كثير جدا ، وكل ذلك يدل على أن الشيء الّذي هو الإنسـان فى الحقيقة لا يمـوت عند مـوت البـدن بل يرجع من دار الدنيا وعـالم الحس إلى عـالم الآخـرة ، وكل ذلك يدل على أن الإنسان شيء مغاير لهذا الجسد.

الحجة الثالثة أنه تعـــــالى ذكر مـــــــراتب الحلقة الجسمانية فقال : (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنـاهُ نُطْفَـةً فِي قَـرارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَــةَ عَلَقَــةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَــةَ مُضْــغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً**) (7.

ولا نشك أن هـــذه المـــراتب اختلافـــات واقعة فى الأحوال الجسمانية ،

ثم إنه تعالى لما أراد أن يـذكر نفخ الـروح قـال : (**ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ**) (7 ، وهذا تصريح بأن ما يتعلق بنفخ الروح جنس أخر مغاير لما سبق من التغيرات الواقعة فى الأحوال الجسمانية.

وذلك يدل على أن الروح ليس من جنس البدن ، فإن قلت هذه الحجة (الورقة 267 و) عليكم ، لأنه تعالى قـال : (**خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُـلالَةٍ مِنْ طِينٍ**) (7 ، وكلمـة. من. للتبعيض ، وهـــذا يـــدل على أن الإنســـان بعض من أبعاض الطين ، وأنتم تقولون أنه شـيء غـير ذلك ، فكـان هذا تصريحا بنص الكتاب الكريم.

قلنا : هـــذا فى غاية البعد ، لأن كلمة «من» أصـــلها لابتـداء الغاية ، تقـول : خـرجت من البصـرة إلى الكوفة ، فقوله : (**خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ**

سُــلالَةٍ مِنْ طِينٍ) ، يقتضي أن يكـــون ابتـــداء التخليق للإنسـان حاصلا من هـذه السـلالة. ونحن نقـول بموجبه ، لأنه تعـالى سـوى المـزاج البـدنى ، ثم نفخ فيه الـروح ، فيكــون ابتــداء تخليقه من الســلالة. فثبت أن ما ذكــروه فاسد.

الحجة الرابعة أنه تعالى ميز بين عالم الأرواح وعالم الاجساد ، ثم ميز الأمر منه ، وذلك يقتضي أن يكون الأمر مبرأ عن [1] التقدير والحجمية.

ثم أنه تعالى بين فى آية أخرى ، أن الـروح من عـالم الأمر ، لا من عـالم الحلق (8. فقـال : (**قُـلِ الـرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**) (9. وذلك يدل على أن جوهر الـروح من عـالم الأمر ، وأنه مبرأ عن الحجمية والتحيز والتقدير.

الحجة الخامسة : قـــال تعـــالى : (**فَــإِذا سَــوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**) (10 ، ميز بين التسـوية وبين نفخ الروح ، فالتسوية عبارة عن تخليق الأبعاض والأعضاء وتعــديل المــزاج والامشــاج ، فلما مــيز نفخ الــروح عن التسوية ، ثم أضاف [2] الــروح إلى نفسه دل ذلك على أن الـروح جـوهر شـريف ، ليس من جنس الجسد ، وذلك هو المطلوب.

الحجة السادسة : قوله تعــــــــالى : (**وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها ، فَأَلْهَمَها**

---

(1) على هامش المخطوطة «..»
(2) المخطوطة : اضاب

فُجُورَها وَتَقْواها) (11 ، وهذه الآية صـريحة فى وجـود نفس موصوفة بالإدراك وبالتحريك معا ، لأن الإلهام عبارة عن الإدراك ، وأما الفجور والتقوى فهو فعلى ، فهذه الآية صـــريحة فى أن الإنســـان شـــيء واحد ، وهو موصـــوف بـــالإدراك ، وموصـــوف أيضا بفعل الفجـــور تـــارة ، وبفعل التقـــوى أخـــرى. ومعلـــوم أنه ليس كل البـــدن موصـــوفا بـــالإدراك وبالفعل معا ، وليس عضـــوا واحـــدا من اعضـــاء البدن موصوفا بجملة الإدراكـات وجملة هـذه الأفعـال. فلا بد من إثبات جوهر واحد يكون موصوفا بكل هذه الأمور.

ومما تقرب من هذا الـدليل قوله تعـالى : (**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسـانَ مِنْ نُطْفَـةٍ أَمْشـاجٍ نَبْتَلِيـهِ فَجَعَلْنـاهُ سَـمِيعاً بَصِـيراً**) (12 ، فهـذا تصـريح بـأن الإنسـان شـيء هو موصـــــوف بأنه هو المبتلى بالتكـــــاليف الإلهية والأوامر الربانية ـ وبأنه هو الموصوف بالسمع والبصر.

ومعلوم أن جملة البدن ليس كذلك ، فإنه لا يمكن أن يقـال : إن بـدن الإنسـان مكلف من قبل الله بالافعـال [والـترك وكـذا] يـده أو رجله أو جبهته أو حدقته أو أنفه أو لسـانه مكلف بـذلك. فـإن العلم الضـرورى حاصل بأنا إذا أمرنا الإنسان بأمر أو نهيناه عن فعل ، فهـذا الأمر والنهى ما توجها على عضو من أعضـــــائه ولا على جملته ، بل الشـيء المتصـرف الثـابت لمجمـوع الجسم هى (النفس) التى تكون سارية فى مجموع ذلك الجسم (13 ، حاصلة فى كل واحد من أجـــزاء ذلك البـــدن ، موصـــوفة بـــذلك الوصف.

ولما تقـــــــرر وبين أن الإدراك والفهم والتكليف لم يتوجه على شيء

من هذه الأعضاء ، علمنا أنه لا يمكن أن يقال : الموصوف بكونه عضوا واحدا يصدق عليه بعينه أنه سميع ، بصير ، مكلف ، مأمور ، مثاب ، معاقب ، وقد دل قوله تعالى : «**نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ** (الورقة 267 ظ) **سَمِيعاً بَصِيراً**» (12 على أن الإنسان شيء واحد مغايرا لهذا الجسد لكل واحد من اجزاء هذا الجسد وابعاضه ، وذلك هو المطلوب فإن عادوا وقالوا : إن قوله : (**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ**) (13 ، يدل على أن الإنسان بعض من الامشاج ومن النطفة ، لأن كلمة «من» للتبعيض.

فنقول : إنه سبق الجواب عنه بما لا يبقى للعاقل فيه شك ولا شبهة.

الحجة السابعة : قوله تعالى : (**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ**) (14 ، ومعلوم أن أحدا من العقلاء لا ينسى هذا الشكل المشاهد ، وهذا الجسد المحسوس ، فدل ذلك على أن النفس التى ينساها الإنسان عند فرط جهله شيء آخر غير هذا البدن.

الحجة الثامنة : قوله عليه‌السلام : «من عرف نفسه عرف ربه» (15 ، وجاء فى كتب الله المنزلة : «يا انسان! اعرف نفسك تعرف ربك». ولو كان المراد من النفس هو البدن المشاهد والشكل المحسوس لما أمرنا بمعرفته لأن معرفته حاصلة بالضرورة وتحصيل الحاصل محال.

الحجة التاسعة : الأحاديث الكثيرة الواردة فى بيان أن الإنسان يبقى فاهما ناطقا عاقلا بعد موته ، وقال عليه‌السلام : أنبياء الله لا يموتون ، ولكن ينقلون من دار إلى دار ، وقال عليه‌السلام فى خطبة

له طويلة : حتى إذا حمل الميت على نعشه وفرقت روحه فوق النعش ويقول : يا أهلى! ويا ولـدى! وذكر الحـديث ، وجه الاستدلال به أن النبي عليهالسلام : صرح بأن الميت يكون على النعش ، ويبقى هناك شيء حي ينادى ، ويقول : يا أهلى ويا ولدى! ومعلوم أن الّذي كان الأهل [1] أهلا له ، وكان الولد ولدا له ، وكـان الّـذي جمع المـال من الحلال والحــــرام يبقى الوبــــال فى ذمته ورقبته ، هو كناية بل تصريح بالإنســان وأن الجسد ميت محمـول على النعش ، والإنسان المخصوص باق ، حي ، ناطق ، فاهم (16 ، وهو صــريح فى أنه شــيء مغــاير لهــذا الجسد المحســوس والشكل المشاهد.

ولما عرفت نسق الاستدلال بهذا الحديث الــدال على إثبـات النفس أمكن أن يسـتدل بأحـاديث كثـيرة من هـذا الجنس خارجة عن الحد والإحصاء.

الحجة العاشرة أنه تعـالى قـال : (**إِنِّي جاعِـلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**) [2] ، ولن يكون الإنسان خليفة إلا إذا علم ما يجــرى فى العــالم ، ثم يمكنه أن يتصــرف فى تلك الأحوال بـالنفى والاثبـات ، فـذلك الشـيء المحكـوم عليه بأنه خليفة الله فى أرضه ، لا بدّ وأن يكـون موصـوفا (17 بالإدراك وبالفعل.

ثم انه تعالى بين أنه تعالى (**عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها**) [3] ، والحقائق ،

---

(1) المخطوطة : للاهل
(2) البقرة : 30
(3) أيضا : 31

فثبت أن ذلك الشـــيء المحكـــوم عليه بأنه هو الحليفة ، يجب أن يكون عالما بأحوال عالم الاجسام متصـرفا فيها ، ويجب أن يكون هو بعينه عالم الغيوب وأسرار الملكـوت ، فالإنســان جــوهر واحد موصــوف بجميع هــذه الصــفات ومجموع البدن ليس كـذلك ، وليس فى البـدن عضو واحد ، موصـوف بكل هـذه الأمـور ، فـوجب القطع بـأن جـوهر الإنسان فى ذاته أمر مغاير لمجموع هذا البــدن لكل واحد من أعضائه وابعاضه.

ولنختم هـذه الـدلائل القرآنية البرهانية بوجه اقنـاعى اعتبارى ونثبت أن صريح العقل شاهد بانا نضيف كل واحد من هـذه الأعضـاء إلى أنفسـنا ــ فنقـول : يـدى ورجلى وقلبى ودماغى ، والمضاف غير المضاف إليه.

فعلمنا أن النفس شيء مغـاير لهـذه الأعضـاء ــ فـإن قــالوا : فقد نقــول أيضا : نفسى وذاتى (الورقة 268 و) وهذا يقتضي أن تكون نفس مغايرة لنفسه وهو محال.

وجوابه أن النفس قد يــراد بها المعــنى المشــار إليه بقوله «أنـــا» وقد يــــراد به الجثة المحسوسة ، والهيكل المشاهد.

أما النفس بالمعنى الأول فصريح العقل شــاهد بأنه لا يمكن اضــافته إلى نفسه ، فإنه لا يمكن اضــافة المعــنى المشار إليه «بأنا» إلى غير ذلك المعنى.

وأما النفس بـــالمعنى الثـــانى فيمكن اضـــافتها إلى المعنى المشار إليه «بانا» لأن هذه الجثة كالمملكة لــذلك المعنى المشار إليه «بأنا»

إذا ثبت هـــذا فنقـــول : إذا قلنا : «نفسى وذاتى» ، يجب أن يكــون المــراد من النفس هو المعــنى الثــانى لا المعنى الأول حتى لا يلـزم التنـاقض ، وعلى هـذا التقـدير يسقط السؤال.

الفصل السادس

فى أن المتعلق بجوهر النفس هو القلب ، وبواسطة القلب

يتعلق بسائر الأعضاء

مذهب الجمهور من المحققين وأصحاب المكاشــفات (1 أن القلب هو الــرئيس المطلق لســائر الأعضــاء ، وأن النفس متعلقة به أولا وبواسطة ذلك التعلق تصــير متعلقة بسائر الأعضاء ، وهذا هو مذهب أرسطو واتباعه من عـدة الحكماء ، وذهب قوم إلى أن الإنسان عبـارة عن مجمـوع نفوس ثلاثة :

1 ـ النفس الشهوانية ، وتعلقها أولا بالكبد ،

2 ـ والنفس الغضبية ، وتعلقها أولا بالقلب ،

3 ـ والنفس الناطقة الحكيمة ، وتعلقها أولا بالـدماغ (2 ، وهذا مذهب جماعة من الأطباء كجالينوس [1] وأتباعه.

الّذي يدل على صحة القــول الأول وجــوه من القــرآن والأخبار والمعقول.

---

(1) المخطوطة : لجالينوس ،

أما الدلائل القرآنية فوجوه :

الأول قوله تعالى : (**قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ، فَإِنَّهُ نَزَّلَـهُ عَلى قَلْبِـكَ**) (3 ، وفى الشعراء : (**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيـلُ رَبِّ الْعـالَمِينَ ، نَـزَلَ بِـهِ الـرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِـكَ**) (4 ، فـدلت هاتـان الآيتـان بصـريحهما على أن التنزيل والـــــوحى كانا [1] على القلب ، وذلك يقتضي أن يكون المخاطب والمعاقب هو القلب.

الحجة الثانية قوله تعالى : (**إِنَّ فِي ذلِـكَ لَـذِكْرى لِمَنْ كانَ لَـهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّـمْعَ وَهُـوَ شَـهِيدٌ**) (5. فهـذه الآية دالة بصـريحها على أن محل الـذكر والفهم هو القلب.

وأعلم ، ان هذه الآية مشتملة على لطيفة عجيبة ، إلا أن بيانها أنها يتم بتقـديم سـؤال ، فإنه يقـال : أن الـواو العاطفة أليق بقوله : (**أَوْ أَلْقَى السَّـــــمْعَ**) من الـــــواو القاسمة ، وذلك لأن حصول الذكرى لا بد فيه من مجمـوع أمرين : لا بدّ فيه من القلب ، ولا بد فيه من إلقاء السـمع ، لأن القلب عبـــارة عن محل إدراك الحقـــائق ، وإلقـــاء السـمع ، عبـــارة عن الجد والاجتهـــاد فى تحصـــيل تلك الإدراكات والمعارف.

ومعلـوم أنه لا بد من الأمـرين معا فكـان ذكر الـواو القاسمة هنا أليق من ذكر الواو العاطفة ، إلا أنا نقـول بل الحق أن الواو القاسمة أولى من واو العاطفة.

وبيانه أن القوى العقلية قسمان : منها ما يكـون فى غاية الكمال والإشراق ، ويكون مخالفا لسـائر القـوى العقلية بالكم والكيف ـ أما

---

(1) المخطوطة : كان ،

الكم فلأن حصول المقـدمات البديهية والحسـية والتجربية أكـثر ، وأما الكيف فلأن تـركيب تلك المقـدمات على وجه ينساق أمر النتائج الحقة أسهل وأسرع.

إذا عرفت هذا ، فنقـول : مثل هـذه النفس القدسـية والقــوة العقلية الإلهية تســتغنى فى معرفة (الورقة 268 ظ) حقـائق الأشـياء عن التعلم والاسـتعانة بـالغير ، إلا أن مثل هذا فى غاية الندرة والقلة.

أما القسم الثـانى : وهو الّـذي لا يكـون كـذلك فهو يحتاج فى اكتساب العلوم الفكرية فى أن يبقى مصونا (6 عن الحلل والزلل.

إذا عرفت هذا فنقول : قوله تعالى : «**إِنَّ فِي ذلِـكَ** لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ» (5 اشارة إلى القسم الأول.[1]

وإنما ذكر القلب بلفظ التنكر ليـدل بهـذا التنكر على كــون ذلك القلب فى غاية الشــرف ونهاية الجلالة ـــ وإن مثل هذا القلب يكون عزيز الوجود ونادر الحصول.

وأما قوله تعـالى : (**أَوْ أَلْقَى السَّـمْعَ وَهُـوَ شَـهِيدٌ**) فهو إشارة إلى القسم الثانى ، والّذي يفتقرون (فيـه) إلى الكسب والاسـتعانة بـالغير ، وهـذه القاعـدة من الأسـرار الـتى عليها بنـاء علم المنطق ، وقد لاح تقريرها فى هـذه الآية ـ فتأكد هذا الفرقـان البرهـانى بالبيـان القـرآنى ، فلا جرم بلغ الغاية من الوضـوح والظهـور ، ولما كـان القسم الأول نادرا جدا ، وكان الغالب هو القسم الثـانى ، لا جـرم أمر الكل فى أكثر الآيات بالطلب

---
(1) المخطوطة : هذا ،

والاكتساب ، فقال : (**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُـونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها**) (7 ،
فقوله : (**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**) ، محمــول على الطلب والجد والجهد فى الكسب ، وقال صـاحب المنطق أن القسم الأول وإن كان غنيا عن الاسـتعانة بـالمنطق إلا أنه نـادر جـدا ، والغلبة للقسم الثـانى ، وكلهم محتـاجون إلى المنطق ، فـأنظر إلى هــذه الأســرار العميقة كيف تجدها مدرجة فى الفاظ القرآن.

الحجة الثالثة : الآيـــات الدالة على أن اســـتحقاق الجـزاء ليس إلا على ما فى القلب من السـعى والطلب ، فقـال : (**لا يُؤاخِـذُكُمُ اللـهُ بِـاللَّغْوِ فِي أَيْمـانِكُمْ وَلكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**) (8 ، وقـال : (**لَنْ يَنـالَ اللهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ**) (9 ثم ذكر فى آية أخرى أن موضع التقوى هو القلب ، فقــال (**أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللـهُ قُلُـوبَهُمْ لِلتَّقْـوى**) (10 ، وقال : (**وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ**) (11.

الحجة الرابعة : ان محل العقل هو القلب ، وإذا كان كـذلك ، كـان المـامور والمنهى والمعـاقب والمثـاب هو القلب.

إنما قلنا : ان محل العقل هو القلب لقوله تعـــالى : (**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها**) (7 ـ وقوله : (**لَهُمْ قُلُـوبٌ لا يَفْقَهُـونَ بِها**) (12 ، وقوله : «**إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ**

قَلْبٌ» (5 أى عقل أطلق اسم القلب على العقل تسـمية الحـــال باسم المحل ، وأيضا أضـــاف اضـــداد العلم إلى القلب ، فقـال : (**فِي قُلُوبِهِمْ مَـرَضٌ**) (13 (**خَتَمَ اللـهُ عَلى قُلُوبِهِمْ**) (14 ، (**وَقالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ**) (15 (**بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ**) (16 ، (**يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَـزَّلَ عَلَيْهِمْ سُـورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُـوبِهِمْ**) (17 ، (**كَلَّا ، بَـلْ رانَ عَلى قُلُـوبِهِمْ**) (18 ، (**أَفَلا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها**) (19 ، (**فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصـارُ ، وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُـوبُ الَّتِي فِي الصُّـدُورِ**) (20 ، فـدلت هـذه الآيـات على أن موضع العقل والفهم والجهل والغفلة هو القلب ، وكل ذلك يدل على ما قلناه.

الحجة الخامسة : قوله تعـــالى : (**إِنَّ السَّـــمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كـانَ عَنْـهُ مَسْـؤُلاً**) (21 ، معلوم ان السمع والبصر لا فائـدة فيهما إلا ما يؤديانه إلى القلب ــ فكــان الســؤال عنهما فى الحقيقة ســؤالا عن القلب ـ ونظـيره قوله تعـالى : (**يَعْلَمُ خائِنَـةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ**) (22 ومعلوم أن خائنة الأعين لا تكون إلا بما [تضـمن] القلــوب (الورقة 269 و) ، تقــرر منه قوله تعالى : (**وَجَعَـلَ لَكُمُ السَّـمْعَ وَالْأَبْصـارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ**) (23 ، فخص هذه الثلاثة بإلزام الحجة عليها واســـتدعاء الشـــكر منها ، وقد عـــرفت انه لا طائل فى السمع والأبصار إلا بما يؤديان إلى القلب ليكون القلب هو القاضى والحـاكم عليهم ــ ونظـيره قوله تعـالى : (**وَلَقَـدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيـــهِ وَجَعَلْنا لَهُمْ سَـــمْعاً وَأَبْصـــاراً وَأَفْئِدَةً ، فَما أَغْـــنى عَنْهُمْ سَـــمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ**) (24 ، فجعل تعـالى هـذه الثلاثة تمـام ما الـزمهم من حجته ، والمقصـود من الكل هو الفؤاد القاضى فى الكل ما يؤدى إليه السمع و

البصر ، وتقـــرر منه قوله وتعـــالى : (**خَتَمَ اللـــهُ عَلى قُلُـــوبِهِمْ وَعَلى سَـــمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصـــارِهِمْ**) فجعل العـذاب لازما لهـذه الثلاثة ، ونظـيره قوله تعـالى : (**لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها**) (12.

وجه الاستدلال بهذه الآية ان المقصـود من هـذه الآية بيـان أنه لا علم لهم أصلا ، ولو ثبت العلم فى غـير القلب كثباته فى القلب لم يتم الغرض.

الحجة السادسة انه تعـــالى كلما ذكر الايمـــان فى القـرآن اضـافه الى القلب ــ فقـال تعـالى : (**قـالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ**) (25 ، وقـال : (**إِلَّا مَنْ أُكْـرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمـانِ**) ، (26 وقـال : (**وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ**) (27 ، وقال : (**أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُـوبِهِمُ الْإِيمـانَ**) (28 ، فثبت ان محل هـــذه المعارف هو القلب ، واذا كـان كـذلك كـان محل الارادات هو القلب ، لأن الإرادة مشروطة بـالعلم ، واذا كـان محل العلم والإرادة هو القلب كان الفاعل هو القلب ، وإذا كان كذلك كان هو المخاطب والمثاب والمعاقب.

وأعلم أن من وقف على الاستدلال بهذه الآيات امكنه ان يجد من جنسها آيات كثيرة فى القرآن.

وأما الأخبـار ، فما روى النعمـان بن بشـير قـال : سـمعت رسـول الله صلىاللهعليهوآلهوسـلم يقـول : «ألا وان فى الجسد مضـغة اذا صـلحت صـلح الجسد كله واذا فســـدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب (29 وبـــاقى الاعضاء تبع له».

ويروى ان اسامة لما قتل الكافر الّذي قــال : لا إله لا الله ، فقــال له النــبي عليهالســلام ، لما انكر عليه قتله ، واعتذر بانه قالها عن الخوف ، فقال : الا شققت عن قلبه ، وهذا يدل على ان المعرفة والايمـان هو بـالقلب ، وكـان يقول [1] عليهالسلام : يا مقلب القلـوب! ثبت قلـبى على دينك (30 ، وهذا تصريح بالمطلوب.

واما الدلائل العقيلة فلها وجوه وحجج :

الاول ان نقـول النفس الانسـانية واحـدة ، فـاذا كـان كذلك وجب ان يكون ذلك العضو الرئيس هو القلب.

اما المقدمة الاولى وهى بيـان ان النفس الانسـانية واحـــدة ، فقد ذكرنا بـــراهين هـــذه المقدمة فى الفصل المشتمل على دلائل إثبات النفس فلا حاجة الى الاعادة ، الا انا نذكر هاهنا حجة القائلين بتعدد النفس فنجيب عنها.

قالوا : رأينا النفس المدبرة لامر الغـذاء حاصـلة فى الثبات منفكة عن النفس الغضبية ، ورأينا النفس الغضـبية حاصلة فى كثير من الحيوان بدون الناطقة ، ثم رأينا هـذه الآثار الثلاثة حاصلة فى الانسان ــ فعلمنا ان كل واحد من هـــذه الثلاثة جـــوهر مســـتقل بنفسه ينفـــرد بذاته لكنها اجتمعت فيه.

وجوابنا انه ثبت فى علم المنطق ان الماهيـــــــــات المختلفة يجوز

(1) المخطوطة : يقوله

اشتراكها فى آثار متساوية ، واذا ثبت هذا ، فنقـول : لم لا يجــوز ان يقــال النفس (الورقة 269 ظ) النباتية مخالفة للنفس الانســانية فى الماهية ، ثم انها مشــاركة لها فى الغذاء ، وتدبيرها ، وان كانت مخالفة لها فى امور أخرى ، وهو انها تقوى على تـدبير الاحـوال المنطقية ، وان كـانت النفس النباتية لا تقوى على ذلك ، وكذا القـول فى القـوة الغضبية.

فــإن قــالوا : النفس الواحــدة كيف تكــون مصــدرا للافعـــال المختلفة قلنا ، لم لا يجـــوز ذلك بســـبب آلات مختلفة [1] ، وذكر الجواب عن شبهة من خالف فيه.

اما المقدمة الثانية : وهى قولنا : لما كـانت النفس واحـدة كـان العضو الـرئيس هو القلب ، فالـدليل عليه ان اوّل عضو يتكـون فى البـدن هو القلب (31 ، واذا كـان كذلك وجب ان يكون هو العضو الرئيس ،

والـدليل على صـحة المقدمة الاولى التجربة والقياس :

اما التجربة : إن اصحاب التجارب (32 شهدوا به.

واما القيــاس : فهو ان المــنى جسم مــركب من ارضية ومائية وهوائية ونارية ، فالهوائية والنارية غالبتان [2] عليه [3] ، ويدل عليه ان بياض الرطوبة انما يكون بسـبب اختلاط الهوائية بها كما يكون

(1) المخطوطة : المختلفة
(2) أيضا : غالبان
(3) أيضا : عليها

فى الزبد ، فوجب ان يكـون بيـاض المـنى لهـذا السـبب ، ويتأكد ما ذكرناه ان المنى اذا ضربه البرد رق وزال بياضه مع ان الــبرد اولى بــالتكثيف ، وذلك يــدل على ان بياضه انما كان لاجل ما اختلط به من الاجزاء النارية والهوائية ـــ فلما [1] ضربه الـبرد فارقته تلك الاجـزاء النارية والهوائية ، فزال بياضه.

اذا عرفت هذا ، فنقـول : انه تعـالى قـدر ان الأجـزاء الارضـــية والمائية الموجـــودة فى المـــنى يجعلها مـــادة للاعضاء ، والاجزاء الهوائية والنارية يجعلها مـادة للارواح ، إلا ان تلك الاجزاء اللطيفة والكثيفة يكـون مختلطا بعضـها ببعض فى اوّل الأمر الا ان الجنســـية علة الضم ، فتنضم الاجزاء اللطيفة بعضها الى بعض ، والاجزاء الكثيفة بعضها الى بعض.

ولما كـــان اللطيف ســـريع التحلل والتلاشى اقتضت الحكمة الالهية ان جعل تلك الاجزاء اللطيفة فى الوسط ، وجعل الاجزاء الكثيفة كالصوان لها ـ وعند ذلك يصير الكل كالكرة المستديرة ، ويكـون بـاطن تلك الكـرة مملـوا من تلك الاجـــزاء اللطيفة الهوائية والنارية ، ويكـــون ظاهرها مؤتلفا من الاجســام الكثيفة ، وذلك هو الموضع الّـذي اذا استحكم وكمل كـان قلبا ، فلهـذا السـبب قـال اهل العلم بالتشريح : اوّل الاعضـاء الانسـانية تكونا هو القلب (33 ، واخرها موتا هو القلب.

إذا ثبت هــذا فنقــول : لما كــان القلب أول الأعضــاء تكونا ، وكــان القلب هو المجمع لتلك الأجــزاء الــتى منها تتكــون الأرواح ، ودلت التجــارب الطبية على أن المتعلق الأول للنفس هو الروح ، لزم أن يكون

(1) المخطوطة : فكما

تعلق النفس بالقلب قبل تعلقها بسائر الأعضاء وبواسـطة القلب تسـرى إلى سـائر الأعضـاء ـــ فثبت ان العضو الرئيس المطلق فى البدن هو القلب (34.

الحجة الثانية فى إثبات هـذا المطلـوب أن العقلاء لا يجـدون [1] الفهم والإدراك والعلم إلا من ناحية القلب ـــ فعلمنا ان القلب محل العلم بواسطة كون النفس متعلقة ، وأن تعلقها بالقلب ، وإذا كان محل العلم ليس إلا القلب كان محل الإرادة مشروطة بالعلم ، وإذا كان محل الإرادة هو القلب (الورقة 270 و) كـان محل القـدرة على التحريك هو القلب ، فثبت ان محل هـذه الصـفات هو القلب.

قال جالينوس : مسـلم أن القلب محل الغضب ، وأما أنه محل العلم فباطل ، وجوابه أن الغضب دفع المنـافى ، ودفع المنـافى لا بد وأن يكـون له شـعور بالمنـافى ، فلما سلم أن القلب محل الغضب لزم تسليم «أن القلب محل العلم والإدراك».

الحجة الثالثة : لا نزاع أن النفس الحيوانية لا بد وأن تكـون حساسة متحركة بـالإرادة ، فـإذا تعلقت النفس بـالقلب فلا بد وأن تفيـده الحس والحركة الإرادية ، وذلك يقتضي أن يصـير القلب متبعا للادراك والشـعور ، والقـوة المحركة ، وذلك يبطل قـول جـالينوس : أن الهيـولى للإدراك والتحريك الإرادي هو من الدماغ لا القلب.

الحجة الرابعة : ان الحس والتحريك الإرادي إنما يحصـلان بـالحرارة لا بـالبرودة [2] ، فإنها عائقة عنهما ، ويدل على صحة ما ذكرناه

---

(1) المخطوطة : يجدون
(2) أيضا : لا البرودة

التجارب الطبية.

وإذا ثبت هـذا فنقـول : القلب منبع الحـرارة والـدماغ للــبرودة ، فجعل القلب مبــدأ للحس [1] والحركة الإرادية أولى من جعل الدماغ مبدأ لهما.

الحجة الخامسة : كل أحد إذا قـــال «أنــــا» ، فإنما يشـير بقوله : «أنـا» إلى صـدره وناحية قلبه ، وهـذا يـدل على أن كل أحد يعلم بالضــرورة ان المشــار إليه بقوله : «انا» حاصل فى القلب لا فى سائر الأعضاء.

الحجة السادسة : أظهر آثـار النفس الناطقة النطق ، فوجب أن يكون معدن النفس الناطقة هو الموضع الّذي منه منبعه ، وتنبعث آلة النطق ، لكن آلة النطق هو الصوت ، والصوت إنما يتولد عن إخــراج النفس وهو فعل القلب ، لأن القلب ، يســـتدخل النســـيم البـــارد الطيب للـترويح ــ فـإذا سـخن ذلك النسـيم واحـترق أخرجه إلى الظاهر الخارج ، فإذا كان إدخال النفس أولا واخراجه ثانيا مقصود القلب [2] كـان إسـناد هـذا الفعل إلى القلب أولى من إسـناده إلى الـدماغ مع انه لا حاجة بالـدماغ البتة إلى النفس.

وقال جـالينوس : الصـوت لا ينبعث من القلب بل من الدماغ ، واستدل عليه من وجوه ثلاثة :

الأول أن الآلة الاولى للصوت هى [3] الحنجرة ، بدليل أنك

---

(1) المخطوطة : مبدأ الحس الخ
(2) أيضا : للقلب
(3) أيضا : هو

إذا أخرجت [1] قصبة الرية أسـفل من الحنجـرة لم يسـمع لهـذا الحيـوان بعد هـذه الحالة صـوت البتة ، فثبت ان آلة الصـــوت هى [2] الحنجـــرة ، والحنجـــرة مؤلفة من ثلاثة غضاريف ، وهذه الغضاريف إنما تتحـرك بعضـلات كثـيرة ، وتلك العضلات إنما تتحـرك بالأعصـاب والاعصـاب نابتة [3] من الدماغ ـ فثبت أن فاعل الصوت هو الدماغ.

الثانى انا نـرى عضل البطن يتمـدد [4] عند التصـويت بالصـــوت العـــنيف ، وأما القلب فإنه لا يناله التعب عند التصويت.

الثـــــالث أن القلب إذا كشف عنه ثم قبض عليه لم يبطل من الحيــوان صــوته ، وإن كشف عن الــدماغ ، ثم قبض عليه بطل فى الحال صوت ذلك الحيـوان ، فثبت أن مبدأ الصـوت هو الـدماغ لا القلب ، وعند هـذا تصـير هـذه الحجج حجة على أن محل القوة الناطقة هو الدماغ.

والجــواب انا بينا بالحجة القوية أن مبــدأ الصــوت هو القلب.

وأقصى ما فى الباب ان الـدماغ محتـاج إليه فى هـذا الفعل والرية وهذا لا يقدح فى قولنا.

الحجة السابعة أن القلب موضوع فى موضع يقــرب من أن يكون وسطا من البدن ، وهـذا هو اللائق بــالرئيس المطلق (الورقة 270 ظ) حــتى يكــون ما ينبعث منه من القوى يصل إلى جميع أطراف البدن على القسمة العادلة ، والدماغ موضوع فى أعلى [5] البدن وذلك ينافى حصول

---

(1) المخطوطة : خرجت
(2) أيضا : هو
(3) أيضا : ثابتة
(4) أيضا : تتحدد
(5) أيضا : اعاده

هذا المقصود.

الحجة الثامنة الناس يصفون القلب بالــذكاء والبلادة ، فيقولون لفلان قلب ذكى ولفلان قلب بليد.

وقال جالينوس : الناس إذا وصفوا إنسانا بــأن له قلبا قويا فمرادهم منه الشجاعة.

وإذا قالوا فلان ضعيف القلب أولا قلب له فالمراد هو الجبن ، الجـــواب أن هـــذا يـــدل على أن القلب موضع الغضب ، وهذا لا ينافى أن يكون القلب أيضا موضع الفهم والعلم.

احتج جالينوس بأن معـدن الإدراك والفهم هو الـدماغ بوجوه :

(الحجـــة) الأولى [1] ان الـــدماغ منبت الأعصـــاب ، والأعصـــاب آلة الادراك ، وما كـــان منشأ لآلة [2] الإدراك وجب أن يكون معدنا لقوة الإدراك ، فهذه مقدمات ثلاثة :

أما المقدمة الاولى فهى ان الدماغ منبت العصب ، والدليل عليه ان الأعصاب الكثـيرة موجـودة فى الـدماغ ، وأما القلب فإنه لا توجد فيه إلا عصـبة صـغيرة ، وإذا كـان كذلك وجب أن يكون الدماغ منشأ الأعصاب.

أما المقدمة الثانية وهى أن الأعصـــاب آلات الحس والحركة الإرادية ، فالدليل عليه انك لو كشفت عن عصبة وشــددتها وجــدت أســفل ما كــان من موضع الشد ، فإنه يبطل عنه الحس والحركة ، وما

---

(1) المخطوطة : الاول

(2) أيضا : للآلة

كـان اعلى منه مما يلى جـانب الـدماغ ، فإنه لا يبطل منه الحس ولا الحركة ، وهذا يدل على أن آلة الحس والحركة الإرادية هو العصب.

وأما المقدمة الثالثة وهى أنه لما كان الدماغ منشأ آلة الحس والحركة الإرادية ، وجب أن يكـون هو المعـدن لقوة الحس والحركة الإرادية ، والـدليل عليه أنه لما كـان قوة الحس والحركة إنما تصلان من الدماغ ثبت أن المنبع والمعدن لهذه القوة هو الدماغ.

الحجة الثانية وهى التى لحصناها لجالينوس أن نقـول لا حاجة بنا إلى بيـــان أن منبت العصب هو الـــدماغ أو القلب.

بل نقول لو كانت قــوة الحس والحركة الإرادية ، إنما تنفذ من القلب إلى الـدماغ ، لكنا إذا شـددنا على العصب خطا قويا وجب أن يبقى قوة الحس والحركة من الجـانب الّذي يلي القلب ، وأن يبطل من الجانب الّذي يلى الدماغ ، لكن الأمر بالضد فعلمنا أن قـوة الحس والحركة الإرادية تجــرى من الــدماغ إلى القلب ولا يجــرى من القلب إلى الـدماغ ، وهى الحجة الـتى لا يحتـاج فيها إلى المقـدمات التى ذكرناها فى الحجة الأولى وهى فى غاية الحسن.

الحجة الثالثة لجـــالينوس وهى قوله اتفق الحكمـــاء والاطبــاء على أن الحامل لقــوى الحس والحركة ، جسم لطيف نافذ فى الأعصـاب وهو الـروح ، فــإذا كـان الأمر كذلك ، فنقول : الدماغ ، لكونه مبـدأ ليكـون هـذا الـروح ، اولى من القلب ، وذلك لأنا نجد فى الــدماغ مواضع خالية ، والقلب ليس كذلك فـإن التجويف الايمن منه مملو دما [1] ،

(1) المخطوطة : مملوا

وإنما الشـــــبهة فى التجويف الأيسر ، فإنه يعتقد فيه أنه مملو [1] من الروح.

قـال جـالينوس : وليس الأمر كـذلك ، فـإن القلب إذا كشف عنه وابـرز من غـير أن يثقب ويخـرق أغشـيته ، لم يمت الحيوان فى هـذه الحالة ، حـتى انك يمكنك أن تبقى ســـــــــاعة طويلة تلمس ذلك القلب ، وتنظر إليه وهو مكشـوف تشـاهده وتحس أن نبضه فى هـذه الحالة مثل (الورقة 271 و) نبضه قبل ذلك بل هاهنا شـــرط وهو أنه لو برد صار النبض بطيئا ضعيفا متفاوتا حينئذ.

إذا عرفت هذا ، فنقـول : أنا إذا نقبنا التجويف الأيسر فى هذه الحالة سال منه دم ، ولو كـان فيه الـروح مملـوا به لوجب أن لا يسيل منه دم البتة ، ولو كان هذا التجويف فى بعضه روح وفى بعضه دم لوجب أن يخـرج الـروح أولا ، ثم يسيل الدم بعده ، وكـان يجب أن لا يسـيل الـدم فى الحال على هذا التقدير. ولما سال الـدم فى الحـال علمنا أن التجويف الأيسر مملو [2] من الدم.

وأيضا ، فـإن الحيـوان الّـذي مـات نجد فى التجويف الأيسر من تجويف قلبه علق الدم.

وأما الـدماغ فـإن جرمه مــزرد (35 ، فلا يبعد أن يحصل فى تلك الفصول اجزاء الروح.

الحجة الرابعة : العقل أشـــرف القـــوى فيجب أن يكون مكانه

---

(1) المخطوطة : مملوا
(2) المخطوطة : مملوا

أشرف الأمكنة اعلاها ، فـوجب أن يكـون مكـان العقل هو الـدماغ ، وهو بمنزلة الملك العظيم الّـذي يســكن القصر العــالى ، وأيضا الحــواس محيطة بــالرأس ، وكأنها خــدم للدماغ واقفة حوله على مراتبها.

وأيضا محل الـــرأس من البـــدن محل الســـماء من الأرض ، وكما أن الســـماء مــنزل الروحانيــات ، فكــذلك الدماغ وجب أن يكون مسكنا للعقل.

والجواب عن الحجة الأولى من وجوه :

الأول لا نسلم أن منبت العصب هو الدماغ ، قوله الاعصاب فيه كثيرة وقوته عند الـدماغ ، وقلته [1] وضـعفه عند القلب ، ولا يفيد مطامعكم إلا إذا ضممتم إليها مقدمة أخــرى ، وهى أن الكــثرة والقــوة إنما تكــون عند المبــدأ والقلة [2] والضـــعف عند المنتهى ، الا أنا نقـــول : هـــذه المقدمة غير برهانية بل هى منقوضة من وجوه :

الأول أن العصـــبة المجوفة فى العين تكـــون دقيقة عند المنشأ ، فإذا وصلت إلى قعر العظم الّذي فيه تتكون الحدقة ، غلظت هذه العصـبة واتسـعت. وهـذا نقض على هذه المقدمة.

الثانى ان الجثة التى يتولد منها ساق الشجرة تكــون اضعف بكثير من ساق الشجرة ، فلم لا يجوز ان العصبة [3] الصــغيرة الــتى فى القلب كالجثة الــتى منها انشــعبت الاعصاب الكثيرة فى الدماغ.

الثالث : لو صح كلام جالينوس لـوجب ان يقـال : ان مبدأ

(1) المخطوطة : وقلبه
(2) أيضا : الغفلة
(3) أيضا : العصب

العروق الضوارب هى الشـجنة [1] (36 الشـبيهة بالشـبكة الـتى فى الـدماغ لا القلب ، لأن الشـجنة [2] من العـروق الضـوارب عـدد لا يكـاد يحصى وهى فى غاية المشـابهة لعروق الشجرة ، فثبت ان تلك المقدمة التى عولـوا عليها منقوضة بهذه الصور الثلاثة.

الوجه الثانى : سلمنا ان الكـثرة والقـوة لا يحصـلان الا عند المبدأ الكثير ، ولا نزاع ان القلب منبت الشرائين ، ثم أنه لا شك ان اجـــرام الشـــرائين من جنس اجـــرام الاعصاب واذا كان كذلك لم يبعد ان تنبت الاعصاب منها.

فهذه مقـدمات ثلاثة : اما المقدمة الاولى فهى [3] ان القلب منبت الشرائين ، وذلك متفق عليه.

والثانية ان الشرائين من جنس الاعصـاب ، والـدليل عليه ان اجــرام العــروق تتفــرق وتنقسم الى الشــظايا الكثيفة (37 التى لا حس لها ، وهى نبض تكــون [4] عديمة الدم خلية عن حاسة فى أنفسها ، والاعصاب كذلك [5] فى جميع الصفات للدليل على أن اجرام الاعصاب غـير حاسة فى أنفسها ، إنك إذا شددت العصبة برباط يعنى شدا قويا (الورقة 271 ظ) صـــار ما هو أســـفل من موضع الشد عـــديم الحس ، وذلك يـــدل على أن جـــوهر العصب فى نفسه غير حساس ، وإنما تحرك [6] الشد قوة الحس

(1) المخطوطة : النشجية
(2) أيضا : النشجية
(3) أيضا : فهو
(4) أيضا : كونه
(5) أيضا : لذلك
(6) أيضا : يجرى

من موضع آخر ـ فثبت ان الشرائين والاعصـاب متشـاركة فى هـذه الصـفات ، وذلك يـدل ظـاهرا على أن جـوهر الشرائين من جنس جوهر العصب.

المقدمة الثالثة : وهى فى بيـان انه لما كـان الأمر كـــذلك لم يبعد أن يقـــال : الاعصـــاب إنما تولـــدت من الشرائين.

وبيانه أن هـذه الشـرائين إنما صـعدت من القلب إلى الدماغ ، إما لا يصال الدم إلى جوهر الـدماغ ، أو لا يصـال الـــروح إليه ــــ وعلى التقـــديرين ، فـــإن تلك الشـــرائين الصاعدة لا بد وأن تنقسم وتنشعب وتـدق وتصـغر وتنتهى فى تشعبها وتصعدها إلى الشـظايا (38 اللينية الشـعرية ، فعند هذه الحالة لما وصلت إلى قعر الدماغ وأمـاكن هـذه النافـــذة (39 لم يبعد ان تلف العـــروق اللينية الشـــعرية بعضـــها على بعض ، وتضم أجـــزاء بعضـــها على البعض ، وتحصل على صورة شكل الاعصاب ، ثم تحصل نازلة من الـدماغ إلى أسـفل البـدن ، وتسـتعمل تلك الشـظايا فى فعل آخر ، وهو ايصال الأرواح الدماغية إلى اقاصى البـدن ، ولا سيما والحكماء والاطباء اتفقـوا على مقدمة وهى ان الطبيعة متى امكنها الالتقاء بـالآلات القليلة لم تعـدل عنها إلى اعـــداد الآلات [1] الكثـــيرة ، فبهـــذا الطريق صـــارت الشرائين أعصابا.

ولما كـــان منبت العـــروق هو القلب وجب أيضا ان يكون منبت الاعصاب هو القلب بهذا الطريق الّذي ذكرناه ــــ وهـــذا قـــول ذهب إليه طائفة عظيمة من أصـــحاب أرسطاطاليس.

أجاب جالينوس عن هذا الكلام من وجهين : الأول :

---

(1) المخطوطة : آلات

قـــال : الـــدليل على أن الاعصـــاب ليست من جنس الشرائين بوجوه :

الأول أن الشرائين نابضة ، والأعصاب ليست نابضة.

الثـانى أن الشـرائين مجوفة ، والأعصـاب ليست مجوفة إلا القليل.

الثالث أن الشرائين محتوية على الدم بـدليل أنها إذا ثقبت جلب ذلك الثقب على صاحبه من انفجار الـدم أمـرا صعبا ، والعصب لا دم فيه البتة.

الرابع : ان الشرائين مؤلفة من طبقـتين ــ إحـداهما تنحل إلى أجـزاء ذاهبة فى العـرض على الاسـتدارة ، والاخـرى تنحل إلى أجـزاء تـذهب على الاسـتقامة فى الطول ــ وأما العصـبة [1] فهى تنحل إلى ليف أبيض عـديم الدم ذاهب على الاستقامة فى الطول.

الخامس : إنك إذا شددت العصبة حصل عـدم الحس والحركة الإرادية ، ولا تبطل منه حركة النبض ، وإن شددت الشريان بطل النبض ولم يبطل الحس والحركة.

السادس أن العصب يمسك عن فعله كثيرا ـ ألا ترى أن العصبة التى فيها تجـرى القـوة [2] الباصـرة إلى سـطح الجليدية قد تقف عن فعلها فى وقت النوم ، وكـذا القـول فى ساير الحواس الظاهرة ـ وأما الشرائين [3] فـإن فعلها ذلك دائم ، فثبت بهـذه الوجـوه أن الشـرائين ليست من جنس الأعصاب.

الثانى من الجواب عن هذا الكلام ، قـال جـالينوس : ان اصل

(1) المخطوطة : العصبية
(2) أيضا : الروح
(3) أيضا : الشريان

الشـريان المتولد من القلب ينقسم إلى قسـمين ــ قسم يصعد إلى جانب الرأس ، وقسم ينزل إلى أسفل البدن ـــ والقسم النـازل إلى أسـفل البـدن ، لا نشك انه ينقسم ويتفـرق إلى العـروق الـدقائق ، ثم انه يعـدم [بعد مـا] [1] (الورقة 272 و) صارت اعصابا ، فـوجب أن يكـون الحـال فى الشـرائين الصـاعدة إلى الـدماغ النافـذة فيها كـذلك أيضا.

قـال أصـحاب أرسـطاطاليس : أما الجـواب الأول فهو فى غاية الضعف ، وذلك لأن الصفات الـتى ذكرتموها للشريان ، إنما تكون حاصـلة حـال صـعودها إلى الـدماغ ، ونفوذها فى جوهره.

اما لم قلتم أنها بعد رجوعها عن جـــوهر الـــدماغ وتوجهها إلى أسفل البدن تبقى على تلك الصـفات؟ وبيانه أن المقصود من تخليق الشريان على تلك الصـفات الـتى ذكرتموها أن يكون لاصـعادها الـدم إلى الـروح من القلب إلى جوهر الدماغ ، فـإذا حصل هـذا المقصـود ، واصـاخت الطبيعة إلى اعداد آلة أخرى فى إيصال جـوهر الـروح من الدماغ إلى أسفل البـدن ، وإن تلك الشـظايا لا تصـلح لأن تكون آلة فى هـذا الفعل إلا عند إبطـال تلك الصـفات عن تلك الشـظايا ، لم يبعد أن تحـاول الطبيعة أبطـال تلك الصفات عنها ، وتحصل صفات أخـرى موافقة لهـذا الفعل الثانى ، هذا غير مستبعد فى الجملة ، وكيف لا نقـول ذلك ، وهـذه الشـرائين عند نفوذها فى جـوهر الـدماغ ، لا شك أنها تنقسم وتتصـغر جـدا ، فلا يبعد ان تـؤثر فيها طبيعة جرم الـدماغ ، من تلك الصـفات إلى صـفات أخـرى لائقة بالفعل الثانى ، لا سيما وانها لما تصغرت جدا

---
(1) العبارة غير واضحة

لم يبق بينها وبين الشـظايا العصـبية فـرق البتة ــ وعلى قولنا تبقى هنـاك ، إلا أن تلك العـروق المتصـغرة جـدا إذا رجعت من الدماغ متوجهة إلى اسـفل البـدن اشـبهت فى الحس بالخيوط الصـغيرة المضـمومة بعضـها إلى بعض ــ ويتولد من مجموع تلك الخيـوط الصـغيرة هـذه الاعصـاب المخصوصة المحسوسة ، فهذا الاحتمال لا يبطل البتة بما ذكره جالينوس.

وأما قوله الثـــانى فهو أيضا ضـــعيف ، لأن الأرواح القلبية كما صـعدت إلى جـوهر الـدماغ فى تلك الشـرائين المتصــغرة جــدا ، وبقيت فى ذلك الجــوهر تغـيرت تلك الشـرائين عن طبائعها بسـبب نفوذها فى جـوهر الـدماغ واختلاطها بـذلك الجـوهر ، ثم كـانت الطبيعة محتاجة إلى أعـداد آلة لا يصـال تلك الأرواح الدماغية من الـدماغ إلى أسفل البدن ، فحينئذ لم يبعد أن تجدها الطبيعة آلات لهذا الفعل الثـانى بخلاف الجــزء النــازل من الشــرائين إلى اســفل البــدن ، فإنها ما اتصــلت بعضو أخر يغيرها عن طبائعها ، وما حصلت فى أسفل البدن حاجة تقتضى إيجاد تلك الشــظايا الشــريانية آلات لتلك ـــ يظهر الفــرق بين الصورتين ، فهذا تمـام كلام أرسـطو على دليل جـالينوس فى أن منبت العصب الدماغ.

ثم أحتج أصـحاب أرســطو على أن منبت العصب هو القلب ، بأن قالوا أن الحركة الإرادية لا بد وأن تكــون بآلة صلبة قوية ، والدماغ ليس بجرمه شيء من الصلابة.

أما القلب ففيه أنواع من الصلابة : منها أن لحمه شديد قوى صلب أصلب من سائر اللحوم ،

ومنها أن فيه من الرباطـــات [والعضــلات] مقـــدارا كثيرا.

ومنها أنه لما كـان دائم الحركة وجب أن يكـون جرمه أقــوى الأجــرام اللحمية ، وإذا كــان كــذلك [فمن] جعل القلب منبت الاعصـاب الـتى هى آلات الحركـات القوية ، أولى ممن جعل الدماغ منبتا لها.

(الورقة 272 ظ) أجاب جالينوس عن هذه الحجة من وجهين :

الأول أن هـذا قيـاس يـدل على أن منبت العصب هو القلب ، والحس يـدل على أن منبت العصب هو الـدماغ ، والحس أقوى من القياس.

الثـــانى أن الهيـــولى لتحريك الأعصـــاب ليس هو العصب بل هو العضلات ، والعضلات مركبة من الاعصــاب والرباطات والاغشية واللحوم ، وهى مستندة إلى العظـام والاعصاب تفيـدها قـوة الحس والحركة الإرادية ما تختلط بها من الرباطــات والأغشــية [1] تفيــدها القــوة والشــدة والأمن من الانقطاع ، وعلى هذا التقدير فإنه لا يمتنع كون الدماغ منبتا للاعصاب.

قـال أصـحاب أرسـطاطاليس : أما الجـواب الأول فضــعيف ، لأن الحس لم يــدل إلا على كــثرة الأعصـــاب وقوتها عند الدماغ (40 وقلتها وضعفها عند القلب.

وقد بينا أن هذا القدر لا يـدل على كـون الـدماغ منبتا للاعصاب.

وأما الثانى فضـعيف جـدا لأن جـالينوس احتج بغلظ العصب وكثرته على تولده منه.

---

(1) المخطوطة : اغشية

وأصحاب ارسطو عارضوه فقـالوا : إن كـان هـذا الوجه يدل على قولكم بأن كون الـدماغ لينا والعصب قويا يمنع من تولـده منه ، بل كـون العصب قويا صـلبا (41 مع كـون القلب قويا صــلبا يــدل على كــون العصب نابتا من القلب فسقط كلام جالينوس بالكلية.

فهـذا خلاصة المنـاظرة الـدائرة بين الفـريقين فى أن منبت العصب هو الدماغ أو القلب.

النوع الثانى من الجواب عن شبهة جالينوس

أن نقـــول : ســـلمنا أن منبت العصب من الـــدماغ ، وسـلمنا أن العصب آلة الحس والحركة ، لكن لم قلتم أنه يلزم من كون الدماغ معدنا لقوة الحس والحركة الإرادية.

فبيانه أنه لا يبعد أن يكـون معـدن الحس والحركة هو القلب وهو معدنه ، ثم أن الـــــــدماغ ينقل إلى القلب آلة ثانية منه ليســـــتفيد بتلك الآلة قـــــوة الحس والحركة من القلب ، وإذا كان هذا الاحتمال قائما سقط كلام جالينوس بالكلية.

أما الجــواب عن الحجة الثانية فى نصــرة قــول جالينوس ، وهى التى لخصناها ، أن نقول لم لا يجــوز أن يقال أن الروح القلبى يكون فى غاية الحـرارة. فـإذا كـان بينه وبين الـــدماغ منفذ مفتـــوح وصل تبريد الـــدماغ إليه فاعتــدل واســتعد لقبــول قــوة الحس والحركــة. فأما إذا افسد المنفذ انقطع أثر تبريد الـــدماغ ، فلا جـــرم لم يبق مستعدا لقبول قـوة الحس والحركـة. فبطلت هـذه القـوة من الجانب الّذي يلي القلب ، وإنما لم يبطل من الجــانب الّذي يلى الدماغ ، لأن الشرائين فى الدماغ

كثيرة جـدا وكلها مؤدية إليه قـوة الحـرارة من القلب إلى الحس والحركة

وأما الجــواب عن الحجة الثالثة فهو أن نقــول هــذا الكلام إن صح فهو يقتضي أن لا يكـــــون فى القلب روح أصـلا. وجـالينوس لا ينـازع فى كـون القلب معـدنا للارواح الحيوانية ، ويســلم أن الــروح الحيــوانى إنما يصــعد من القلب إلى الدماغ ، ويصير هناك روحا نفسانيا نطقيا.

وأما الجواب عن الحجة الرابعة فهو أن نقول إنها من الاقناعيـــــات الضــــعيفة ، وقد ذكرنا من جانبنا [حججا اقناعيـات (الورقة 273 و) من] جنســها بل أقــوى منها ، فهذا آخر الكلام المنقح فى هذه المسألة.

واعلم أن جــالينوس صــنف كتابا ســماه ابقــراط وافلاطن ، ومقصـوده ليس إلا هـذه المسـألة ، وهو كتـاب طويل ، وقد طالعته واستخرجت زبدة كلامه وضممت إليه وجوها كثيرة ، كما ترى ، واوردته هاهنا.

الفصل السابع

فى شرح قوى النفس

اعلم ان النفس الانســانية لها قــوى نباتية ، وقــوى حيوانية ، وقوى انسانية.

فاما القــوى النباتية : فــاعلم ان جسد الانســان مخلـوق من المـنى ودم الطمث ، وهما جـوهران حـاران رطبان فبدن الانسان ما دام يكون حيا يكـون حـارا رطبا ، والحرارة اذا عملت فى الرطوبة اصعدت

عنها الحرارة بسبب تصاعد تلك الاجـزاء البخارية عن ذلك الجـوهر ، فبسـبب ذلك يقع فيه الـذبول والانحلال ، فـدبر الخـالق الحكيم فى تـدارك ذلك فـاودع فيه القـوة الغاذية حتى انها تورد من اجزاء الغذاء ما يقوم بـدل تلك الاجـزاء المتحللة.

اذا عرفت هـذا فنقـول : لا بـدّ من قـوة جاذبة للغـذاء وقوة ماسكة له لتبقى تلك الاجـزاء المجذوبة ، ومن قــوة يتصرف فيها ويحللها الى موافقة بدل المغتذى ، ومن قوة دافعة لتدفع الاجزاء الفضلية [1] التى هى غير ملائمة لبـدن المغتذى ، ثم اذا حصـلت تلك الاجـزاء الصـالحة لأن تقـوم مقــام الاجــزاء المتحللة ، ولا بد من قــوة تقيم بــدل تلك الاجزاء المتحللة ، وهذا الفعل انما يتم بامور ثلاثة :

احدها ان تورد تلك الاجزاء الغذائية على جــواهر تلك الاعضاء.

وثانيها ان تلصقها ،

وثالثها ان تشبهها بها.

وبمجموع هذه الافعال الثلاثة يحصل بعد الاغتــذاء من اقطار هذه الثلاثة ، وهى فعل الانماء وقـوة أخـرى تنفصل من تلك الاجزاء الغذائية بعد وصولها الى جـواهر الاعضـاء وسـيرتها من التشـبيه بها ، وتـوزع منها قـوة مولـدة وهى فعل التوليد ، فالقوى النباتية هى هذه التى عددناها.

ثم من الحكماء من زعم ان هذه قوى مختلفة متباينة بناء على ان

---

(1) المخطوطة : العضلية

الواحد لا يصــدر عنه الا الواحد ، ومنهم من قــال انه ليس هناك إلا قوة واحدة الا انها تختلف افعالها بسبب الشرائط ، ففى الابتداء تجذب وبعد الجذب تمسك ، وبعد الامســاك تتصــرف بها آثــار الهضم والاحالة ، وبعد هــذا الفعل تــدفع الفضــول الموذية ، وانها فى تصــرفها بعد تحصــيل جــوهر الــدم تــورد تلك الاجــزاء الدموية النضــيجة على جــواهر الاعضــاء الاصــلية ، ثم تلصــقها بها ، فــالقوة واحــدة لكن اختلفت افعالها لاجل اختلاف شرائطها واحوالها.

واما القوى الحيوانية فهى إما ان تكــون محركة او مدركة ، فان كانت محركة ، فهى اما مباشــرة للتحريك او باعثة عليه ، اما المباشرة للتحريك فهى القوى الموجــودة فى العضلات التى من شانها ان تحركها تــارة الى الجــذب وتارة الى الدفع.

واما الباعثة فلها مــراتب : المرتبة الاولى من تلك القــوى العضــلية هى الإرادة الجازمة ، والشــوق الجــازم ، وهــذه الإرادة الجازمة انما تتولد من شــهوة القــوة علقة تجذب الملائم او من غضب يتعلق [1] بدفع المنافى ، وهذه الشــهوة والغضب انما يتولــدان من شــعور (الورقة 273 ظ) الانســان يكــون الشــيء ملائما او بكونه منافيا ، فــإن حصل الشعور يكون الشــيء ملائما تــرتب عليه الميل عن هــذا الشــعور ، وان حصل الشــعور بكونه منافيا تــرتب الغضب على هذا الشعور ،

ثم هذا الشعور قد يكون مختلفا [2] وقد يكون فكريا.

اما القــــوى المدركة ، فهى إما القــــوى المدركة الظاهرة وهى الحواس الخمسة ، [3] وإما القــوى المدركة الباطنة وهى عندهم خمسة ـ

(1) المخطوطة : متعلق
(2) أيضا : مختلفا
(3) أيضا : الخمس

وطريق الضبط ان نقول : هذه القوى الباطنة إما مدركة ، وإما متصرفة.

اما المدركة ، فإما ان تكـــــون مدركة [1] لصـــــور المحسوســـات ، وهى القـــوى الـــتى تجتمع فيها صـــور الحواس الخمسة وهى المسماة عندهم بالحس المشترك ـ وإما ان تكـون مدركة للمعـانى الجزئية الـتى لا تكـون محسوسة لكنها تكـــون قائمة بالمحسوســـات ، وهو مثل حكمنا بأن هذا الشـخص صـديق وذاك الآخر عـدو ، وهـذه القـــوة هى المســـماة بـــالوهم ، ثم لكل واحد من هـــاتين القـــوتين خزانة ، فخزانة الحس المشـــترك هو الخيـــال ، وخزانة الوهم هى الحافظة ، والمجموع أربعة.

وأما المتصـرفة فهى القـوة الـتى تتصـرف فى هـذه الصور الجزئية ، والمعانى الجزئية بالتركيب تارة والتحليل أخـــرى ، وهى المســـماة بـــالقوة المفكـــرة ، فهـــذه هى الحواس الخمسة [2] الباطنة.

وأما النفس الإنســـانية فقـــالوا : لها قوتـــان : نظرية وعملية [3].

وأما النظرية فهى القـــوة الـــتى باعتبارها يســـتعد جوهر النفس لقبول الصور الكلية المجردة.

وأما العملية [4] فهى القـــوة الـــتى باعتبارها يســـتعد جوهر النفس لتدبير هذا البدن ، والقيـام باصـلاح مهماته ، فهذا القول فى ضبط القوى النفسانية.

وأعلم أن الفلاسفة فرعوا هذه الاقوال على القـوى ، فاســـندوا كل فعل على حـــدة إلى قـــوة على حـــدة ، ثم زعموا أن بعضها قوى

---

(1) المخطوطة : يكون مدرك
(2) أيضا : الخمس
(3) أيضا : علمية
(4) أيضا : العلميه

جسمانية ، وبعضـها قـوى روحانية ، أما نحن فقد أثبتنا فى جملة كتبنا أن جميع هذه الإدراكـات لجـوهر النفس وجميع هذه الأفعال لجوهر النفس ، وكل عضو من اعضاء البــدن فهو آلة النفس بحسب فعل خـــــاص من أفعالهــــا. فآلة النفس فى الأبصار هى [1] العين ، وفى السماع هو الاذن ، وفى النطق هو اللســان ، ولما قررنا الــدلائل الدالة على تصـحيح هـذا الفعل [2] فى كثـير من كتبنا لم يكن بنا حاجة إلى الاعادة فى هذا الباب.

الفصل الثامن

فى بحث يتعلق بالألفاظ والعبارات

هاهنا الفـــــــــاظ أربعة (1 : وهى النفس والعقل والروح والقلب.

وقد تذكر هذه الألفاظ ويـراد بها جــوهر النفس ، وقد تذكر والمراد منها [3] غير ذلك.

وأما النفس فقد يـــذكر ويــــراد بها الأخلاق الذميمة ، والعقل يـذكر ويـراد به العلـوم الضـرورية ، والـروح يـذكر ويــراد به العضو المخصــوص المحســوس ، فلتكن هــذه الاصـــطلاحات معلومة لئلا يقع الحبط بســـبب اشـــتراك الألفاظ.

---

(1) المخطوطة : ففى
(2) أيضا : الفصل
(3) أيضا : فيها

الفصل التاسع

فى نسبة هذه القوى إلى جوهر النفس

اعلم أن العلماء ذكروا فى هذا الباب أمثلة كثيرة :

المثال الأول (1 هو أن جوهر النفس كالملك والبدن مملكته ، ولهـذا الملك جنـدان (2 جند يـرى الأبصـار وهو الاعضــاء الظــاهرة ، وجند يــرى بالبصــائر وهى القــوى المذكورة.

واعلم أن لوجــــود هـــــذه القــــوى (الورقة 274 و) المعنوية فى تكميل مصــالح النفس وفى تكميل مصــالح البدن (قوة) اخرى.

أما النـوع الأول من المعنوية فهو أن كمـال النفس الناطقة فى أن تعرف الحق لذاته والحيز لأجل العمل به ، لكن عمل الحــيز مشــروط أيضا بنــور العرفــان ، فــاهم المهمــات للنفس اكتســاب العرفــان ، إلا أنها خلقت فى مبــدأ الأمر خالية عن معرفة أكــثر الأشــياء لكنها أعطيت الحــواس الظــاهرة والباطنة حــتى أن النفس إذا أحست بواسطة هذه الحـواس بالمحسوسـات تنبهت لمشـاركات بينها وبين مبانيــات فتتمــيز [1] عند جــوهر النفس عما به اشـتراك تلك الاشـياء (و) عما به امتيازها ، وحينئذ يحصل فى النفس تلك الصورة المجردة.

ثم أن تلك الصورة على قســمين : منها ما يكــون مجرد تصوراتها موجبا جزم الذهن باسناد بعضها إلى بعض بــالنفى والاثبــات. ومنها ما لا يكــون كــذلك ، والأول هو البديهيات ، ولا بد من الاعتراف

---

(1) المخطوطة : فتتحيز

بوجودهـا. إذ لو لم يكن لها وجـود لافتقر جـزم الـذهن فى كل قضـية إلى الاسـتعانة بغيرها ، فيلـزم إما الـدور وإما التسلسل.

القسم الثانى : وهو الّـذي لا يكـون مجـرد تصـورها موجبا جـزم الـذهن فيها بـالنفى والاثبـات. وهى العلـوم المكتسـبة النظرية ، فثبت أنه لو لا هـذه الحـواس لما تمكنت النفس من تحصيل المعارف البديهية ولا النظريـة. ولـذلك قيل : من فقد حسا فقد علما ، فهـذا بيـان معونة الحـواس فى تكميل جـوهر النفس ، وأما معونتها فى تكميل جوهر البدن وذلك لأنا لما بينا أن البدن بكونه حـارا رطبا يكون أبدا فى التحليل والذبول ، ولأجل هـذا السـبب يحتاج إلى ايراد بدل ما يتحلل عنه ، ولا بد من التمييز بين ما يكون ملائما وبين ما يكون منافيا.

فهـذه الحـواس لها معونة فى أن يحصل للإنسـان وقـوف على ما ينفعه ويضـره ، فحينئذ يشـتغل بجلب المنـافع ودفع المضـار ، فهـذا بيـان معونة الحـواس فى تكميل جوهر البدن.

وأعلم ان السعى فى إصلاح مهمـات جـوهر النفس ، وذلك لأن النفس إنما دخلت فى هـذا العـالم الجسـمانى لتكتسب العلم النـافع والعمل الصـالح ، وكل آلة النفس فى هذا الاكتساب هو هذا البدن ، وما لم تكن الآلة صالحة لم يقـدر المكتسب على الاكتسـاب ، فثبت ان الاشـتغال بإصلاح مهمات البدن سعى فى إصلاح مهمات النفس.

المثـال الثـانى : القلب فى البـدن كـالوالى وقـواه وجوارحه بمنزلة الملك والقـوة العقلية المفكـرة (3 كالمشير الناصح ، والشهوة كالعبد [1] الّذي يجلب الطعـام إلى المدينة ، والغضب كصاحب الشرطة ، ثم إن

(1) المخطوطة : كالعبيد

الشهوة الـتى هى كالعبد الجـالب للطعـام إلى المدينة قد يكون خبيثا مكارا مخادعا يتمثل بصورة الناصح لكن يجلب نصـحه كل شر هائل ، وسم قاتل ، وتكـون عادته منازعة الوزير الناصح فى كل تـدبيره ، وكما أنه يجب على الملك العاقل أن يسلط وزيره الناصح على العبد الجالب للطعام المخـادع ثم على صـاحب الشـرطة ، وان لا يلتفت إلى تخليطها فى حق الـوزير ، ليسـتقيم أمر المدينة ، فكـذا [1] النفس الناطقة متى اسـتنار بنـور العقل واستضـاء بضـوء العلم والحكمة ، وجعل الشـهوة والغضب مقهـورين استقام أمر هذه الحياة الجسمانية (الورقة 274 ظ) ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعـالى فى حقه :

(**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ**). وقال : (**وَاتَّبَعَ هَـواهُ** (4 ، **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ**) [2] (5 ، وقال : (**وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى** (6 ، **فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى**).

المثـال الثـالث : البـدن كالمدينة (7 ، والنفس الناطقة كالملك ، والحـواس الظـاهرة والباطنة كـالجنود والاعضـاء كالرعية والشـهوة والغضب كعـدو ينازعه فى مملكته ويسـعى فى اهلاك رعيته ، فـان قصد الملك قهر ذلك العـدو اسـتقامت المملكة وارتفعت الخصـومة ، كما قـال الله تعـالى : (**فَضَّـلَ اللـهُ الْمُجاهِـدِينَ بِـأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ عَلَى الْقاعِـدِينَ دَرَجَـةً**) (8 ـ وان لم ينـازع عدوه وضيع مملكة اختلت مملكته ، وصـارت عاقبة امـره الى الهلاك.

المثال الرابع : مثل النفس الناطقة مثل فـارس (9 ركب لأجل

(1) المخطوطة : فكذى
(2) أيضا : القلب ،

الصيد ، فشهوته فرسه وغضبه كلبه ، فمتى كان الفـارس حاذقا وفرسه مرتاضا منقـادا وكلبه معلما كـان جـديرا بـالنجح ، ومـتى كـان فى نفسه اخـرق ، وكـان الفـرس جموحا ، والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته على حسب ارادته ولا كلبه يسترسل باشـارته فهو خليق بـان يعطب فضلا من ان ينال ما طلب.

المثال الخامس : اعلم ان بدنك نسـبته نسـبة الـدار الكاملة التى بـنيت واكملت بنوتها وخزانتها وفتحت ابوابها ، واعد فيها كلما يحتـاج إليه صـاحب الـدار ، فـالرأس كالغرفة فى اعلى الدار والثقب التى فى الـرأس والمنافذ كالروازن والرواس فى غرفة الـدار وسط دماغه كـالانوار فى الدار والعين كباب الغرفة ، والانف كالطاق الّذي فوق باب الـدار ، والشـفتان كمصـراعى البـاب [1] ، والاسـنان كالبوابين ، واللسـان كالحـاجب ، والظهر كالجـدار القـوى الّذي هو حصن الدار ، والوجه كصـدر الـدار ، والرية الـتى هى الجاذبة للنفس البـارد كـالبيت الصـيفى ، وجريـان النفس فيها كـالهواء الّـذي يجـرى فى الـبيت الصـيفى ، والقلب مع حرارته الغريزية كالبيت الشتوى ، والمعدة مع نضج الغـذاء فيها كـالمطبخ ، والكبد مع حصـول الـدم فيها كبيت الشراب ، والعـروق الـتى يجـرى فيها الـدم كما لك الـدار ، والطحـال بما فيه من السـوداء كـالجوابى [2] (10 التى بقيت فيها الدرديات والمـرارة بما فيها من الصـفراء الحارة كبيت السـلاح ، والامعـاء بما فيها من ثفل الطعـام كبيت الخلاء ، والمثانة بما فيها

---

(1) المخطوطة : الدار
(2) أيضا : كالخوالى

من البـول كـبيت البـير ، والمسـيلان [1] فى اسـفل البـدن كالمواضع التى تخرج منها القاذورات من الدار ، والرجلان كـــالمركب المطيع ، والعظـــام مع بنـــاء الجسد عليها كالخشب التى عليها بناء الدار ، واللحم فى خلال العظـام كالطين والعصب الذي يربط به بعض العظام كالصناديق ، فسـبحان من هيأ فى بيت بـدنك بمسـامير نفسك الناطقة هـذه المصـالح العجيبة والبـدائع الغريبة ، فهـذا ما يتعلق ببيوت هذه الدار.

ثم ان النفس الناطقة فى هـــــذه الـــــدار كالملك والمتصـــرف ، فيبصر بـــالعين ويســـمع بـــالإذن ، ويشم بـــالمنخرين ، ويــذوق باللســان ، وينطق بــالفم ، ويمسك باليــدين ، ويعمل الصـنائع بالاصــابع ، ويمشى بــالرجلين ، ويــبرك على الركبــتين ، ويقعد على الاليــتين ، وينــام على الجنــبين ، ويســتند بــالظهر ويحمل الاثقــال على الكتفين ويتخيل (الورقة 275 و) بمقـــدم الـــدماغ ويتفكر بوسط الدماغ ، ويتذكر بمؤخر الدماغ (11 ، ويصوت بالحنجرة ، يستنشق الهـــواء بالخيشـــوم ، ويمضغ بالاســـنان ويبتلع بـــالمريء ، والمقصـــود من كل هـــذه الآلات والأدوات أن يتحلى بحلية العلم أى يتكيف بكيفية العرفان ، وتصير هذه النفس متنفسة [2] بنفس الملكوت ، متحلية بنور اللاهوت.

ثم أنه تعالى فـوض تـدبير هـذه المملكة إلى ثلاثة من الرؤساء (12 :

وأحد منهم هو الشـــهوة وســـلطنتها فى الكبد وجريانها مع الدم فى

---

(1) المخطوطة : السيلان
(2) أيضا : منتفسه

العروق الساكنة ، ولهذا المعنى قال عليهالسلام : «ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم (13 ، وذلك لأن القوة الشهوانية لا تسرى إلا من الكبد مع الدم فى العروق».

والرئيس الثانى منهم هو قوة الغضب ومسكنها القلب وهى تجرى فى العروق المتحركة إلى جميع أطراف البدن.

والرئيس الثالث القوة النفسانية المدبرة ومسكنها الدماغ ، وهى تجرى فى الأعضاء إلى جميع أطراف البدن.

ثم هؤلاء الرؤساء الثلاثة ليسوا أشياء متباينة مستقلة بأنفسها بل هى كالفروع المتفرعة من أصل واحد ــــ والاغصان النابتة من شجرة واحدة ، والمنبع الّذي يتشعب منه ثلاثة أنهار ، والأب الّذي يتولد منه أولاد كثيرون ، وكرجل يعمل أعمالا ثلاثة تسمى بثلاثة أسماء : الحداد والمصايغ والبناء.

فهذه الثلاثة كملوك الأطراف الذين ولا هم الملك الأعظم ، فالشهوة تشبه أفعالها أفعال النساء والصبيان والحمقى من الناس إذا لم يرد بهم آباءهم وأزواجهم ، والغضب تشبه أفعاله أفعال العيارين والقتالين إذا لم يرد بهم الملوك ، والقوة النفسانية المدبرة تشبه أفعالها أفعال الحكماء والفقهاء وأهل الخير والصلاح.

الفصل العاشر

فى ان النفس الناطقة هل هى شــيء متحد بالنوع أو مختلف

بالنوع؟

نقل محمد بن زكريا عن القـدماء لا سـيما أفلاطن أن جميع النفوس الإنسانية متسـاوية في الجـوهر والماهية إلا أنها لأجل الآلات [1] المختلفة تختلف أفعالها ، ولأجل هــــذا المذهب جوزوا التناسخ على النفوس.

أما الشـــــيخ أبو [2] على بن ســــينا ، فإنه نقل عن أرسطاطاليس واتباعه ان النفوس البشـرية نـوع مخـالف بالماهية والحقيقة لنفوس سائر الحيوانات إلا أن النفــوس البشـرية ماهية واحـدة نوعية ، وإنما يخـالف بعضـها بعضا بالــذكاء والبلادة والعفة والفجــور وســائر الأخلاق بســبب اختلاف الامزجة البدنية ، وهذا هو الّـذي بصـره الشـيخ أبو على ، وذهب جماعة من قــــدماء الحكمــــاء وجماعة من المتأخرين ان النفوس الناطقة البشرية جنس يـدخل تحته أنواع ، وقد يكون بعضها يخالف البعض فى الماهية الذاتية والطبيعية الحقيقية ، فيكون بعضـها خـيرا لذاته ، وبعضـها شريرا لذاته.

ثم إن القائلين بهـذا القــول تـرددوا فى أنه هل حصل في الوجود نفسان متساويان فى تمـام الماهية لا الحقيقة ، أو لم يوجد فى ذلك بل يكــون كل نفس بــأن نوعها لم يحصل إلا فى شخصها شخص واحد.

---

(1) المخطوطة : آلات

(2) أيضا : ابن

وأعلم ان الأقــوال النبوية دالة على أن النفــوس البشرية قد تكون (الورقة 275 ظ) مختلفة بالماهية (1 ــ قال عليهالسلام : «الناس معادن كمعادن الـذهب والفضة (2 ، وقال : النفوس جنود مجندة (3 ، وقال فى الكتاب الالهى : فطــرة الله الــتى فطر النــاس عليها ، لا تبــديل لخلق الله» (4.

والّــذي يــدل على أن النفــوس الناطقة قد تكــون مختلفة بالماهية والحقيقة هو انا نـرى الإنســان قد يكـون مجبــولا على الشر والنذالة ، ولو أن ذلك الإنســان يحمل من المجاهدات ما لا يمكن الزيادة عليه لم يتغير أصلا عن طبيعة الإيـذاء ، بل قد يصـير بسـبب المجاهـدة أو بسـبب الزواجر أن يــترك تلك الأفعــال فلا يقــدم عليها ، فأما لو تـــرك بنفسه مع مقتضى أصل جبلتها فإنها تميل إلى ذلك الشر ، وأيضا ربما انتقل مزاجه من الحـرارة إلى الـبرودة ومن الرطوبة إلى اليبوسة وبـــالعكس ، ويكـــون مقتضى أصل خلقته ما فيه ولا يتغير.

وأيضا قد يكون الإنســان بخيلا بمقتضى أصل الفطـرة ، ثم أنه لو صـار ملك الأرض وملك خـزائن الـدنيا ، فإنه لا يــزول عن جــوهر نفسه ذلك البخل ، وقد يكــون جــوادا بمقتضى أصل الفطرة ـ فلو صــار مع ذلك أفقر الخلق ثم وجد قليلا من المـال فإنه لا يـزول عن جـوهر فطرته ذلك الجود.

فلما رأينا هــذه الأحــوال الأصــلية لا تنتقل ولا تتبــدل الامزجة ولا بـــاختلاف المعلمين (علمنـــا) أنها من لـــوازم الماهية الأصــلية ــ فأما إذا رأينا انســانين متســاويين فى الجود والبخل والسرقة والقوة وغيرها من الصفات ، فهذا لا يدل على تساوى تيك النفسين فى تمام الماهية ،

لما ثبت أن الأشـــــياء المختلفة لا يمتنع اشـــــتراكها فى اللوازم الكثيرة ، فعلى هـذا لا يمكننا القطع يتماثل شـيء من النفوس بل يبقى الاحتمال فى أصل الكل.

احتج من قـــال بتماثل النفـــوس البشـــرية فى الماهية بـأن قـال لا شك أنها متسـاوية فى كونها نفوسا ناطقة ، فلو اختلفت بعد ذلك فى أمر آخر دار بها [1] ، لكان ما به المشاركة غـير ما به الممـايزة ، فيلـزم وقـوع التركيب فى ذات كل واحد من هذه النفوس.

وكل مركب فإنه جسم ، فالنفس الناطقة جسم ، هذا خلف.

واعلم أن هذه الحجة ضعيفة لوجوه :

الأول أنه لا معـنى لكونها نفوسا إلا أنها امـور مـدبرة لهذا [2] البـدن ، وكونها مـدبرة لهـذا البـدن وصف إضـافى عرضى ـ فلم لا يجـوز أن يقـال جـوهر النفس مختلف فى تمـام ذواتها ، وإنما اشـتراكها فى هـذه الصـفة العرضـية الخارجية ، وعلى هذا التقدير لا يلـزم وقـوع الـتركيب فى ماهياتها ، فإن البسائط الموجودة المختلفة بتمام ماهياتها مشتركة فى كونها موجودة ومـذكورة ومعلومة ولم يلـزم وقوع التركيب منها.

الثانى سلمنا أن النفوس البشرية متساوية فى صفة ذاتية ، ثم أنها مختلفة أيضا فى صـــفة ذاتية فلا نـــزاع انه يلزم كونها مركبة فى ماهياتها ، فلم قلتم أن هذا التركيب محال.

أما قوله كل مركب جسم فهو مما لم يثبت بالبرهـان ، والّذي

(1) المخطوطة : دلرها
(2) أيضا : لهذه

يدل على قولنا أن الحكمـاء قـالوا ، الجـوهر جنس يـدخل تحته أقسـام خمسة : العقل والنفس ، والجسم والصـورة والهيولى.

فنقول : العقل يشـارك الجسم فى الطبيعة الجنسـية الجوهرية ، ويخالفه [1] فى خصــوص كونه عقلا ، فيكــون العقل المجـرد مركبا [2] ومشـتركا فى ماهيته مع أنه ليس بجسم ، فكذا [3] هاهنا.

(الورقة 276 و)

الفصل الحادى عشر

فى بيان أن اللذات العقلية أشرف وأكمل من اللذات

الحسية ،

اعلم أن الغــالب على الطبــائع انفاسه ، وإن أقــوى اللـذات وأكمل السـعادات لـذة المطعم والمنكح والملك ، فـان لا يغتـذوا [4] لـذة ، ولا ليجـدوا المطـاعم اللذيـذة فى الآخرة ، ولا ليجدوا المنـاكح الشـهية هنـاك ، وهـذا القـول يزول عند المحققين وارباب المجاهدات ويدل عليه وجـوه :

الحجة الاولى لو كانت سعادة الإنسان متعلقة بقضــاء الشهوة وإمضاء الغضب لكان الحيوان الّذي هو أقـوى فى هذا الباب ألذ وأقوى (1 من الإنسان ، فالأسد أقــوى على تسلط الغضب والعصفور أقوى على

---

(1) المخطوطة : ومخالفها
(2) أيضا : حركتا
(3) أيضا : فكذى
(4) أيضا : فان لا تعبدوا

النكاح من الإنسان ، ولما لم يكن كـذلك علمنا ان سـعادة الإنسان غير متعلقة بهذه الأمور.

الحجة الثانية : كل شـيء يكـون سـببا لحصـول السعادة والكمال ، فكلما كـان ذلك الشـيء أكـثر حصـولا كـانت السـعادة والكمـال أكـثر حصـولا ، فلو كـان قضـاء شهوة البطن والفرج سببا لكمال حـال الإنسـان وسـعادته لكان الإنسان كلما أكثر اشتغالا بقضـاء الشـهوات البطنية والفرجية كـان أكمل إنسـانية وأعلى درجة ، لكن التـالى باطل ، لأن الإنسـان إذا أكل بقـدر الحاجة ، فـإن زاد على ذلك كـان مضـرا (2 وعد عليه ذلك من الـدناءة والنهمة ، وكـذا [1] القـول فى جميع اللـذات البدنية ، وإذا كـان الأمر كـذلك ثبت أن الاشـتغال بقضـاء الشـهوات ليس من السعادات والكمالات بل من دفع الحاجات.

الحجة الثالثة : أن الإنسـان يشـاركه فى لـذة الأكل والشـرب جميع الحيوانـات ، (حـتى) الخسيسة منها ــ فلو كانت هى السعادة والكمـال لـوجب أن لا يكـون للإنسـان فضـيلة فى ذلك على الحيوانـات ، فـإن الجعل يلتذ بأكل السرجين كما يلتذ الإنسان بالسكر واشباهه.

وتقرير هـذا أن نقـول : لو كـانت سـعادة الإنسـان متعلقة بهـذه اللـذات الحسـية لـوجب أن يكـون الإنسـان اخس الحيوانـات ، والتـالى معلـوم الفسـاد بالضـرورة ، فكذلك المقدم فليس وجه الملازمة.

فنقول : إن الحيوانـات الحسيسة مشـاركة للإنسـان فى هذه اللذات

---

(1) المخطوطة : كذى

الحسية البدنية ، إلا أن الإنسان تنتقص عليه هـذه اللـذات بسـبب حصـول القـوة العقلية ، فـإن العاقل إذا تأمل فى الماضى ، فـذلك الماضى إن كـان لذيـذا طيبا تـألم قلبه بسـبب فواته ، وإن كـان منافيا مؤذيا تـألم قلبه بسـبب تذكره ـ وإن تأمل فى الحال فهو لا يرضى بما كـان حاصلا بل يطمع [1] نفسه إلى الزيـــــادة عليها ، وإن تأمل المسـتقبل لم يعـرف أن حاله فى المسـتقبل كيف يكـون فيسـتولى عليه الخـوف الشـديد ، فثبت ان الحيوانـات الخسيسة مشاركة للإنسان فى اللذات الحسـية البدنية إلا أن الإنسـان تنتقص [2] عليه تلك اللـذات بسـبب العقل وسـاير الحيوانـات لا تنتقص [3] عليها ولا تفتكر فيها لكونها فاقدة العقل.

ومعلوم أن حصول الكمال بشرط الخلو عن التنقيص [4] يكون أشـرف من حصـوله مع الكد والنقص [5] ، وذلك يدل على أن هذه اللذات الحسية البدنية لو كـانت (الورقة 276 ظ) موجبة لكمـال الحـال لكـان الإنسـان اخس من النمل والدود والذباب ، ولما كان هذا التالى بـاطلا ، علمنا أن هذه اللذات الحسية موجبة للغبطة والسعادة.

الحجة الرابعة أن هذه اللذات الحسـية إذا بحث عنها فهى ليست لـذات (3 بل حاصـلها يرجع إلى دفع الآلام ـــ والدليل عليه أن الإنسان كلما كان أكثر جوعا كان التـذاذه بالاكل اتم ، وكلما كان الجوع أقل

---

(1) المخطوطة : يطمح
(2) أيضا : تتنغص
(3) أيضا : تتنغص
(4) أيضا : التنغيص
(5) أيضا : مع المكد والمنغص

كــان الالتــذاذ بالأكل أقل ، وأيضا إذا طــال عهد الإنســان بالوقـــاع واجتمع المـــنى فى أوعيته ، حصـــلت فى تلك الأوعية دغدغة شـــديدة وتمـــدد وثقل وكلما كــانت هــذه الأحوال أكثر كانت اللـذة الحاصـلة عند ادفـاع ذلك المـنى أشد ، ولهـذا السـبب فـإن لـذة الوقـاع فى حق من طـال عهده بالوقاع يكون أكمل منها فى حق من قرب عهده به ــ فثبت أن هـذه الأحـوال الـتى ظن انها لـذات جسـمانية فهى فى الحقيقة ليست إلا دفع الآلام ــ وهكـذا[1] القـول فى اللــذة الحاصــلة بســبب لبس الثيــاب فإنه لا يمثل[2] لتلك اللذة إلا بدفع ألم الحر والبرد.

ولما ثبت أن هذه اللـذات الجسـمانية لا حاصل لها إلا دفع آلام ، فنقول : سعادة الإنسان ليست عبــارة عن رفع الآلام ، لأن هذا المعـنى كــان حاصلا عند عدمه ، فثبت أن السعادة الحقيقية للإنسان أمر مغاير لهذه الأحوال.

الحجة الخامسة هو ان الانســــــــان من حيث يأكل ويشرب ويجامع ويؤذى خصمه ، يشارك بسائر الحيوانــات (4). ولا شك انه من حيث انه انسان اشرف من حيث انه حيوان ، فيلـزم وقـوع التسـاوى بين[3] الجهة الـتى هى[4] الشــريفة وبين الجهة الخسيسة فى موجبـات[5] الشــرف والكمال ، وذلك محال.

---

(1) المخطوطة : هكذى
(2) أيضا : فانه لحصل
(3) أيضا : من
(4) أيضا : بين
(5) أيضا : موجات

الحجة السادسة : العلم الضرورى حاصل بـأن بهجة الملائكة وسـعادتهم اشـرف من بهجة الحيوانـات الطيـار منها والسابح والسارح فضلا عن الذر والحشرات.

ثم لا نـــزاع (فى) أن الملائكة ليس لها لـــذة الاكل والشـــرب والوقـــاع ، و (لا) هـــذه الحيوانـــات الحسيسة اشـرف حـالا واعلى درجة من الملائكة المقـربين ، ولما كان ذلك باطلا بالبداهة علمنا كون المقدم أيضا باطلا.

واعلم أن هاهنا ما هو اقوى واعلى درجة مما ذكرنـاه ــ وهو انه لا نسـبة لكمـال واجب الوجـود وجلاله وشـرفه وعزته الى احـوال غـيره ــ مع أن هـذه اللـذات الخسيسة ممتنعة عليه ــ فعلمنا ان الكمـال والشـرف قد يحصـلان باحوال سوى تحصيل هذه اللذات الجسدانية.

فإن قالوا انما ذلك الكمـال لاجل حصـول الالهية لكن حصول الالهية فى حق الخلق محال ، فنقول : لا نزاع فى ان حصول الالهية فى حق الخلق محال ، لكنه عليهالسلام ، قـال : تخلقـوا بـاخلاق الله (5. فيجب علينا أن نعـرف معنى ذلك التخلق حتى عرف ان كمال حال الانسـان انما يحصل بســبب ذلك التخلق لا بســبب تحصــيل اللــذات الجســمانية. ومعلـــوم أن ذلك التخلق لا يحصل الا بقطع الحاجـات وافاضة الخـيرات والحسـنات لا بكـثرة الاكل والشرب.

الحجة السابعة ان هؤلاء الـذين حكمـوا بـان سـعادة الانسان فى تحصيل هـذه اللـذات (الورقة 277 و) البدنية إذا رأوا انســانا اعــرض عن طلب هــذه اللــذات مثل أن يكون مواظبا على الصوم مكتفيا بمباحــات الارض ، عظم اعتقادهم فيه ، وزعموا انه ليس من جنس البشر بل

هو من زمــرة الملائكة ويعــدون انفســهم بالنســبة إليه اشقياء اراذل ـ واذا رأوا انسـانا مسـتغرقا فى طلب الاكل والشـرب والوقـاع معـروف الهمة الى أن يحصل اسـباب هذه الاحوال معرضا عن العلم والعبادة ، والزهد ، وقضــوا [1] عليه بالبهيمية والخلاعة والبطالة والخـزى والنكـال ولو لا انه تقرر فى عقولهم ان الاشتغال بتحصيل هذه اللـذات الجســـدانية نقص ودنـــاءة وخساسة ، وان الـــترفع عن الالتفات إليها سعادة وكمال حال ـ وإلا لما كان الأمر على ما قلنا ، ولكـــان يجب ان يحكمـــوا على المعـــرض عن تحصيل هذه اللذات بالخسار والنكال ، وعلى المنهمك فى تحصيلها بالسـعادة والكمـال. ولما لم يكن الأمر كـذلك بل كان بالضد منه علمنا صحة ما ذكرناه.

الحجة الثامنة : كل شـــيء يكــون فى نفسه كمــالا وسعادة ، وجب ان لا يسـتحيى [2] من اظهـاره ، بل يجب ان يفتخر باظهاره ، وينجح بفعله.

ونحن نعلم بالضـــرورة ان احـــدا من العقلاء لا يفتخر بكـثرة الاكل ولا الشـرب ولا المنـاكح ولا بكونه مسـتغرق الـــوقت والزمـــان فى هـــذه الاعمـــال وأيضا فالنـــاس لا يقــدمون على الوقـــاع إلا فى الخلـــوة. فاما عند حضـــور الناس فلا احد من العقلاء لا يجد من نفسه تجويز الاقــدام عليه ، وذلك يـــدل على انه فعل خســـيس وعمل بحت يستحيى [3] منه.

وأيضا ، فقد جرت عادة السفهاء ان لا يشـتم بعضـهم بعضا إلا

---

(1) المخطوطة : قضو
(2) أيضا : لا يستحيا
(3) أيضا : يستحيا

بذكر الفاظ الوقاع. ولو أن واحدا من السـفهاء احر يحكى عند حضور الجمع العظيم ان فلانا كيف يراقع زوجته. فان ذلك الرجل يسـتحيى من ذلك الكلام ويتـأذى من ذلك القائل ، وكل هـذا يـدل على ان ذلك الفعل ليس من الكمالات لا من السعادات بل هو عمل باطل وفعل قبيح.

الحجة التاسـعة : كل حيـوان كـان ميله الى الاكل والشرب والإيـذاء اكـثر ، وكـان قبوله للرياضة اقل كـانت قيمته عند النـاس اقل ، وكل حيـوان كـان اقل رغبة فى الاكل والشرب وكان اسرع قبولا للرياضة كـان قيمته عند النـاس اكـثر. ألا تـرى ان الفـرس الّـذي يقبل الرياضة والتعليم والكر والفر والجرى الشديد فإنه يشـترى بـالثمن الكثير ، والضامر اشد جريا واسـبق من البطين السـمين ، وكل فـرس لا يقبل الرياضة ، ولا هـذه الافعـال ، ويوضع على ظهره الاكاف (6) ويحمل الاثقـال ويسـوى بينه وبين الحمـار لا يشـترى [1] الا بـالثمن القليل ، فـإذا كـانت الحيوانات التى هى غير ناطقة لم يظهر فضـائلها ومنافعها بسبب الاكل والشرب ، بل بأمور أخر. فما ظنك بالحيوان الناطق العاقل؟

الحجة العاشـرة : سـكان اطـراف الأرض لما لم يكمل عقولهم واخلافهم ومعارفهم لا جرم صاروا فى غاية الخسة والـدناءة. ألا تـرى ان سـكان الإقليم الاول وهم الزنـوج ، وسـكان الاقليم السـابع وهم الصـقالبة لما قل نصـبهم من المعـارف الحقيقية والاخلاق الفاضـلة لا جـرم تقرر فى العقول حظ درجاتهم ودناءة مراتبهم ،

---

(1) المخطوطة : ولا يشترى

واما ســـكان وسط (7) المعمـــور لما حـــازوا المعـــارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة لا جرم أقر كل احد بانهم خــير طوائف البشر (الورقة 277 ظ) وافضلهم وذلك يدل على ان فضيلة الانسـان وكماله لا يظهر إلا بـالعلوم والمعـارف والاخلاق الفاضلة لا بالاكل والشرب والوقاع.

الفصل الثانى عشر

فى شرح ما فى اللذات الحسية من وجوه الذم والنقصان

اعلم أن الشيء قد يكون مذموما [1] لذاته وقد يكــون مذموما لغيره ، واللذات الحسية مشتملة على الوجهين.

أما كونها مذمومة لذاتها فيدل عليه وجوه :

الأول وهو الأصل والعمدة فى الباب أن هـذه اللـذات ليست فى الحقيقة بلذات بل حاصلها يرجع إلى دفع الآلام (1 ، فإنه لا معنى للذة الأكل إلا دفع الم الجوع ، ولا معنى للـذة الوقـاع ، إلا لـدفع المشـتهاة [2] بـالمنى لما كـثرت واحتفنت فى اوعية المـــــــنى أو جبت تمديد تلك الاوعية وحـدوث دغدغة مولمة منها ، فانـدفاعها يـوجب زوال تلك الآلام. ولا معنى للذة الملابس سوى دفع الم الحر والبرد.

بل نقــول : إن الإنســان إذا أراد قضــاء الحاجة من البول أو الغائط فربما تعذر عليه ذلك لأسباب اضـافية من خارج ، فحينئذ يعظم الماء بسبب أمثـال هـذه الفضـلات ، ثم أنه بعد الالم الشـــديد إذا قـــدر على دفعها وجد لـــذة عظيمة وراحة تامة ، وكلما كـان ألمه بإمسـاكها واحتقانها اشد كان التذاذه باندفاعها أشد وأكثر ، وذلك يدل على أن حاصل هـذه اللـذات دفع الآلام. إذا عـرفت هـذا ظهر لك هـذه الأشـياء الـتى يظن بعض النـاس أنها لـذات ليست بحقيقة بل هى سعى فى دفع الآلام و

---

(1) المخطوطة : مكرما
(2) أيضا : المسماة

اشـتغال النفس فى ذلك ألم اخر ، وما كـان كـذلك فليس من السعادات ولا الكمالات البتة.

الثـانى أن الشـيء كلما كـانت الحاجة إليه أشد كـان الالتـذاذ به أقـوى إذا وجد وبـالعكس ، كلما كـانت الحاجة إليه أقل واضـعف كـان الالتـذاذ به إذا وجد أقل ، ألا تـرى انك رميت قلادة من الدر بين يدى الكلب لم يلتفت إليها ، إذ لا حاجة له بها ولو رميت إليه عظما قفز إليه واختطفه وقاتل عليه من ينازعه ، والإنسـان بـالعكس من ذلك فإنه يفرح ويهش لوجدان القلادة من الـدر ويلتذ إما ليـتزين بها أو لينتفع بثمنهـا. وإن طـرح العظم عنـده لم يلتفت إليه لعـدم الحاجة إليـه. فثبت أن اللـذة والطلب على قـدر الحاجة ، إلا أن الحاجة آفة ومحنة وبلية ، والشـيء إذا لم يتم حصوله إلا بالبلاء والمحنة كـان هو أيضا كـذلك ، فثبت أن هذه اللذات الجسدانية كالحبيص المسـموم فى أبـدان تلتذ بحلاوته ، وهو وهم سم قاتل.

ولقائل أن يقول هذا الاشكال وارد عليكم فى اللـذات الروحانية ، إلا أنا نقول الجواب عنه سيأتى.

الثـالث : هـذه اللـذات بتقـدير أن تكـون فى أنفسـها لـذات الا أن الالتـذاذ بها لا يحصل إلا حـال حـدوثها ، فـإن استمرت لم يبق الالتذاذ بها فى استمرارها ، والسبب فيه أن اللـذة يعتـبر فى حصـولها إدراك الملائم وانفعاله عنه وذلك لا يحصل إلا فى أول زمـان الحـدوث. أما بعد ذلك فهو حال الاستمرار والاسـتقرار ، وفى حـال الاسـتقرار لا يكـون الانفعـال. فلا يحصل الشـعور ، وإذا لم يحصل الشعور لا يحصل الالتذاذ.

الرابع أن الإنسان إذا اسـتوفى من هـذه اللـذات قـدر الحاجة والكفاية فإنه لا يلتذ بعد ذلك بما يســـتعمله منها ، بل يملها [1] ويسأم منها ، ثم بعد حصـول (الورقة 278 و) الملال لو كلف باستيفائها مرة اخرى لتـألم بادراكها ، فإنه إذا أكل اكلا تاما وكلف بعد ذلك بالاكل تألم به. ومن قضى وطره من الوقاع ثم كلف بالزيادة عليه لتـألم منه ، وهـذا يــدل على أن هــذه اللــذات ليست فى أنفســها خــيرات وسـعادات ، بل إنما ينتفع بها عند حصـول الاحتيـاج إليها ، فعند زوال الحاجة تصــير هــذه الاشــياء كلا ووبــالا على النفوس والأرواح.

الخامس الأشياء التى تستلذ وتستطاب فى الــدنيا قد كـانت موصـوفة بصـفات مكروهة منفـرة وستصـير أيضا كذلك. ألا ترى أن الحنطة قد كـانت قبل صـيرورتها حنطة عفنة فى رطوبة الأرض ممن صــارت عشــبا وتشــربت رطوبات القـاذورات والسـرجين. ثم إذا اسـتوت وصـنعت فـأكلت اختلطت فى الفم بالبصـاق واللعـاب الّـذي لو رآه آكله لأنف من أكله واستقذره ، ثم يعود فى آخر الأمر إلى الرجيع المنتن والشــيء المســتبعد ، وكــذا [2] اللحــوم والحلاوات والفواكه ، فالعاقل إذا تأمل فيها وجــدها منتنة الأصل ، قذرة الجوهر ، فاسدة السنخ (2 ، إلا أنه تعـالى أعارها لونا ورائحة وطعما فى زمـان قليل مقـدار ما ينتفع المكلف به ليقدر به على طاعة الله ومصـالح معاشه ، ثم أنها فى الحــال تعــود إلى القــذارة الأصــلية والــرداءة الطبيعية.

الســادس أن اســتعمال هــذه اللــذات ينــافى معى الإنسانية ، وذلك

---

(1) المخطوطة : يميلها
(2) أيضا : كذى

لأن الإنسان إنما يكون إنسانا لحصول نـور العقل واطلاعه على عـالم الغيب والأنـوار الإلهية ، فـإذا اشـتغل الإنسـان باستيفاء هذه اللـذات الجسـدانية تكـدرت القـوة العقلية ، وانسد عليه باب المعارف ، وصـارت البهيمية عليه غالبة ، والإنسانية مفقـودة ، ولما كـان شـرف الإنسـان باسـتيفاء هذه اللذات الحسية يبطل عليه معنى الإنسـانية ، ثبت ان الاشتغال بها شيء فى غاية المذمة.

السابع أن أصل أحوال الإنسـان اشـتغاله بمعرفة الله تعـــالى واقباله على طاعته واســـتغراقه فى محبته ، ثم اشتغال الإنسـان باسـتيفاء اللـذات الجسـدانية والطيبـات الحسية يمنعه عن عبودية الله ويصده عن ذكر الله ، ولما كـانت تلك المعـارف أشـرف مـراتب المخلوقـات وهـذه اللــذات الحســية مانعة عنها كــانت هــذه اللــذات أخس الأشياء ضرورة أنه كلما كـان الشـيء أشـرف كـان ضـده العـائق عنه والمنـافى لحصـوله أخس ، فهـذه وجـوه دالة على كون الدنيا مذمومة لذاتها.

فأما الوجــوه الدالة على كونها مذمومة لأمــور لازمة لها فكثيرة ـ ونحن نشير إلى بعضها : فنقول :

الأول انها سريعة الـزوال ، قريبة الانقضـاء ، ومعلـوم أن الإنســــان إذا احب شـــيئا ، ثم اتصل بمحبوبه والتذ بمواصلته وابتهج بـالاختلاط به ثم إنه فارقه وانفصل عنه ، تألم بسـبب ذلك الفـراق ، ويكـون مقـدار التـألم الحاصل بسـبب مفارقته مسـاويا لمقـدار الالتـذاذ الحاصل بسـبب مواصلته ، وإذا كان كذلك فكلما كـان حب الـدنيا أشد فى هـذه الحيـاة كـانت الآلام الحاصـلة بمفارقته بعد المـوت والحسرات المترادفة هناك أقـوى وأكمل ، ثم مع حصـول التساوى من هذا الوجه حصل الترجيح

لجـــانب الآلام فهـــذه اللـــذات منقطعة وتلك الآلام غـــير منقطعة ، فلهــذا الســبب صــارت اللــذات الجســمانية مذمومة (الورقة 278 ظ) عند العقلاء.

الثانى أن لذاتها غـير خالصة بل هى ممزوجة بـالآلام والحســرات [1] بل الإنســان لو تأمل لوجد اللــذة قطـرة والألم بحـرا لا سـاحل له [2] ، ونحن ننبه على معاقد هـذا الترجيح.

فنقول : هذا الترجيح حاصل من وجوه :

أولها أن الضـــــــرر منه ثلاثة ، الماضى والحـــــــال والمستقبل :

أما الماضى فنقول : الاحـوال الـتى كـانت حاصـلة للإنســان فى الزمــان الماضى ، إما أن يقــال أنها كــانت اسبابا للسعادة واللـذة ، أو كـانت أسـبابا للـذة والألم ، أو كـانت غـير موجبة لا لـذاك ولا لهـذا ، أو قـدرنا أنها كـانت موجبة للسعادة والغبطة ، فإما أن يقـال : انها بقيت أو ما بقيت فإنها موجبة [3] للســـعادة ، وقد بقيت إلى الـــوقت الحاضر فمن المعلـــوم لا مرتبة إلا وفوقها مـــراتب غـــير متناهية هى أعلى وأكمل منها ، وإذا كـــان كـــذلك فكلما ابتهج الإنســـان بتلك الســعادة الــتى كــانت حاصــلة فى الماضى ، وبقيت إلى الزمـــان الحاضر حاصـــلة فى قلبه شعور سـائر [4] المـراتب الـتى ما وجـدها وما وصل إليها ، فيقع فى قلبه أنـواع من الحسـرة بسـبب ما فاته من تلك السعادات.

---

(1) المخطوطة : الخسران

(2) أيضا : يحر لا سال له

(3) أيضا : فان موجبه للسعادة ،

(4) أيضا : شعور بسائر المراتب

وأما إن كـانت الأحـوال الماضـية موجبة للسـعادة ثم أنها ما بقيت بل فاتت ، فكلما تذكر الإنسان تلك المـراتب الفانية اشتعلت نيران الحسرة فى قلبه بسـبب فواتها بعد حصولها وزوالها بعد وجودها.

وأما إن كـــانت تلك الأحـــوال لا موجبة للســـعادة ولا للشقاوة ، فحينئذ كانت من باب العبث الّذي لا فائــدة فيه ـ وكلما تذكر الإنسان تلك الأحوال عرف أنه قد ضــيع ذلك الّـذي مر من عمـره فى العبث الّـذي (لا) فائـدة فيه ، مع أنه كان يمكنه أن يصـرف أوقاته فى اكتسـاب السـعادات العالية والدرجات الرفيعة ، وحينئذ تشتعل نيران الحســرة والاسف فى قلبه بســبب تضــييع العمر ، ثم أنه ربما رأى أقرانه واشــباهه قد اجتهـدوا فى ســالف العمر فى طلب الفضائل وفازوا بسبب ذلك الجد والجهد فائزين بالمنـاقب العالية والمراتب الشريفة ، فـإذا رأى نفسه نـازلا خسيسا متخلفا عن اقرانه واشــباهه مــات غما واســفا ، فثبت أن تأمله فى الاحوال الماضية لا يفيد إلا الحزن والأسف.

وأما الحالة الراهنة القائمة فـــأمر عجيب ، وذلك لأنها لا بد وأن تكــون نهاية الماضى وبداية المســتقبل ، ومــتى كــان ذلك منقســما [1] ، وليس كــذلك ، إذ لو كــان ذلك الوقت منقسما لكان بعض الأجزاء المعرضة قبل البعض ، فحينئذ لا يكون كله حاضرا ، هذا خلف.

وإذا عـرفت هـذا ظهر انه لا يمكن أن يكـون الزمـان الّـذي هو مقــدار طــرف العين حاضــرا لأن ذلك الزمــان حصل فيه حركة طـــــرف الجفن على ســـــطح الحدقة ، وسطح الحدقة منقسم بأقسـام ولا نهاية لها عند الحكمـاء ، وبأقسام كثيرة متناهية عند غـيرهم ، وعلى هـذا التقـدير يكون الآن

(1) المخطوطة : ذلك منقسمة

الحاضر قسما من تلك الإقسام الكثـيرة الخارجة عن الحد والحصر من اللمحة الواحــدة ، وهــذا القــدر القليل ما لا يتصـوره العقل ، ولا يضـبطه الحس والخيـال ، فـامتنع أن يحصل فيه الالتـــذاذ والابتهـــاج الحقيقى فى نفس الأمر ، وما سـوى ذلك الآن الّـذي لا ينقسم فبعضه مـاض وبعضه مسـتقبل ، وكلاهما معـدومان فى الحـال ، فثبت أن هـذه الأشـياء الـتى تظن أنها سـعادات فهى ليست كـذلك فى أنفسها ، بل هى خيالات فاسدة وأوهام باطلة.

الثانى ، ان عـادة الإنسـان (الورقة 279 و) ان كل ما كــان حاصلا له وموجــودا بالفعل عنــده فإنه لا يلتذ به ولا يميل قلبه إليه ، بل لا يلتذ إلا بوجـــدان المفقـــود وطلب المعـدوم ، فعلمنا أن الإنسـان لا يلتذ بما كـان حاصلا فى الحال ، وأما المستقبل اما [1] يوافقه أو يخالفه ، وإذا كـان كـذلك ، لم نكن ننظر [2] فى المسـتقبل الأشـياء للخـوف الشديد والفـزع التـام ــ فثبت بما ذكرنا أن الازمنة ثلاثة ــ الماضى والحال والمستقبل.

ونظر الإنســان فى اى واحد منها كــان يــوجب الغم الشديد والحسرة والألم والنفرة ، والخوف الشديد ـ فثبت بما ذكرناه أن الإنسان لا ينفك عن الغم والحزن إلى هـذه الأحوال.

المـوجب الثـانى من موجبـات اسـتيلاء الغم والحـزن على الإنســـان ، وذلك لأن الإنســـان إما أن يعيش بحيث يكون مختلطا بالناس أو بحيث يكون منفردا عنهم.

---

(1) المخطوطة : واما المستقبل ما يوافقه او يخالفه
(2) أيضا : لم يكن مطره فى المستقبل الاشياء الخ

أما الأول فإنه سبب قـوى للغم والحـزن والوحشة ، فـــإن المخالطة موجبة للمنازعة إما فى الحـــال وإما فى المسـتقبل ، إما فى كل الأمـور أو فى بعضـها ، والمنازعة موجبة لقصد [1] كل واحد من المتنازعين قهر صاحبه بوجه ما والمقهورية موجبة للغم والحزن.

وأما الثانى ، وهو أن يعيش منفردا عنهم فذاك أيضا من أقـــوى موجبـات الغم ، إلا أن الإنســـان خلق بحيث لا تكمل مصـالحه البتة إلا بـالجمع العظيم ، فـإذا أنفـرد عن ذلك الجمع اختلف مصـالحه ــ فثبت أن حيـاة الإنسـان مع المخالطة بـالغير تـوجب الزحمة والوحشة ، ومع الانفـراد تـــــــوجب الوحشة والكآبة ، فثبت أنه لا خلاص البتة عن الهموم والآلام.

الموجب الثالث من موجبـات الغم والحـزن ، وهو إما أن يكون أكمل من غيره أو مساويا له أو أنقص منه ، فإن كـــان أكمل من غـــيره كـــان ذلك الغـــير ناقصا ، والنقص مبغوض لذاته مكروه لعينه ــ فـذلك النـاقص لا يمكنه دفع النقص عن نفسه إلا بإبطـال كـون ذلك الغـير أكمل ، وما كان من لوازم المطلوب لذاته يكون أيضا مطلوبا ، فلهـذا السبب حيل الناقص على السعى فى إبطال كمال الكامل إما ابطالا فى نفسه وذاته ، وإما بإخفـاء ذلك الكمـال عن أعين النـاس ، وكل واحد من هـذين القســمين فإنه حالة منافية بالـذات لـذلك الكمـال وموجبه وقـوع الحـزن وألم القلب وتشويش الخاطر.

وأما إن كان مساويا لغيره فنقـول : الكمـال محبـوب لذاته فلا جرم كان كل واحد من المتساويين يريد [2] إرادة حازمة أن يجعل نفسه أكمل

---

(1) المخطوطة : قصد

(2) أيضا : مريد إرادة حازمة

من غيره وأعلى منه وأشـرف ، لكن كـون كل واحد منهما أعلى من الآخر محال ، فلهذا السـبب لا بد وأن يقع بينهما التنازع الشديد والتحارب التـام ، وقد عـرفت أن المنازعة سـبب لحصـول الخـوف والغم والوحشة ، وأيضا فهـذان المتساويان إن صار أحدهما مرجوحا فقد تـألم قلبه جـدا ، لأن حصـول المرجوحية مكـروه بالـذات ، وذلك مـولم للقلب ، وإن صار راجحا تألم قلب ذلك المرجـوح ــ ثم إن ذلك المرجـوح يسـعى بأقصى ما يقـدر عليه على إزالة [1] تلك المرجوحية ، لكن زوال مرجوحيته يـوجب زوال راجحية الراجح ، وذلك مكـروه له بالـذات. فـذلك الـراجح يخـاف من زوال تلك الصـفة عنه ، وذلك الخـوف مـوجب للألم ، فثبت أن الإنسـان ان حضر مع من يسـاويه فإنه لا ينفك عن الغم والحسـرات [2] ــ وأما إن كـان مرجوحا بالنسبة إلى غيره فالمرجوح كلما نظر إلى الـراجح فـرأى ما معه من الرفعة والبهجة والسرور ، وجد نفسه محروما عنها ، فلا شك أنه تشـتعل نـيران (الورقة 279 ظ) الحسـرات [3] فى قلبه ــ وأيضا فـالراجح يجعل المرجـوح نصـيبا للموحشـات وهـدفا للموذيـات ، وكل ذلك مما يغم القلب. فثبت أن الإنسـان سـواء كـان أكمل من الغـير أو مسـاويا له أو أنقص منه ، فإنه لا ينفك البتة من الغم والحسرة وتوحش الصدر وألم القلب.

الموجب الرابع من موجبات الغم والحـزن انه لا يشك أن الإنسـان له عقل يهديه وهـوى يرديه ــ والهـوى الّـذي يرديه له أعوان

---

(1) المخطوطة : على ان ازالة الخ
(2) أيضا : الخسران
(3) أيضا : الخسران

كثيرة وهى الشهوة والغضب والحرص والحواس الظاهرة والباطنة.

أما العقل فليس له فى جوهر الإنسان صـفة أخـرى تقويه ، فكــان العقل أضــعف من الهــوى لا محالة لهــذا الســبب ــ وأيضا فالإنســان من أول فطرته كــان مطيعا للذات الحسية منقادا لها مقبلا عليها.

وأما نور العقل فلا يظهر فيه (إلا) بعد مدة من عمـره ، وقالوا : العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر ـ والحكماء قالوا : إن التكرير سـبب لحصـول الملكـات العقلية ، وإذا كان كذلك كان انجذاب النفس إلى اللذات الحســية أكمل من انجــذابها إلى اللــذات العقلية ، ولا معــنى للهــوى إلا الانجـذاب إلى اللـذات الجسـمانية والسـعادات الحسـية ، فثبت أن جــانب الهــوى راجح على جــانب العقل رجحانا كثيرا.

إذا عرفت هذا فنقـول : مقتضى ما ذكرنـاه أن يكـون أغلب الأفعال الصادرة عن الإنسـان يكـون من مقتضـيات الهـوى ومن جنس الأفعـال الذميمة ، ثم إن الإنســان بعد إقدامه عليها وفراغه منها ، وانصـــــرافه عنها يبقى العقل فارغا عن منازعة الهــــوى ، فحينئذ يطلع الإنســــان على قبحها وسخافتها ، واشتمالها على الوجوه الكريهة الذميمة ، ولكنه إنما يطلع بعقله على هــــذه القبــــائح بعد وقوعها وبعد وقـــــوع الفعل لا يمكن دفعها ومنعها ، فلا يبقى مع الإنسان إلا الحسرة والندامة والخجالة.

ولما بينا إقــدام الإنســان على مقتضــيات الهــوى هو الغـالب الـراجح بحكم ما قـدمنا أن يكـون بقـاؤه فى الغم والحسرة هو الغالب الراجح ، وذلك يدل على أنه يجب أن يكـون الإنسـان فى أغلب أحواله ملازما للحسـرات مقارنا للزفرات.

الموجب الخامس من موجبات الغم أن درجات السعادة والرفعة غير متناهية وتحصيل ما لا نهاية له محال ، ينتج أن حصول جميع الدرجات للإنسان محال ، وقد ثبت أن تكرير العقل موجب للملكة ــ فالإنسان كلما كانت مواظبته على اللذات الجسمانية أكثر ، كان ميله إلى ذلك الالتذاذ أكثر وأقوى ـ وكلما كان ميله إلى الالتذاذ أقوى كان طلبه لاستجذاب ما كان مفقودا أكثر ــ ولما كان تحصيل تلك المراتب التى لا نهاية لها محال لزم آخر الأمر أن يبقى الطلب الشديد المتأكد مع امتناع حصول المطلوب فى ذلك يوجب الألم الغذاء.

وثبت أن الميل إلى اللذات يوجب الآلام بتقدير حصولها ، وأما بتقدير عدم حصولها فحصول الآلام [1] أظهر ـ ولهذا السبب قال بعض الحكماء المحققين : من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمن اطفأ [2] النار بالتبن ، فثبت بهذه الوجوه (الورقة 280 و) أنه يمتنع [3] أن تكون لذات الدنيا خالية عن الغموم والهموم ، وكلها آلام وأسقام.

ثم إنك إذا تأملت فى أحوال الفقراء تفكرت فى أمورهم وما هم فيه من الإنكاد وتوجه الموذيات ، وقصد الأعداء ، وترادف الاحزان وجدتها بحرا لا ساحل له ، واللذة التى تحصل للإنسان تكون كالقطرة فى البحر ، فثبت بما ذكرناه أن اللذات الجسدانية مخلوطة بالآلام والاسقام والموذيات ، فلا جرم كانت مذمومة من هذا الوجه.

السبب الثالث من الأسباب الخارجية الموجبة لكون الدنيا مذمومة

---

(1) المخطوطة : الام
(2) أيضا : طفى
(3) أيضا : انه لا يمتنع

هو أن الغالب أن الإنسـان الّـذي يكـون خسيسا فى نفسه وقوته وحســبه ونســبه ، يكــون راجحا فى الســعادات الجسمانية على من كان شريفا فى نفسه وعقله وحسـبه ونسبه ودينه ، ولهذا قال عليهالسلام : لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء (3.

أما السـبب الرابع من خاصة اللـذات الجسـمانية أنك كلما سددت منها ثلمة انفتحت عليك ثلمة كثيرة هكذا إلى ما لا نهاية لـه. ومثاله أن الإنسـان إذا ضـعف عن الشـيء واشترى فرسا فحينئذ يحتاج إلى خادم بخدم الفرس وإلى قرية يحصل منها علفه ، وإلى إسطبل يربط فيه الفـرس. ثم أن احتياجه إلى كل واحد من هــذه الأشــياء تفتح عليه أبوابا كثيرة من الحاجات أكثر ما تقدم ـ وهكذا [1] إلى غير النهاية ، ولهــذا السـبب نقل عن عيسى عليهالســلام أنه قال (4 : ان مهمات الـدنيا لا تتم بالإصـلاح والتكميل وإنما تتم بالترك والإعراض.

---

(1) المخطوطة : وهكذى

القسم الثانى من الكتاب

فى علاج ما يتعلق بالشهوة

وفيه فصول

الفصل الأول

فى حب المال

اعلم أن الآيات الكثيرة قد وردت فى مدح المال تارة وفى ذمه اخرى.

أما آيــات المــدح فهو قوله : (1 (قل ما انفقتم من خير فللوالدين والأقربين ؛ يا أيها الـذين آمنـوا أنفقـوا مما رزقناكم الخ ؛ وابتغوا من فضل الله) [1].

وأما آيـــات الـــذم نحو قوله تعــــالى : (**لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَمَنْ يَفْعَـلْ ذلِـكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِـرُونَ**) (2 ، وقوله : (**أَنَّما أَمْـوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**) (3 ، وقوله : (**أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ**) (4.

ولما تعارضت الآيـــــــات فلا بد من التوفيق ، وطريق التوفيق لا يمكن للإنسان إلا ببيان مراتب الفضـائل ، وهى ثلاثة (5 :

النفسانية ـ وهى العلوم ، والأخلاق الفاضلة.

والبدنية ـ وهى الصحة والجمال.

والخارجية ـ وهذه الخارجية منها قريبة وهى الطعـام والشـراب وهما يخـدمان البـدن ، والبـدن يخـدم النفس ، والنفس يســتكمل بــالعلوم والأخلاق الفاضــلة ، فهــذان مخدومان على الإطلاق.

(ومنها بعيــدة ، وهى المــال) [2] والمــال خــادم على الاطلاق فـإن صـرف المـال إلى تحصـيل العلـوم وتهـذيب الأخلاق كان محمودا ،

---

(1) هذه الآيات غير موجودة فى المخطوطة.

(2) هذه العبارة ليست فى المخطوطة.

وإن صـــرف إلى اللـــذات الحســـية الـــتى عـــرفت كونها مذمومة كان مذموما.

فهذا طريق التوفيق بين هذه النصـوص لأنه [1] بـالأول يحصل السعادة الأبدية ، وبالثانى يحصل الشقاوة الأبدية.

الفصل الثانى

فى أنه كيف يتوسل بالمال إلى اكتساب السعادة الروحانية.

المــال إما أن يصــرفه الإنســان إلى نفع نفسه (1 أو إلى نفع غــيره ، **أما الأول** فهو أن الإنســان خلق محتاجا إلى المطعم والملبس والمسكن والمنكح ، فـإن لم يـدفع عنه هـذه الحاجـات لم يقـدر على اكتسـاب الكمـالات فى قوته النظرية والعملية ، لكن تلك الحاجــات لا تنــدفع ولا تتحصل إلا بالمــال ، (الورقة 280 ظ) فكــان فى المــال معونة من هذا الوجه على اكتساب السعادات الروحانية.

وأما الثـانى ، وهو ما إذا صـرف الإنسـان ما له إلى غيره (2 ، فذلك الغير ، إما أن يكون معينا أو غير معين.

أما القسم الأول ، وهو صـرف المـال إلى شـخص معين ، فإما أن يكون ذلك الصرف لـدفع ضـرر (3 ، وهو كما إذا دفع بعض أمواله إلى بعض الظلمة ليتخلص عن ظلمه أو يدفع إلى شاعر فخـاف أن يقع فيه ، وأن يهجـوه لئلا يفعل ذلك ـ وإما أن يكون ذلك الصرف لغرض تحصيل النفع ، وذلك النفع إما أن يكون دنيويا أو أخرويا.

(1) المخطوطة : لان

والأول قسـمان : أحـدهما أنه إذا كـان مشـتغلا أبـدا باكتسـاب الفضـائل النفسـانية من العلـوم والأخلاق لم يتفرغ للقيـام لمصـالحه الدنيوية ، فيحتـاج إلى من يخدمه فى هـذه المصـالح ، فيحتـاج إلى صـرف طائفة من ماله إليه عوضا عن تلك الخدمة (4.

الثـانى أن يبـذل طائفة من ماله لأجل المـروءة (5 وإكـرام الأضـياف ، كل ذلك حسن محمـود ، وأما الّـذي يكون للنفع الاخروى فهو كالزكاة [1] والصدقات.

وأما القسم الثانى وهو الّذي يدفع ماله إلى شخص غير معين كبناء المساجد والقناطير [2] والرباطات ودور المرضى ، وحفر الآبـار والمصـانع ونصب جـار المـاء فى الطرقات ، فهو أيضا حسن (6 ، وهو بيان الانتفاع بالمال.

وأما بيان ما فيه من الآفات فمن وجوه (7 :

الأول أن الشـهوات الجسـمانية غالبة على الطبـاع ، فإذا حصلت القدرة على تحصيل تلك اللذات وعند حصول القدرة مع الداعى وزوال العائق يقع الفعل.

الثـانى أن عند حصـول المـال يتنعم الإنسـان بالمباحـات ظـاهرا ، لأن الـداعى قـائم والمـانع زائل فيقع الفعل ، ثم إذا ألف ذلك التنعم ربما [3] قل ما له ولم يمكنه أن يصـبر عن ذلك التنعم فيقع بسـببه فى الكسب الحـرام ، وينفتح عليه بهـذا السـبب جميع أبـواب الأخلاق الذميمة.

---

(1) المخطوطة : كالزكوات ،
(2) أيضا : القناطر
(3) أيضا : وبما ،

الثالث أن حفظ المال صعب عسير وما لم يصرف الإنسان كل جهده إليه لم يبق محفوظا ، وانصراف قلبه إلى هذا المهم يمنعه عن الاشتغال بذكر الله تعالى ، لأنه (**مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**) (8.

الفصل الثالث

فى الحرص والبخل

الحرص هو السعى التام فى تحصيل المال عند عدمه أو عند قلته.

والبخل (1 هو السعى التام فى إمساكه عند وجوده ، فحب المال حاصل فى الأمرين ، إلا أن حب الجمع والتحصيل هو الحرص ، وحب الابقاء هو البخل.

إذا عرفت هذا ، فنقول : لحب المال سببان (2 :
أحدهما ان المال سبب القدرة والقدرة كمال. والكمال محبوب لذاته ، والمفضى إلى المحبوب محبوب فالمال محبوب (3 ، الثانى ان المال يقتضي دفع الحاجة ، ودفع الحاجة مطلوب ، والمفضى الى المطلوب مطلوب ، والفرق بين هذين الوجهين ظاهر ، فان الشيخ المريض المشرف على الموت إذا كانت معه اموال عظيمة خارجة عن حصره ، فإذا اخبر فى هذه الحالة انه سرق ماله او أغير عليه فانه يتأذى بذلك مع علمه بأنه لا فائدة له فيه ، وليس هذا التأذى لاحتياجه إليه لأنه عالم بانه يموت غدا ، فدل ذلك على أنه انما تأذى لأنه بخيل ، إنه زالت قدرته بسبب القدر الّذي زال من ماله ، وزوال القدرة زوال الكمال ، وزوال الكمال نقص مغوض لذاته.

إذا عرض هذا فلننظر (الورقة 281 و) فى علاج البخل ، وذلك من وجوه :

الأول أن يسعى الرجل فى تقليل [1] حاجاته ، لأنه إذا قلت حاجاته قل تعبه وميله إلى تحصيل (ما) [2] يــدفع تلك الحاجات. لأن إعدام الشيء قبل حصوله غير معقــول. ولا شك أن هـذه الحاجة إما حاجة انتفاعه هو بـذلك المـال أو حاجة متصلبه.

أما الاول فيعالج طول الامل (4 بكثرة ذكر المـوت ، والتأمل فى موت الاقران ويصـرف وهمه إلى انه لا يمكنه الانتفاع بالمـال إلا فى الزمـان الحاضر ، ثم انه يكتفى من المطعم والملبس والمســكن باقل ما يحتــاج إليه ويسد على نفسه بــــاب التنعمـــات ، وحينئذ يقل حرصه على تحصيل المال بسبب نفسه ،

وأما الثانى فيعالج بترك الالتفات إلى الولد بـان الله خلقه وخلق معه رزقه ، وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا ثم صــار أغــنى منه ، او أغــنى الخلق ، وكم من ولد ورث اموالا عظيمة ثم صار أشد الناس فقرا (5.

الثـانى ان يتأمل فى الآيـات والأحـاديث الـواردة فى ذم البخل ومـــدح الســخاء ، والوعد بــالثواب العظيم فى السخاء ، والوعيد [3] بالعقاب العظيم فى البخل (6.

الثالث كـثرة التأمل فى أحـوال البخلاء ونفـرة طبـاع الافاضل من الناس منهم ، واطباق اهل العالم على ذمهم ، فانه ما من بخيل إلا ويستقبح

---

(1) المخطوطة : تعليل
(2) أيضا : تحصيل يدفع الخ ،
(3) أيضا : الوعد

البخل من غـــيره. وحينئذ يعلم أن حاله فى قلب غـــيره كحال سائر البخلاء فى قلبه (7.

الرابع أن يتأمل فى المال ويعلم انه لا سـبيل له إلى الانتفاع به إلا عند إخراجه من اليد.

والمنـافع إما جسـدانية وهى قليلة حقـيرة ، ولا حاجة فى تحصيلها إلى المال الكثير ، وإما روحانية وحينئذ يقطع الإنسـان بانه لا فائـدة من المـال بتحصـيل هـذه الفوائد الروحانية ، والأغـراض النافعة ، فكانه قطع الوسـيلة عن المقصود وذلك جهل.

الخامس يتفكر أنه وإن بالغ فى إمساك المـال إلا أنه قد يتفق سبب تضييع المال ؛ ولا يبقى منه حمد [1] ولا أجر ، أما إذا صـار مصـروفا إلى وجـوه الخـيرات (8 بقى [2] الحمد والاجر عند الله تعالى كما قال : (**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَـدُ وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ**) (9.

السـادس ؛ الإنسـان إذا عجز عن الإنفـاق يبقى كالأسـير فى قبضة اسـتيلاء حب المـال ؛ وإذا قـدر على الإنفاق صار كالمستولى عليه والقـاهر له وكـون الانسـان قـاهرا لغـيره خـير له من كونه مقهـورا ؛ لأن الأول صـفة الحق ، والثـانى صـفة الهيـولى ، كما قـال الله : (**اللـهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ**) (10.

السابع أنه إذا أمسك وما أنفقه فلا بد وأن يبقى ذلك المـال بعد موته ، فكل من أخـذه بعد موته يقـول : هـذا المال إنما جمعه ذلك البخيل الملعون فيصرفه فى وجـوه منافع نفسه ولا يذكر ذلك الميت إلا بـاللعن ؛ ولا يبقى من ماله أثر فى حقه إلا الذم فى الدنيا والعقاب فى الآخرة.

---

(1) المخطوطة : حمل

(2) أيضا : ففى

واما إذا صـرف الإنسـان ماله إلى مصـارف الخـيرات بقى له الثنـــاء الجميل فى الـــدنيا والثـــواب الجزيل فى العقبى.

الثامن أن شـركاء البخيل فى صـفة البخل هم البخلاء الأشقياء المذموموون المهانون ، ولو كان جوادا سخيا كـان شركاؤه فى ذلك الأنبياء والأولياء وأفاضل الحكماء وأكـابر الناس.

التاسع الاســتقراء دل على أنه تعــالى يفتح أبـــواب الرزق والراحة والرحمة على الأسخياء ، أما البخلاء فـانهم يكونون أبدا فى الضيق والضـنك والشـدة وظلمة القلب ، واكثر الامر يتفق لهم بـذلك انفـاق [1] اكـثر امـوالهم دفعة على رغم آنـــافهم ؛ والســـبب فيه أن الأســـباب الكلية متوجهة إلى إيصال النفع والخيرات إلى المحتـاجين ، فمن كـــانت حرفته هـــذه الحرفة كـــانت تلك الأســـباب الكلية معاضدة له ، ومن كان بالضد كـان على مضـادة الأسـباب الكلية.

العاشر أن السخى يكون ممدوحا محمـودا عند الكافة ، والبخيل مبغوضا (11 ممقوتا ؛ فالســخى بـــذل المـــال ووجد عرضه ملك الارواح ؛ والبخيل أمسك المـــال فبقى محروما عن ملك الارواح ، ولما كانت الارواح البشرية من جـــــوهر الملائكة ، وكـــــان الـــــذهب والفضة من جنس الجمادات كان التفاوت كثيرا.

وأيضا فهاهنا ســـبب آخر وهو أن الســـخاء لما كـــان محبوبا عند الخلق فهم يعنونه على تحصـــــــيل مهماته ، والبخيل اذا كـــــان مبغوضا بقى محروما عن تلك الإعانة ، وإعانة الخلق له فى تحصيل مطالبه سبب ظاهر لكثرة

---

(1) المخطوطة : «... انفاق بذلك ...»

أمواله ، والسـخاء وان كـان ينقص المـال ظـاهرا [1] لكنه يزيد من الوجه الّـذي ذكرنا ، والبخل وإن كـان يفيد حفظ المال ظاهرا لكنه يوجب نقصانه من الوجه الّذي ذكرناه.

وأيضا فهاهنا ، وهو ان الناس لما علمـوا من الإنسـان كونه سخيا تطابقت هممهم على تحصيل الأمـوال الكثـيرة له رجـــاء منهم ان رفعها إليهم ، وإذا علمـــوا كونه بخيلا تطابقت همم الخلق على أن يصـير ممنوعا عن الأمـوال ، وقد عرف أن همم الخلق لها تاثير شديد.

الحـــادى عشر أن الســـخى حيث ما حضر فـــرحت القلوب بحضوره واستبشـرت الارواح نحو مقدمه والبخيل بالضد منه ، ولذلك قيل النفس الخيرة كالشمس النيرة.

الثـانى عشر أن البخيل عند قـرب المـوت لا بد وأن يتمـنى الإنفـاق وإيصـال الخـيرات إلى النـاس لأن حرصه عبـارة عن شـدة رغبته فى إمسـاك ذلك المـال لنفسه ، فاذا تيقن بنزول الموت علم أنه لا يمكنه حفظ المـال فى الحياة الدنيا ، ويعلم انه لا سبيل له إلى استصــحابه معه ، فحينئذ يهون عليه صرفه عند القرب من الموت فى وجوه الخيرات (12 ؛ وربما كان فى ذلك الـوقت لا يجد لسـانا ناطقا ولا عقلا هاديا ، ويصـــير مبتلى [2] بكــرب المــوت ، واقاربه لا يلتفتــــــــون إلى قوله ، ينصر ذلك من اعظم الحســـرات فى قلبه ؛ وإليه الاشـــارة بقوله تعـــالى : (**وَأَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْـلِ أَنْ يَـأْتِيَ أَحَـدَكُمُ الْمَـوْتُ فَيَقُـولَ رَبِّ لَـوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَـلٍ قَـرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللـهُ نَفْسـاً إِذا جاءَ أَجَلُها**) الآية (13

(1) المخطوطة : ظاهر
(2) أيضا : مبتلا

فثبت أن حرص الحـريص وبخل البخيل لا يوصـلان إلا الغم والحسرة قبل الموت وعند المـوت ، وأما [بعـده] [1] فنعوذ بالله منه.

الثـــالث عشر يجب على العاقل أن يعلم أنه لا نهاية لمـراتب تلك الأمـوال فـان ملك مائة ألف دينـار وإن كـان لذيذا إلا أن ملك الف الف دينار ألذ ، إذا ثبت هذا فنقول : النفس لا يصل إلى مرتبة من هــذه المــراتب إلا ويقــوى التـذاذها لوجـدان تلك المرتبة وهى عالمة بـان القـدر بما فوق تلك المرتبة ألذ من وجدان تلك المرتبة مع العلم بأن القـدر بما فـوق تلك المرتبة ألذ ؛ فثبت أن جمع المـال لا يخلص عن مرض الحرص بل يقويه ويزيد فى قوته ،

أما إذا منع النفس عن الفـــوز بتلك المرتبة صـــــار كالعاشق الّـذي يمنع عن الالتـذاذ بمعشـوقه ، فـإن هنـاك يقل العشق [2] ويزول هذا المرض.

الرابع عشر أن الإنسان لا يمكنه أن يسـعى فى طلب المال إلا (3) عند الاستعانة بـالغير ، وإظهـار الحاجة إليه ، وهذه الحاجة وما فيها من الـذل نـاجزة [4] ، واما حصـول ذلك المال وحصول الانتفـاع به فموهـوم ، ولحمل الضـرر الناجز لوجدان النفع الخسيس الموهوم لا يليق بالعاقل.

وأيضا إذا احتاج إليهم صار كالعبد لهم يفعل ما أرادوه ويـترك ما كرهـوه ، والقـانع المـانع نفسه عنهم لا يلتفت إليهم والممنوع مطلوب ،

(1) المخطوطة : هذا اللفظ مطموس
(2) أيضا : هذا اللفظ غير واضح يمكن ان يقرأ «العسق»
(3) أيضا : لا
(4) أيضا : فاحره؟

والغـــالب أن من لا يلتفت إليهم يخـــدموه ورغبـــوا فى الاتصـال به ، فصـاروا كالعبيد له ، فـالحريص عبد والقـانع حر ، ولهـــذا قيل : «احتج إلى من شــئت تكن أســيره ، واستغن عمن شئت تكن نظـيره ، واحسن إلى من شـئت تكن أميره» ـ

الخـامس عشر إذا اعتـاد التنعم بكـثرة المـال فلعله يتفق سبب يوجب هلاك المال فيتألم بفوات عادات التنعم ، ثم يحمله ذلك على كـــثرة الجد ولاجتهـــاد فى الكسب والطلب حال الشيخوخة وضـعف البـدن فيقع فى الشـقاء الشديد.

السـادس عشر يجب عليه أن يستحضر فى ذمته أن المال لا فائدة فيه إلا التوسل به إلى اللذات الجســمانية ، ثم يتأمل فيما ذكرناه فى معالجة [1] اللذات الجسمانية.

السابع عشر لعله يتعب فى طلب المـال فى الحـال ثم يفـوت قبل الانتفـاع به ، فيكـون التعب عليه والانتفـاع لغـيره ، أما اذا صـرفه إلى وجـوه الخـيرات كـان التعب ، وإن وقع عليه إلا أن نفعه يعـود إليه وهو الغـير بعد مـوت الجسد.

الثامن عشر [2] أن المواظبة على القناعة يفيد ملكة الاستغناء عن الشيء والتنعم بطيبـات الـدنيا ولـذاتها تفيد ملكة الاســتغناء بالشــيء ودوام الحاجة إليه ، والاســتغناء عن الشى أكمل من الاســتغناء بالشــيء لأن الاول صــفة الحق ، والثانى صفة الخلق ، ولأن الأول استغناء صــرف ، والثانى استغناء ممتزجة بالحاجة ،.

---

(1) المخطوطة : المعالج
(2) أيضا : التاسع عشر ،

التاسع عشر [1] ، رزقه إن قــدر له فلا حاجة إلى الطلب ، وإن لم بقـــدر لم ينفع الطلب ولا الحـــرص ، ولقائل أن يقــول : هــذا يقتضي أن لا يســعى فى طلب المعـــارف واكتســـاب الفضـــائل ولا فى تحصـــيل الأكل والشــرب ودفع المضــرات ، فانه ان قــدر حصل وإن لم يقدر لم يحصل ، الجـواب أن البحث والاسـتقراء أدانا إلى ان الارزاق قد رأيناها تحصل هجما بلا سعى ولا طلب تارة ورأيناها يفــوت الطــالب المتعــوب المجد ، وأما العلــوم والفضــائل [2] فقلما حصــلت هجما على الفــور ولا بغــير طلب وتعلم ووجه آخر.

العشـرون [3] ان صــاحب المــال يحتــاج إلى الجهد الشــديد فى حفظه وصــونه عن الآفــات والهلاك ، بل إن تلف حصل له الغم الشـديد ، وإن لم يتلف فلا يـزال خائفا عليه متعوبا لاجله.

أما المتجرد عن المال باكتسـاب كمـالات النفس فانه خال عن هذا الخوف والتعب.

الحادى والعشـرون [4] أن أمـوال الـدنيا وعروضـها عدوة لله تعالى ولأوليائه ، لأنها تشغلهم عن تحصيل الجنة ، وعــدوة لأعــداء الله لأنها تســوقهم إلى النــار ، وعــدوة لنفسها لأنها يأكل بعضها بعضا ، فإن صاحب المـال يحتـاج فى خزنه وحفظه إلى الخــزائن والاعلاق وإلى التحصــين والتوفيق وإلى الخزائن والاعوان ، وإلى العساكر والجنـود ، وكل ذلك يحتــاج إلى الحــرج منه والنفـــات ، فثبت ان المال يأكل بعضه ويفنى نفسه.

---

(1) المخطوطة : العشرون ،
(2) أيضا : ولا الفضائل ،
(3) أيضا : الحادى والعشرون ،
(4) أيضا : الثانى والعشرون ،

الثانى [1] **والعشـرون** محب المـال محب لكل جـزأ من أجزائه وهو لصدد الآفات والنقص ، وفـوات المحبـوب مولم ، فكل من (الورقة 282 ظ) كان ماله أكثر كان عدد أحبابه أكــثر ، ومصــائبه بآفــاتهم أكــثر ، فلا جــرم تعظم مصـائبه وتـدوم [2] احزابه أو تتواصل ، فهـذا هو الكلام فى علاج صفة البخل وفرط محبة المال وذلك بطريق العلم.

(الفصل الرابع)

أما علاج البخل [3] بطريق العمل فمن وجوه :

الأول أن يجــــالس الفقــــراء ويتباعد عن مجالسة الأغنياء والمتنعمين ، فإنه بـالطبع [4] يميل إلى ذلك فيتعب القلب إما بتحصـــــيله أو لفواته ، فمجالسة الفقـــــراء المنقطعين إلى الله يطيب القلب ويرضــيه ويخفف الهم ، قـال عليهالسـلام «اللهم احيـنى مسـكينا واحشـرنى فى زمرة المساكين» (1.

والغنى مظنة الانجذاب عن الله ، كما أن الفقر مظنة الانجذاب إلى الله والإعراض عما سواه.

الثــانى أن البخيل إذا تأمل ما ذكرنــاه وقررنــاه من مـذام البخل ومحاسن السـخاء فلا بد أن يميل إلى اختيـار المحاسن والحامد ، فينبغى له

(1) المخطوطة : الثالث
(2) أيضا : وقدوم
(3) أيضا : علاجه
(4) أيضا : الطبع

أن يبــادر إلى البــذل والجــود قبل أن يعارضه الشــيطان بشبه يصده [1] عن ذلك ويعيقه عنه فإن هذا دأبه.

يحكى أن بعض المشــــايخ (2 دخل إلى الخلاء نــــزع خاتمه أو بعض ثيابه وصـاح بتلميذ له ، فأعطـاه وأمـره أن يهبه لشخص عينه ـ فقال له «ألا صبرت أن تخرج» ، قـال : «خفت أن يتغــير خــاطرى عن ذلك أو يشح نفسى به ، فبادرت».

الثـالث : أن البخل عبـارة عن فـرط عشق المـال ، والعشق إذا تمكن فهو مــرض شــديد ، ومن أجــود ادويته البعد عن المعشـــــوق ، والرحيل عن بلد هو فيها فيمكن السلو عنه ، فكـذلك المـال يجب أن يبعد بالإنفـاق لـيزول عشقه عن القلب ، فيزول صفة البخل المذمومة.

الرابع أنه من لطائف الحيل فى هذا الباب أن يخــدع نفسه بحسن الاسم والاشــتهار فيما بين النــاس بــالجود والكرم ، فينتقل نفسه [2] عن هـذا المـرض ويـزول عنه ، وكذلك من يريد علاج البخل أن يشتغل بإنفاق المـال كيف ما اتفق له ، وأن لا يقول ان هذا الإنفاق جائز ، وهـذا غـير جـائز لأن المقصـود إزالة عشق المـال عن قلبه ، وذلك لا يحصل إلا بالافراط فى إهانته ، وتمييز بعض جهات الإنفاق عن بعض إعزازا لا إهانة.

ولـذلك قـالوا : إن البخيل لو رمى ما له فى البحر او أحرقه بالنار لكان خـيرا [3] من أن يمسـكه ، وإذا حصل له خديعة نفسه باشتهار

(1) المخطوطة : يضده
(2) أيضا : نفس
(3) أيضا : خير

اسم الجـــود والكـــرم ، ينبغى أن لا يحصل فى ذلك مزلة الريا ـــــ فإنه مـــــرض آخر اشد من الأول ، والحاصل أن المعالج لهـذه الأخلاق الذميمة يسـلط بعضـها على بعض ، فيسلط الشهوة على الغضب ويكسر سـورته بها ، وبالضد ، فكذا [1] هاهنا.

والبخل عبـارة عن طلب ملك الأمـوال ؛ والريا عبـارة عن طلب ملك الأرواح ، والجمع بينهما محـــال ، فكل من كان أخذ الأمـرين فى قلبه أقـوى عالجه بتسـليط الجـانب الآخر بشرط أن لا يقوى الجانب الآخر فيكــون كمن انتقل من مرض مهلك إلى آخر مهلك.

الخامس أن يتفق للإنسان أستاذ مشفق فكل شــيء عـــــــرف منه أنه يتعلق قلبه به أخرجه عن قلبه بعد أن يخرجه عن يـده ويبطله عليه ، ولا يـزال يفعل به ذلك إلى أن يضعف ميله إلى تلك الأشياء.

الحاصل أنه كما أن كـــــثرة الأفعـــــال تفيد الملكة الراسخة القوية فكذا [2] كثرة المفارقة توجب ضـعف تلك الملكة.

---

(1) المخطوطة : فكذى
(2) أيضا : فكذى

الفصل الخامس

فى حقيقة البخل والجود

المـال معد لأن يصـرف فى المهمـات (الورقة 283 و) ، فالإمساك حيث يجب البذل بخل ، والبـذل حيث يجب الإمســاك تبــذير ، والتوسط بينهما هو المحمــود ، وإليه الاشـارة بقوله تعـالى : (**وَلا تَجْعَـلْ يَـدَكَ مَغْلُولَـةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ**) (1 ، وقال : (**وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُـوا لَمْ يُسْـرِفُوا وَلَمْ يَقْتُـرُوا وَكـانَ بَيْنَ ذلِـكَ قَواماً**) (2).

فحاصل الكلام أن الّـــذي يجب بذله إذا لم يبذله فهو البخل ، ثم الّـــذي يجب بذله قســـمان : واجب الشـــرع وواجب بــالمروة ، فمن منع واحــدا [1] منهما فهو بخيل إلا أن الّذي يمنع واجب الشرع فهو أبخل ، وهو كمانع الزكـاة ومـانع أهله وعياله النفقة ، والّـذي يتمم الخـبيث لا يطيب له أن يعطى من الطيب ، فهو أيضا بخيـــــل. وأما واجب المروة فهو منع البر والمضايقة ، واستعمال المضايقة فى المحقرات فانها قبيحة ، ثم هذا الاستقباح يختلف باختلاف الأحوال والاعتبارات.

فالأول بسبب الفاعل ممن كثر ما له يستقبح منه ما لا يســـتقبح ممن يقل ما له ، وأيضا يســـتقبح من الرجل العاقل ما لا يسـتقبح من الصـبى والمـرأة ، ويسـتقبح من الحر ما لا يستقبح من العبد.

الثانى بسـبب المضـاف إليه فإنه يسـتقبح المضـايقة مع الأهل والولد بما لا يستقبح المضايقة فيه مع الأجانب.

---

(1) المخطوطة : واحد

الثـــالث ما فيه من المضـــايقة فإنها تســـتقبح فى الطعام ما لا يستقبح فى غيره.

الرابع يتعلق بـالوقت ، فـإن المضـايقة يسـتقبح فى أوقـات ، ولا يسـتقبح فى أوقـات أخر ، وبالجملة ، فهـذه الأحوال غير مضبوطة فى نفس الأمر ، والرجــوع فيه إلى الأمر الظاهر ، ويمكن أن يضـبط ذلك ، فيقـال قد ثبت أن المال خادم والطعام والشراب فهما خادمان للبــدن ، وهو خــادم للنفس ، وهى خادمة للفضــائل العلمية والخلقية ، فالمال هو الخادم الآخر ، وهذه الأشـياء مخدومة للمـال ، فكل مـال انصـرف إلى تحصـيل مرتبة من مـراتب هـذه الأشــياء الــتى ســميناها بالمخدومة كــان ذلك ســخاوة ، والامتنـاع منه يكـون بخلا ، وكل مـال انصـرف إلى شـيء آخر غير هذه المراتب كان ذلك تبذيرا.

الفصل السادس [1]

قد عـرفت أن السـخى هو الّـذي يبـذل من المـال ما يجب عليه بذله إما بسـبب الشـرع وإما بسـبب المـروة ، والبخيل هو الّذي لا يفعل ذلك.

فاما الجـواد فدرجته أعلى من درجة السـخى ، وذلك أن حقيقة الجـود هو إفـادة ما ينبغى لا لعـوض ، فلعل من يهب السـكين لمن يعلم من حاله أن يقتل نفسه بها أو يقتل غيره لا يكون جـوادا ، ولعل من يعطى ليسـتعيض [2] شيئا آخر لم يكن جوادا ، إلا أن عدم طلب العوض بالكلية لا يتصـور إلا من الله تعـالى ـــ أما الآدمى فإنه لا يبـذل الشـيء إلا لغـرض ـــ إما لثـواب [3] الآخـرة أو اكتسـاب الفضيلة النفسانية المسماة بالجود ـــ وتطهـير النفس عن رذيلة البخل سمى جوادا ، أما إذا كان الباعث على البـذل هو الخـوف من هجو الشـعر او من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يصل إليه من المنعم عليه ، فـذلك ليس بجود ، لأنه إنما أتى بهذا الفعل على سبب الضرورة.

---

(1) المخطوطة : الرابع
(2) أيضا : ليستوعظن
(3) أيضا : ثواب

فصل (سابع)

الكلام فى الجاه

قد عرفت كل واحد من هذه الأحـوال إنما تتكـون عن اعتقـاد حـال بخيل [1] فهاهنا يكـون كـذلك ، أما الاعتقـاد ، فهو أن الإنسان إذا اعتقد فى غـيره انه إنما يبخل منه فى خصلة من الخصـال الدينية تولد عن هـذا الاعتقـاد (الورقة 283 ظ) حالة نفســانية مخصوصة ، وتولد عن تلك الحالة أعمال مخصوصة وهى القيام بخدمته والثناء عليه بلســانه وتــرك المنازعة والتعظيم والمفاتحة بالســلام ، وتســليم الصــدر فى المحافل ، والجــاه عبــارة عن ذلك الاعتقــاد الموجب تلك الحالة النفسانية المـؤثرة فى هـذه الأحـوال الجسدانية.

السبب الموجب لحب الجاه

كما أن ملك (1 الـــذهب والفضة يفيد القـــدرة على تحصـيل الاغـراض فكـذلك ملك الارواح يفيد القـدرة على تحصـيل الاغـراض ، إلا أن الجـاه (2 احب من المـال عند ذوى الهمم العلية ، فـــإن لملك القلـــوب ترجيحا [2] على ملك الأموال من ثلاثة أوجه :

أحـــدها أن التوصل بالجـــاه إلى المـــال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه ، فالعالم أو الزاهد الّذي له جـاه فى القلــوب لو [3] قصد اكتســاب المــالى تيسر له ذلك ، فإن قلت الإنسان مـتى صـار ملكا للغـير صـار ما له ملكا لذلك الغـير ــ أما الرجل الخسـيس الّـذي لا يتصف بصـفة كمال إذا

(1) المخطوطة : حال وبخيل
(2) أيضا : ترجيح
(3) أيضا : او

وجد كــنزا أو أراد أن يتوصل به إلى الجــاه لم يتيسر له ، فالحاصل أن مالك الجـــاه مالك المـــال [1] ولا ينعكس ، فكان الجاه أفضل من المال وأحب.

والثــانى وهو أن الارواح من جنس عــالم الملائكة ، والــذهب والفضة من الجمــادات والتفــاوت بين جـــوهر الملائكة ، وبين جـوهر الجمـادات كثـير ، والاشـرف اولى بالمحبوبية من الاخس ، فلا جـــرم كــان الجـــاه أحب من المال.

الثــالث ليس الّـذي يحتـاج الإنسـان إليه من المــال بخاصة نفسه قليل كالمـــأكول والملبـــوس ، وإنما يحتـــاج الإنســـان إلى المـــال الكثـــير ليتوصل به إلى أن يصـــير مخدوما لغـيره ، وإن كـان غـير خـادم [2] له ، والمخدومية عبارة عن التفرد بصفات الحلال والعزة وهو محبوب لذاته ـ فالجـاه يـوجب حصـول هـذا التفـرد بلا واسـطة والمـال يوجبه بواسطة فذلك الأول أحب.

الرابع ان ملك القلــوب (3 ينمو ويتزايد بذاته ، فــإن القلـوب إذا دعيت لشـخص واعتقـدت كماله بعلم أو عمل اوضحت الالسـنة بالثنـاء عليه ، وكل من سـمع ذلك الثنـاء اعتقد أيضا فيه ، فثبت أن الجاه ينمو [3] بذاته ، واما المال فإنه لا ينمو [4] ولا يتزايد بذاته فكان الاول احب.

ومن الناس من قال أن الجاه إنما يـراد ليكـون صـونا للمال ، فإن

---

(1) المخطوطة : مالك للجاه مالك للمال
(2) أيضا : غير خادما له
(3) أيضا : ينموا ... لا ينموا
(4) أيضا : ينموا ... لا ينموا

من لا جــاه له لا يمكنه حفظ ماله عن الهلاك ـــ والتــابع أخس من المتبوع فهذا الإنسان يكون المال عنـده أثـرا [1] من الجـاه ، إلا أن الطبيعة البهيمية تكـون غالبة على هـذا الإنسان ، لأن المال من جنس المحسوسات ، والجـاه من جنس المجردات ، فكل من كانت البهيمية أغلب عليه كان حب المال عنده آثر ، وكل من كانت الروحانية عليه أغلب كان الجاه عنده آثر [2].

السبب الموجب لحب المال والجاه

له سببان :

احدهما ان حاجات الإنسـان غـير متناهية ولا دافع لها إلا المال ولازم المطلوب مطلوب ـ فلا جرم لزم أن يكون لا نهاية لحب المــال ، والجــاه صــوان المــال وحافظ له ، فصار الجاه أيضا محبوبا حبا لا نهاية له.

الثانى ما ذكرنا ان ملك المـال وملك القلـوب قـدرة والقدرة كمال (4) ، والكمال محبوب لذاته ، فهذه الاشياء محبوبة لذواتها ، وهـذه القـدرة بالنسـبة إلى كل واحد من اعيـان الامـوال واعيـان الارواح مملكته ، فلا جـرم كـانت محبوبة مطلوبة لأعداد غير متناهية [3].

وأيضا كـــون كل (الورقة 284 و) الامـــوال مملوكة وكـــون كل القلـــوب مملوكة يقتضي توحـــده بالمالكية والاستعداد والقهر ،

---

(1) المخطوطة : عنده اثر
(2) أيضا : الجاه عند اثره
(3) أيضا : للاعداد الغير متناهية.

والتوحد بالكمــال أيضا غاية الكمــال ، والكمــال محبــوب لذاته ، والاستكثار من ملاك الامـوال ، ومن تملك القلـوب (5 تقلل من الشركة.

وكلما كان التوحيد مطلوبا بالذات كل ما كان اقـرب [1] الى ثبـــوت التوحيد وإلى نفى الشـــركاء كـــان أولى بالمحبوبية ، فهذا هو السبب فى حب جمع الاموال وكـثرة الكنـــوز ، حـــتى لو كـــان للعبد واديـــان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ، وهو الســبب أيضا فى حبه لاتســاع الجــاه وانتشار [2] الصيت إلى اقاصى البلاد التى يعلم قطعا انه لا يصل إليها ولا شـــاهدها ولا اهلها ، ولا ينتفع بهم البتة فانه مع ذلك يلتذ غاية الالتذاذ ببلوغ صفته إلى هذه البلاد.

(1) المخطوطة : كلما اقرب كان الى الخ
(2) أيضا : واشار

فصل (ثامن) اجنبى عن هذا الباب

وهو فى بيان الكمالات الحقيقية والوهمية (1

اعلم ان الكمـــال اما أن يعتـــبر فى الـــذات أو فى الصفات أو فى الأفعال.

أما الكمال فى الذات فهو من وجهين :

الأول أن يكون واجب الوجـود لذاته لا يتعلق وجـوده بغـيره اصلا ، وأن يكـون واجب الوجـود فى جميع صـفاته من جميع جهاته ، ولو افتقر فى شـــيء من صـــفاته إلى غـيره لـزم منه كونه مفتقـرا فى ذاته إلى غـيره ، على ما تبين ذلك فى العلوم الحقيقية.

الثانى أن يكون منفردا بذاته ولذاته فى ذلك الكمـال دون المساواة فى الكمال ، لأن المساواة توجب النقصان ، لكن فيضان الكمالات عنه لا يوجب النقصـان البتة ــ لأن كل كمـال حصل للمعلـول فهو فى الحقيقة حاصل للعلة ، فاشراق نور الشـمس فى جميع الآفـاق لا يـوجب نقصـانا فى الشـــمس بل هو الـــدليل على غاية كما لهـــا. اما لو وجدت شمس أخرى تسـاوى هـذه [1] الشـمس فى الرتبة والاشراق ، كان ذلك نقصانا فى هـذه الشـمس ، ومعلـوم ان كل ما سـوى الـواجب لذاته كامل [2] فى ذاته بذاته من هذين الوجهين.

وأما كمال الصفات فهو فى العلم والقدرة ، اما كمال العلم فهو لله تعالى وهو من ثلاثة أوجه :

---

(1) المخطوطة : هذا
(2) أيضا : كاملا

الأول انه تعالى عالم بجميع المعلومـات ولـذلك كلما كان العبد أكثر علما كان أقرب إلى الله تعالى (2.

الثانى كون العلم جليا منكشـفا (3 انكشـافا تاما ، لا محالة يخالطه احتمال النقيضين ، وكذلك كلما كانت علوم العبد اجلى واظهر ، كان اقرب الى الله تعالى.

الثالث كون العلم (4 باقيا ممتنع التغير ، فلذلك كلما كانت علوم العبد أبعد عن الذم كان أقرب إلى الله تعالى.

والمعلومات قسمان ، متغـيرات وازليـات (5. أما المتغيرات فيلزم من تغيرها تغير العلم بها ، لو بقى بعدها لكـــان ذلك جهلا لا علما [3]. ولو لم يبق فهو المطلـــوب ، وامثال هذه العلوم لا تكون كمالا البتة.

أما المعلومـات الباقية فـالعلم بها يكـون باقيا وهو كالعلم بالماهيات المجردة ، والتصديقات التى يمتنع التغير عليها كالعلم بوجوب الواجبات ، وامتناع الممتنعات.

فثبت أن كمال العلم ليس إلا بسبب هذه الاعتبارات ، فكل علم حصل للعبد موصـوفا بهـذه الصـفات كـان ذلك العلم كما لا للعبد ، وما لا يكـون كـذلك لا يكـون البتة من باب الكمالات.

والقسم الأول وهو الّذي يكون صفة كمال هو الّذي يبقى مع العبد قبل الموت. (الورقة 284 ظ) وعند الموت وبعد الموت ،

---

(3) المخطوطة : «لو بقى بعدها .. جهلا لا علما» ، هذه الجملة مكتوبة مرتين

ويكـون هـذا العلم نـورا للعـارفين (6 بعد المـوت يسـعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولـون : ربنا اتمم لنا نورنا (7 أى تكون هذه العلـوم رأس مـال يتوصل بها إلى كشف ما لم ينكشف فى الـــدنيا ، كما أن من معه ســـراج خفى فإنه يجوز أن يصير ذلك سببا لزيـادة النـور بل يقتبس منه سراج اخر اقوى منه ومن لم يحصل معه فى الحياة الدنيا شيئا [1] من هذه العلوم لم يكن له طمع فى استكمال هذا النـــور بعد المـــوت ، فيبقى بعد المـــوت كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ، بل (**كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ**). (8

وأما القسم الثـــانى وهى العلـــــوم المتعلقة (9 بالمعلومات المتغيرة وهى كعلم اللغات والتفســير والفقه والأخبــار فشــيء منها لا يبقى ولا يحصل للنفس بســببها كمـال البتـة. أما القـدرة بكمالها كونها مسـتفيدة بالتـأثير والإيجاد والإبداع والإخراج من العدم إلى الوجود.

وأقول : إن الغزالى رحمة الله عليه ، بين ان كمـال الـــذات لا يحصل إلا عند التفـــرد (10 والوحدانية ، فـــاذن يجب عليه أن يعـرف بأنه لا مـؤثر فى الإخـراج من العـدم إلى الوجود إلا الله تعـالى ، إذ لو شـاركها غيرها فى هـذه المؤثرية لـــوجب أن يقـــدح ذلك فى كـــون القـــدرة الالهية كاملة ، ولو قـال بهـذا الأصل للـزم أن لا يثبت شـيئا يـؤثر فى شيء إلا قدرة الله ، وذلك يبطل أصل الفلسفة.

ثم قال : أما القـدرة فليس للعبد فيها كمـال حقيقى بل للعبد علم حقيقى ، وإنما القـــدرة الحقيقية لله تعـــالى وما يحـــدث من الاشـــياء عقيب إرادته وقدرته فهى حادثة باحداث الله تعالى (11.

---

(1) المخطوطة : شى

ولقائل أن يقول : مـذهبك فى هـذه المسـألة ليس [1] إلا مذهب الحكماء وعندهم ان القــدرة مع الداعية الحادثة يوجبان الفعل بهذا الفعل مستند إلى الله تعالى بمعنى انه تعـالى هو الّـذي أوجد القــدرة والداعية الموجبــتين لهــذا الفعل ، وأيضا فعنده أن حصول المشاركة يوجب النقصان ، وهاهنا قد سلم ان للعبد علما حقيقيا [2] فهذا يلزم وقــوع النقص فى علم الله تعــالى ، فــإن لم يلــزم هــذا فكيف ادعى لو حصل ما يسـاوى الله تعـالى فى وجـوب الوجـود لزم النقصان.

فثبت أن هـذه كلمـات ضـعيفة فى علاج حب المال وهو من وجوه :

الأول أن حب المال والجاه تأثر وانفعـال لها بالنســبة إلى المال وإلى الجـاه ، والتـأثر ضـعف ونقصـان ، وعـدم حب المال والجاه قوة للنفس لسـببها لم يتـأثر للمـال ولا للجاه ـ فالحالة الأولى صفة من صفات الهيـولى ، والحالة الثانية صــفة من صــفات الحق ، والّــذي يقــرر ذلك على ســبيل التمثيل ان الإنســان إذا وضع إصــبعه على جسم واعتمد عليه فتــأثر ذلك الجسم بــذلك الاعتمــاد دل ذلك على أن ذلك الجسم المتأثر له طبعية ضعيفة قابلة للتــأثر من القوى.

أما إذا لم يتـــأثر كالحديد دل على أن ذلك الجسم له طبيعة قوية شديدة مفيضة للبقاء والدوام ، فالمتـأثر يـدل على كمال الضعف وقبول الفنـاء. وأما عـدم التـأثر فيـدل على القوة والبقاء والدوام والاستغناء. فالنفس إذا تـأثرت بحب المـــال والجـــاه دل ذلك على ضـــعف جـــوهر تلك النفس.

(1) المخطوطة : السن.
(2) أيضا : علم حقيقى

ثم إن مراتب هذا التأثر كثيرة ، فكلما كان ذلك التـأثر أقوى وأشد كان ضـعف النفس ودناءتها أشد ، وكلما كـان عدم التأثر أشد وعدم الالتفـات إليه (الورقة 285 و) وقلة المبالاة به كانت النفس أشد قوة وأكمل وجـودا وأبعد عن طبيعة العـدم والانفعـال ، وأصـحاب علم الأخلاق يعـبرون عن هـــذا المعـــنى فيقولـــون فى القسم الأول إنها نفس مطبوعة على طبيعة العبودية وملكة الهيـــولى ، والثـــانى نفس مطبوعة على الحرية وصفاء الجوهر وعدم التأثر.

(الفصل التاسع)

فى بيان ان طلب الجاه قد يكون واجبا

وقد يكون مندوبا ومباحا مكروها وحراما

فنقـــول : الجـــاه والمـــال أما أن يحصل بنفسه أو يحاول الإنسان تحصيله ،

أما الأول فلا بـــأس به ، لأنه لا جـــاه اوسع من جـــاه رسول الله صلىاللهعليهوسلم وجاه الخلفـاء الراشـدين ، ومن بعد هم من علماء الـدين ، ولهم فيه الجلالة العظيمة ولا عيب عليهم فيه.

واما القسم الثـانى وهو طلب المـال والجـاه فنقول هذا على مراتب :

المرتبة الاولى أن يكـون واجبا وهو قسـمان : تـارة فى الدين ، وتارة فى الدنيا.

اما فى الـدين ، فهو ان الرسـول صلىاللهعليهوسـلم إنما بعث لـــــدعوة الخلق إلى الحق ، فلا بد وأن لا يظهر لهم إلا على الوجه الأحسن حـــتى يصـــير ذلك ســـببا لأن يقبلوا قوله ، وإلا صارت احواله منفرة فهاهنا طلب الجاه

بقــدر هــذه الحاجة واجب ، قــال ابــراهيم عليهالســلام : (**وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**) (1.

وأيضا العلمــاء الــذين إليهم الرجــوع فى أمر الــدين والفتوى وجب عليهم طلب الجاه بقدر ما يكمل اغراضـهم فى الدين.

وأما فى الـــدنيا فهو أن الانســـان خلق محتاجا ، ولا يمكنه دفع حاجاته الضـــرورية إلا بالمـــال ولا يمكن حفظ ذلك المال إلا بالجاه ، وما لا يتم الـواجب إلا به فهو واجب ، فطلب [1] ذلك القدر من الجاه واجب.

ثم نقــول : هــذه الحاجة إما أن تكــون جســمانية أو روحانية ، أما الجســـمانية فهو ان المقـــدار المعين من الطعام والشراب والملبس والمسـكن الّـذي لو لم يحصل لوقع الإنسان إما فى الموت أو المرض ، فتحصـيله واجب بالجـاه والمـال اللـذين [2] لا يمكن تحصـيل ذلك القـدر إلا بهما.

وأما الروحانية فهو ان طلب العلم ربما احتـــــاج من مصالح المطعم والمشرب والملبس إلى أمور فوق القـدر الاول ، فــإذا كــان ذلك العلم علما يجب عليه طلبه كــان المـال والجـاه اللـذان لا يمكن تحصـيل ذلك العلم إلا بهما يكون واجب التحصيل.

المرتبة الثانية المال والجاه اللذان يكون تحصـيلهما غير واجب لكنه يكون مندوبا إليه ، وذلك لأن القـدر الّـذي لا يمكن بقاء الحيـاة إلا به ولا يحصل ضـروريات الـدين إلا معه غير ، والقدر الّذي لا يمكن كمـال هـذه الافعـال إلا به فهو غير ، فلما كان الأول من قسم الواجبات

(1) المخطوطة : فحفظ ، وفوق هذا اللفظ «فطلب»
(2) أيضا : اللذان

كـان هـذا التـالى من المنـدوبات ، فـإن الانسـان إذا كـان بحيث لو لم يكن فـــارغ البـــال طيب النفس بالكلية لم يتمكن من طلب العلوم الدقيقة ولم يقـدر على المبـاحث الغامضة ، فكل مال وجـاه لا يمكن تحصـيل تلك الحالة إلا معه كـان طلبها منـدوبا ، ولهـذا قـال يوسف عليهالسـلام (**اجْعَلْنِي عَلَى خَزائِنِ الْأَرْضِ ، إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**) (2 ، وطلب المال عند ذلك الملك والسبب فيه ما ذكرنا.

المرتبة الثالثة طلب المال والجاه (الورقة 285 ظ) بشرط أن يكون ذلك الطلب مباحا وهو ما إذا عـرض نـوع فضيلة من فضائله الـتى يكـون هو صـادق فيها ليحصل له فى قلــوب بعض النـــاس جـــاه ومنزلة فهـــذا من بـــاب المباحات [1] ، إلا ان بقاء هذه الحالة على هذا الحد متعذر جـــدا ، لأن الإنســـان إذا التذ بطلب الجـــاه ، فقد يـــدعوه التـــذاذه إلى طلب الزيـــادة عليه ، وقد (لا) يمكنه طلب الزيـادة بالصـدق العـارى عن التلـبيس فحينئذ يقع الكـذب فلما كـان بقـاء هـذه الحالة الموصـوفة بكونها مباحة على ذلك الحد امرا متعذرا لا جرم كان الاولى الاحتراز عنه ،

المرتبة الرابعة : المكـروه وهو ما إذا علم الإنسـان شـدة ميل طبعه إلى طلب الجـاه والتـذاذه به فيكـره له طلب الجاه بالصـدق لأن الداعية الطبيعية لما كـانت قوية فــإذا التذ بها ألفها وســربها ، فصــارت تلك الحالة موجبة لإعراضه عن ذكر الله تعـــالى وكونها على هـــذا الخطر يوجب ترك الطلب.

المرتبة الخامسة الحــرام وهو أن يتوسل إلى طلب الجاه بالريا والكذب فهذا إلقاء التلبيس فى قلـوب النـاس والاعراض عن الصدق

---

(1) المخطوطة : المباحاة

والصواب ، والاقبال على الضلال والاضلال فكان حراما. ثم ان التوسل إلى طلب الجاه بإظهار الصفات الحميدة مع كون الإنسان عاريا عنها ، ليس له مرتبة واحدة ، بل له مراتب لا نهاية لها فى القلة والكثرة والضعف والشدة ، فلا جرم لا نهاية للمراتب الأربعة فى هذه المرتبة.

(الفصل العاشر)

بيان السبب فى حب المدح والثناء وبغض الهجو والذم

له اسباب : الاول ان عند المدح يحصل شعور النفس بالكمال ، والكمال مجبوب لذاته (1 ، وكل محبوب فإداركه لذة ، فلهذا السبب كان سماع المدح لذيذا [1] ، وتقريره ان الوصف الّذي به مدح إما أن يكون جليا ظاهرا أو خفيا مستورا ، فإن كان جليا ظاهرا لم يقو الالتذاذ به ، فإن السلطان القاهر الّذي عظمت قدرته واتسعت مملكته إذا مدح بكونه لذلك لم يفرح به لأنه لما كان الوجود كان الشعور به حاصلا لكل احد ، والغرض من المدح تحصيل الشعور به وهو حاصل فجرى هذا مجرى تكوين الكائن وتحصيل الحاصل وانه لا فائدة فيه.

ثم هاهنا دقيقة وهى انه من الجائز أن يكون الإنسان موصوفا بصفات كثيرة ، كل واحد منها يكون ظاهر الوجود فلا يلتذ الانسان عند سماع كل واحد منها لكنه يلتذ بسماع مجموعها ، والسبب

---

(1) المخطوطة : لذيذ

فيه ان الــذهن لا يحصل له شــعور بــالمجموع ، وإذا كــان كــذلك كــان ذلك المجمــوع أخفى من كل واحد منها ، فلا جرم يلتذ الانسان إذا مدح بمجموع تلك الصـفات فـوق ما يلتذ إذا مدح بكل واحد منها.

وأيضا فحصــول كل واحد منها اكــثر وحصــولها على الجمع أقل فالمدح بالمجموع اقـرب إلى الشـعور بـالتفرد وقد ذكرنا انه الكمال الحقيقى فكلما كان اقرب منه كــان إلى الكمال الحقيقى اقرب ، فكان اسماعه ألذ.

وأما القسم الثانى وهو أن يمـدح بحصـول صـفات الكمال إما كمال فى الزهد او كمال فى القوة والســلطنة فذلك يورث اللذة من وجوه :

الأول ان الممدوح ربما كان شاكا فيه فإقرار المـادح بــذلك كالشــهادة على ثبوته فيه (الورقة 286 و) اعتقـاده فى حصول ذلك الكمال له ، ويــزول عنه الشك والــريب ، ولما كان حصول الكمال محبوبا بالذات كان قـوة الاعتقـاد فى حصوله أقـوى وألذ ، ولكن هـذه اللـذة من هـذا الوجه إنما يحصل إذا صدر الثناء ممن لا يكذب ولا يخالف ــ وأما إذا كان كاذبا مجازفا فلا يحصل هذه اللذة.

الثـانى ان صـدور ذلك المـدح عن ذلك المـادح يـدل على انه يقبله معتقـدا فى كمـال هـذا الممـدوح واعتقـاد الفضيلة يوجب كون الناقص منقــادا للكامل ومطواعا له ، فهــذا المــدح يــدل على صــيرورة ذلك المــادح مســخرا بتسخير هذا المدح وذلك نوع قدرة ، والقدرة

كمال ، والكمال محبوب ، ولهذا السبب كلما كـان المـادح اعلى [1] شأنا كان الالتذاذ بمدحه اكثر إلا أن الاستيلاء على الملك العظيم يقبل الاستيلاء على كل رعيته ولا ينعكس.

الثالث ان ذلك المدح يسمعه الحاضرون سيصل إلى الغائبين وعند ذلك يصير السامعون معتقـدين فى فضـيلته وجلالته ، فيصـيرون منقـادين له ، وذلك يـوجب ان المـدح اقـرار بكونه افضل ، فيتضـمن الاقـرار يكـون هـذا القائل ناقصا واقـرار الانسـان بنقصـان نفسه مكـروه متعـرض ، فثبت ان النافي للإقرار بفضـيلة الغـير قـائم ، فـاذا اقـدم الانســان على هــذا الإقــرار دل ذلك على ان المــوجب للاقرار بهذه الفضيلة قد بلغ مبلغا عظيما فى القـوة حـتى حصل مع قيام المنافى وتلك القوة لا تنفك عن احد أمرين ، لأن تلك الصــفات الحميــدة إما أن يقــال انها بلغت فى القوة والظهور إلى حيث عجز هذا المادح عن انكــاره ، أو يقال انها وان كـانت مفقـودة ، إلا ان هـذا المـادح بلغ فى الخوف من هذا الممدوح إلى حيث اقدم على هـذا المـدح مع قيــام صــادقين قــويين ، وهما الاقــرار بفضل الغــير والاقدام على الكذب ، ومتى كان الامر كذلك اسـتقر ذلك بغاية قدرة هذا الممدوح وقهره وغاية ضـعف ذلك المـادح وذلته ، والقدرة من صـفات الكمـال ، والكمـال محبـوب ، وهذا المدح مشعر بهذا الكمال فلا جرم كان محبوبا.

فهــذه الاســباب الاربعة هى الموجبة لحب المــدح والثناء ، فان اجتمعت بالكلية كان الالتـذاذ اكـثر فى الغاية القصوى (2) وان حصل بعضها كان الالتذاذ بقدر ما حصل من هذه الاسباب.

---

(1) المخطوطة : اعلا

اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بأن يعلم الممدوح انه غير صـادق لكنه قصـير بهـذه [1] الجهة ، مختصر بجهة أخـرى [2] وهى أن الممـدوح يعلم ان أقـدام هذا المادح على الكذب وعلى إظهار هذا الخضوع ليس إلا لاسـتماحته وجذبه إليه بكونه يحب تسـخيره ويكرمه وذلك أشـعار لحصـول القـدرة من بعض الوجـوه ، فـإن اعتقد الممـدوح أن هـذا المـادح لم يقل هـذا المـدح عن الحاجة والضـــرورة انقلب إلى محض الســـخرية والاســـتهزاء بالممدوح.

(الفصل الحادى عشر)

فى علاج حب الجاه

قد عرفت أنه لا معنى للجـاه إلا ملك قلـوب النـاس ، وهذا وإن كان لذيذا نظرا إلى حصول القدرة التى هى من صفات الكمال يلزمه لوازم مكروهة :

الأول إن طلب المال وطلب الجـاه انفعـال للنفس ، وتأثر فيها بحب المال وحب الجاه ، والانفعـال والتـأثر من صـفات الهيـولى وقابلية العـدم. (الورقة 286 ظ) وعـدم الالتفات إلى المال.

والجـاه عبـارة عن قـوة فى النفس وشـدة باعتبارها يمتنع من الانفعال من الغير وهذا هو صفة واجبة الوجود ، فالحاصل ان طلب

---

(1) المخطوطة : هذه

(2) أيضا : مختصرة بجهته أخرى

الجـاه طلب للقـدرة ، والقـدرة كمـال فى الصـفة ، وتـأثر النفس لهذا الطلب يدل على كون الذات منفعلة ومتــأثرة وهو نقصان فى الـذات ، وإذا وقع التعـارض بين النقصـان فى الذات والنقصان فى الصفة ، فإن الأول أولى بالدفع.

الثانى أن طلب الجـاه لا يمكنه تحصـيله إلا بتحصـيل موجباته ، وتلك الموجبـات هى إن ظهـرت [1] لهم أبــدا ما يعتقدونه فضـــيلة عن كل ما يعتقـــدون كونه رذيلة وذلك بدون النفاق ، وأصل الفساد ، فـإن هـذا الإنسـان ان لقى أهل التشــبيه ولا بد أن يظهر من نفسه الميل إلى التوحيد ، وقس على هذا المثال جميع الأحوال المتباينة في الـدين وفى الـدنيا ، ثم إذا أنى بهـذا النفـاق القـبيح بقى أبـدا فى خوف أن يفتضح ويظهر نفاقه فـيرجع [2] عنه جميع الفـرق ، والنفس إذا وقعت فى هـــذه الـــدركات فقد ضـــلت وخسرت وصارت من الهالكين.

الثالث ان ملك القلوب ان سلم هـذه المحنة فـآخره الموت بل لو سجد (1 لك كل من فى المشرق والمغـرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المســجود له بمثل هذه السعادة المشرفة على الـزوال ، فلا ينبغى أن يــرجح على الســعادة الباقية أبد الآبـاد ، وهـذا العلاج لا يتم إلا إذا نسبت مـدة الحيـاة إلى ما ســيجيء من غـير الابد ، وذلك إنما يكون باستحقاق معنى الابد على الوجه الّذي لخصناه.

الرابع وهو أن الجاه معناه التفرد بـالحكم والاســتيلاء والاستعلاء ، ومعلوم انه إن حصل لك هذا المعنى بقى كل من سواك [3] محروما

---

(1) المخطوطة : ظهر
(2) أيضا : فرجع
(3) أيضا : سؤال

عنه ، والحرمان عما يكون مطلوبا مكروه بالذات.

إذا عـرفت هـذا ظهر عنـدك حـال كل من سـواك من أهل المشرق والمغـرب ، انهم ينازعونك فى طلب الجـاه ويحـــاولون [1] دفعك عنه ومنعك من الوصـــول إليه ممن طلب الجـاه ، فقد ألجأ كل من سـواه من أهل المشـرق والمغــرب إلى عداوته ومنازعته وإبطــال حياته وإبطــال جميع كمالاته ، ومعلـوم أنك واحد منهم ، ولو قـدرت على المقاومة [2] لم تقدر إلا على مقاومة واحد أو الاثنين ، وإذا اجتمع قوم على مقاومتك قهروك ولا سيما إن اجتمع أهل المشرق والمغـرب فلا بد وان يقهـروك وأن يوصـلوا إليك كل شر ومحنة ، اللهم إلا إذا صـــرت مؤيـــدا بالتأييـــدات الإلهية السماوية أو الاتفاقات الفلكية الغربية النادرة حـتى تنجو [3] منهم مـــــدة قليلة إلا أن النـــــادر لا عـــــبرة به والمرجوح.

فثبت أن من طلب الجـاه فكأنه حــرك البحر الأعظم من الآفـات ، ويهـدف لأن يحته المـوج من كل جـانب من غير أن يكـون له عن ذلك مهـرب ، ولا دافع ، وذلك مما لا يقدم عليه العاقل.

الخــامس وهو أن حصــول الجـــاه مبـــنى على ميل القلــوب ، وميل القلب إلى الاعــتراف بفضــيلة الغــير لا يحصل إلا عند الاعـتراف بفضـيلته هو الأمر العرضى ، ولا سـيما من العـرض السـريع الـزوال ، ولهـذا السـبب كـان الأصل فى اعتقـاد الإنسـان فى كـون غـيره أفضل منه هو العـدم ، فـإن حصل فـيزول عن قـريب ، ولما كـان مـدار الجاه على هذا

---

(1) المخطوطة : ويحاولو دفعك
(2) أيضا : على المساومة الخ
(3) أيضا : حتى تنجوا منهم

الحرف وهو سـريع الـزوال ، والـذاتى أقـوى من العرضى ولا سيما من العرض السريع الزوال ، ثم بتقدير أن ينقلب الإنسان من لذة الجاه إلى ذلة الرد وعدم الجاه كانت تلك المشتقة فى النهاية (الورقة 287 و) القصوى من الأسف واللـذة الحاصـلة من وجـدان ذلك الجـاه لا تقر [1] بهـذه المذلة ، وثبت أن الأولى ترك طلب الجاه.

السادس ان لذة الجـاه هو اقبـال النفس على عـالم المحسوسـات ، واشـتغال باللـذات المقتبسة منها ، وهى مانعة للنفس عن الإقبـــال على عـــالم الروحانيـــات ، والاشتغال بتلك اللذات العالية ، وقد عرفت إنه لا مناسـبة بين اللذات الفائضة من عالم الروحانيات إلى هذه اللذات الجسمانية.

السابع أن لذة الجائع ليست لذة ظاهرة قاهرة تزيل عن القلب طلب اللذات الشهوانية ، لكن طلب لذة الجـاه لا سـبيل له إلى وجـدانها إلا بـترك اللـذات الشـهوانية مع كونه متذاكرا لها راغب النفس فيها ـ فهـذا الشـخص وإن سعد بوجدان لذة الجاه لكنه شقى بفقدان لذة الشـهوة ـ ففقد الخـــير والمقابلة كأنه لا لـــذة أصلا ، أما الالتـــذاذ بالإقبال على عـالم الروحانيـات فهو التـذاذ قـاهر قـوى لا يبقى معه شعور بشيء من الجســمانيات فضلا عن الميل إليها والرغبة فيها ، فاللـــذات العقلية خالصة عن مخالطة شـــيء من آلام ، ولـــذة الجـــاه مخلوطة بـــألم فقـــدان الشهوات ، فكان الأول أفضل.

الثامن أن صـاحب الجـاه ، فـإن كـان يتخيل انه ملك قلـــوب الخلق إلا انه مخطئ ، بل هو فى الحقيقة مهـــان مملوك لكل الخلق ، لأنه إذا

---

(1) المخطوطة : لا تقى

مـال قلبك إلى أن يعتقد [1] أهل العـالم وتحكم عليهم فقد صــرت كالخــائف الوجل من أن تقــدم على أن ينفر كل واحد منهم عن الانقيـــــاد لك وتخرجه عن ربقك [2] ، والمشـتغلين بخـدمتك ، وذلك يـوجب أن تكـون أبـدا دائم التفحص عن أحــــــوالهم ، دائم البحث عن مـــــــراداتهم ومكروهــاتهم حــتى تكــون مواظبا على مــراداتهم ، فقد صرت كالعبد الاسـير لكل واحد من اولئك المريـدين ، ولو أخــبرت بــأن واحــدا منهم رجع عن إرادتك وأعــرض عن مبايعتك لتألم قلبك وتشوش فكرك.

فثبت أن من جعل نفسه شــــــــيخا لطائفة فهو فى الحقيقة صــــــــار كالعبد القن لكل واحد منهم ، لا يلتذ إلا بالإقبــــــال عليهم ، ولا يغتم إلا باعراضــــــهم وأما أولئك المريــدون [3] فـــإن كل واحد منهم ليس إلا فى قيد ذلك الرجل الواحد ، فهذا المريد ليس إلا عبـدا لرجل وأما ذاك المراد فهو عبد لكل واحد من أولئك المريـدين ، فهكـذا [4] صاحب الجاه حاول ملك القلوب وهو فى الحقيقة بلغ فى المملوكية إلى أقصى الغايـــــــات وفى العبودية إلى أبلغ النهايات.

التاسع أن صاحب الجاه لا ينقذ حاله عن أحد أمــرين ، إما فى التزين للخلق واستخراج الطرق الجالبة لقلـوبهم إليه ، وإما فى رفع الأمور التى تنقص تأثير الجلالة عليه.

إذا عـرفت هـذا ، فنقـول : أما الطـرق الموجبة لحب الجاه فليست

---

(1) المخطوطة : يفتقد
(2) أيضا : وتخرجه عريص والمشتغلين الخ
(3) أيضا : المريدين
(4) أيضا : فها كذا

إلا إظهار ما يعتقد الناس كونه فضيلة ، والأمور التى يعتقد النـــاس فيها أنها فضـــائل مختلفة بالبلـــدان والازمـــان والأمزجة والاصناف والعادات وليس لها ضابط معلــوم ولا قــانون معين ، ولما كــان كــذلك كــانت الطــرق الموجبة لزوال الجاه أيضا غير مضبوطة ، فصاحب الجـاه مشـغول الفكر يضــبط ما لا ضــبط له فى الإيجــاد وفى الاعــدام ، وذلك يســتدعى توقيف الفكر وحبس النفس وشـغل الهم وذلك يصــده عن جميع خــيرات الــدنيا والآخــرة ، فيبقى عمره فى استخراج الحيل التى يكون هو عالما بكونها من الأباطيل والأضاليل وينقضى عمـره فى الخـوف أن يحضر أحد يهتك سـتره فيها ويكشف عن فضـيحته ، ومعلـوم أن ذلك بلاء لا بلاء فوقه (الورقة 287 ظ) ولا عناء أزيد منه.

العاشر أن كل من كان أكثر التذاذا بالجـاه فـإذا بقى محروما عنه كـــان تألمه بفقدانه أشد وأشق ، ولما تقابل هذا الوجدان بضرب من الحرمان فقد تعارضا وتســاقطا ، فوجب البقاء على الحالة الأصـلية ، فهـذا هو الإشـارة إلى العلاجات العملية.

(الفصل الثانى عشر)

وأما العلاجات العملية ، فهى من وجوه :

الأول مباشــرة أعمــال مباحة (1 يلام الإنســان عليها حـتى يسـقط من أعين النـاس ويـزول عنه لـذة القبـول ، ويأنس بالخمول ، وهـذا هو طريق أصـحاب الملامتية على أن فيهم من يقدم على صفة الفواحش ليسقطوا أنفسهم عن أعين الناس فيسلمون من آفات الجاه.

وقال الغزالى : وله شرائط :

الأول أن هـذا غـير جـائز لمن يقتـدى به فإنه يـوهن الدين فى قلوب المسلمين.

الثـانى لا يجـوز (2 أن يقـدم على المحرمـات لهـذا الغرض بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس.

روى أن بعض الملـوك قصد بعض الزهـاد ، فلما علم تقربه منه أســرع إلى طعــام عنــده وجعل يأكله بشــره ويعظم اللقمة ، ويتضـاحك على الاكل ويصـفق بيديه فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف ، فقـال الزاهد : الحمد لله الّذي صرفك عنى.

أما العلاجــات العملية : إذا أراد الإنســان علاج هــذا المــرض ، فإما أن يكــون فى الموضع الّـذي عرفــوه فيه بالجاه وعلو القدر أو فى موضع ما عرفوه بذلك.

أما القسم الأول ، فلا سبيل إليه إلا بطريقين ـــ إما باعدام ما يوجده أو بايجاد ما يعدمه.

أما الأول ، فنقول : لا شك أن الموجب لحصول الجاه ليس إلا اظهـار الفضـيلة فمن أراد علاج هـذا المـرض فليـترك إظهـار تلك الفضـائل الـتى بإظهارها يتوسل إلى اكتسـاب ذلك الجـاه ، فـإن لم ينفع ذلك فى هـذا الغـرض فليظهر أمـورا يظن بها أنها اضـداد تلك الفضـائل ، فـإن الضد الطارئ لا بد وأن يزيل الضد السابق.

وأعلم أنه كما يمكن إظهـار ما ليس بفضـيلة بحيث يظن به فى الظـاهر أنه فضـيلة كـذلك يمكن إظهـار ما يكـون فى نفسه فضـيلة بحيث يظن به فى الظـاهر أنه رذيلة ، فـإن من أكل الطعـام الكثـير مع إظهـار الشـره والضـحك ومن أظهر التصـفيق والـرفض والعـدو والتشـبه بأفعـال الصـبيان والمجـانين وكـانت نيته فى تلك الأفعـال إزالة حب الجـاه واخلاص السر لله تعـالى كـانت تلك الافعال فى الحقيقة من أعظم الفضـائل ، وإن كـان يظن بها أنها من الرذائل ، كما أن من واظب على الصـلوات والصيامات لقصد جلب قلوب النـاس كـانت تلك الأعمـال فى الحقيقة من أعظم الرذائل ، وأن يظن بها أنها من الفضائل.

وأما القسم الثـانى ، وهو أن يريد إزالة الجـاه فى موضع لا يعرف بالجـاه ، فهـذا لا طريق إليه إلا أن يسـافر الإنسـان إلى بلد لا يعرفونه ولا يطلعـون على أحواله ، ثم يخلط نفسه بـالعوام ولا يـأتى بفعل يمـيزه عن العـوام ، ويدل على فضيلته ، فـإذا فعل ذلك فقد يخلص عن آفـات الجاه بالكلية.

ويقـال ان كيخسـرو [1] الملك لما ملك الأرض تـاقت نفسه إلى العـالم الالهى ، وعلم أنه لا سـبيل إليه بـالجمع بين الملك وذلك الأمر ،

---
(1) المخطوطة : كيخسرو

فترك مملكته وسافر إلى موضع لم يعرف أحدا إلى أين ذهب واشتغل بنفسه فهذا هو الطريق فى هذا الباب.

(الفصل الثالث عشر)

(الورقة 288 و) بيان العلاج لكراهة الذم

اعلم أن أفعال أكثر الخلق موقوفة على ما يوافق رضى الناس رجاء المدح وخوف الذم ، وطريق علاجه من وجوه :

الأول ــ ان الصفة التى يمدح الإنسان بها إما أن تكون موجودة أو معدومة ، فإن كانت موجودة فإما أن تكون موجبة للمدح فى نفس الأمر أو لا تكون موجبة ، فإن كانت موجودة وكانت موجبة للمدح وجب أن لا يحصل الفرح بهذا المدح لوجوه :

أحدها ان ذلك انعام من الله تعالى يوجب الشكر ، والظاهر أن الإنسان لم يقم لشكره كما ينبغى ، فهذا الإنسان يجب أن يكون خوفه من التقصير عن القيام بشكر الله بتلك النعمة يمنعه عن الفرح لحصولها خوفا من أن العواقب غير مستقرة ، فلعلها تزول ، فوجب أن يكون خوف زوالها مانعا عن الفرح بها وبحصولها.

وثانيها وهو ان فرحك بمدح هذا المادح مما يذهلك عن ذكر الله تعالى ، فإن كان حصول تلك الصفة توجب الفرح فحصول العائق عن ذكر الله تعالى يوجب الغم ، والفرح إذا أوجب الغم كان وجوده مفضيا إلى عدمه.

وثالثها أن المؤثر فى حصول تلك الفضيلة جــود الله تعـالى فى تخصيصك بتلك النعمة ، وأما قـول المـادح فهو اخبــار صــدق عن حصــوله ، وذلك تــابع له ، والمــؤثر فى الشــيء أقــوى من الأثر الّــذي يكــون نافعا له ولا يختلف حاله بوجـــوده ولا بعدمه ، فـــوجب أن يكـــون اســـتغراق الإنســـان فى معرفة أن الله تعـــالى خصصه بتلك النعمة الجسيمة يذهله عن الفرح بالمدح.

وأما ان لم يحصل فى قلبه شعور بأن ذلك من انعــام الله تعـالى فـوجب أن يكـون حسـرته بسـبب هـذه الغفلة أقوى من فرحه بسبب حصول تلك النعمة.

ورابعها ان حصول تلك الصفة المحمـودة بـدون ذكر الــذاكرين له نعمة من الله تعــالى عليه ، لأنه يصــير خاليا عما يوجب العجب والكبر والتيه وحصـولها ، مع ما يــوجب تلك الأخلاق الذميمة المهلكة ، ولا شك أن حصـــــول تلك النعمة خالية عن كل الآفـــات أحب وأفضل من حصـــولها مقرونة بالآفـــات المهلكـــات فـــوجب أن لا يكـــون الحمد محبوبا.

وخامسها ان شـعور الانسـان بحصـول تلك الفضـيلة حال ما كانت خالية عن مدح المادحين يوجب توجه القلب إلى فضل الله تعالى وانعامه على العبد وشعوره بحصولها حال كونها مقرونة بمدح المادحين يوجب انصــراف القلب عن الحق إلى الخلق ، ولا شك ان الاول اولى.

اما القسم الثانى إذا مدح بصـفة حاصـلة فيه إلا ان تلك الصفة لا توجب المــدح فى الحقيقة بل هى من جملة ما يوهم انها توجب المدح

بالقوة والنحل [1] والنسب.

وعلاجه أن يتأمل فى البراهين الدالة على انها ليست من موجبات المدح بل هى أوهـام بالجملة باطلة وخيـالات فاســدة لا تفيد الا شــدة الجهل وتاكيد الغــرور وتــراكم الضلالات والبعد عن الله تعالى.

واما القسم الثـالث : إذا مــدح بوصف غـير حاصل فيه فحصول الفرح لهذا المدح غاية الجنون (1 هو كما إذا مدح بالصلاة والـورع والاشـتغال بخدمة الله تعـالى مع انه يعرف انه فى قلبه وباطنه خال عن هذه الافعال ، وانه ما اتى بهذه الطاعات الظاهرة الا طالبا للمال والجاه ، فهذه حالة التزوير والتدليس.

العلاج الثـانى بحب المـدح ، ان ذلك المــدح إما أن يكـون كـذبا أو صـدقا ، فـإن كـان كـذبا فالقائل يسـتوجب (الورقة 288 ظ) العقــاب على الكــذب والســامع له الراضى به يستوجب العقاب على كونه راضيا بالمعصـية ، وإن كـان صـدقا فالقائل إنما يقوله لغـرض فاسد عاجل ، والســـــامع لا بد وأن يحصل له العجب والتيه وذلك مما ينقص ثواب طاعته فى الآخرة ، ومما يوجب حصـول نـوع من العجب والفضيلة الخالية عن العجب أحب إلى النـاس العقال [2] من الفضيلة المقرونة بالعجب ،

العلاج الثالث : إن بعض النـاس وإن كـانوا يمـدحون فهم [3] فى الاكثر يذمون ، فان عرض الانسان نكتة [4] لأن يفـرح بالمـدح فقد عرضه لان يحـزن ويتـألم بسـبب الـذم اكثر ، فهذا الانسان الّذي فعل

---

(1) المخطوطة : والجل

(2) العقال جمع عاقل ،

(3) المخطوطة : فيهم

(4) أيضا : ملسه

هـذا فقد سـعى فى تشـويش مصـالح الـدنيا على نفسه بسبب كثرة الغموم الحاصلة عند ذم الناس ، وسعى أيضا فى تشويش مصالح الآخرة بسبب ان المقبل على احـوال الخلق محجوب عن الحق.

علاج كراهية الذم : ان الّـذي ذمك (2 إما أن يكـون قد صدق فيما قال أو قصد النصح أو صدق وقصده الإيـذاء ، أو يكـون كاذبا ، فـان صـدق وقصـده النصح فلا يجب أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بســـببه ، بل يجب ان تعد ذلك إنعاما منه عليك ؛ لأن من اهــدى إليك عيوبك فقد أيقظك من رقدة الجهالة وهـداك إلى المهلكة حـتى تحـترز عنها ، وأما إن صــدق وقصد به الايــذاء فإنه بالحقيقة قد انتفعت به وبقوله ، إذ عرفك عنك إن كنت جـــاهلا ، او ذكـــرك العيب ان كنت قد نســـيت أو قبحه فى عينك إن كنت قد استحسنته ، وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه ، فاشـتغل بطلب موجبـات [1] السـعادة وإزالة موجبـات [2] الشــقاوة ، فقد انهج لك اســبابها بســبب ما ســمعته من المذمة ، ألا ترى انك إذا قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالقذر ، فقال لك قائل : أيها الملـوث بالقـذر! طهر نفسك وحينئذ تدخل على الملوك ؛ فيجب عليك ان تفــرح بقوله لأن هذا التنبيه غنيمة لك.

وجميع مســـاوى [3] الاخلاق (3 مهلكة ، والانســـان لا يعرفها بالتمام إلا من قــول اعدائه فيجب ان يغتنمه ، فأما إن قصد العدو (4 الايذاء فـذلك خيانة منه على رين نفسه وهو نعمة منه عليك ، فلم تغضب بفعل هو نفع فى حقك وضرر فى حق عدوك.

---

(1) المخطوطة : موجات (فى الموضعين)
(2) المخطوطة : موجات (فى الموضعين)
(3) أيضا : ساوى

واما القسم الثــالث وهو أن يفــترى عليك بما أنت بــــريء (5 منه عند الله ، فيجب أن لا تكـــره ذلـــك. ولا تشتغل بذمه ، بل تتفكر فى ثلاثة :

الاول انك إن خلـوت من ذلك العيب فما خلـوت عن كل العيوب ، فاشـكر الله تعـالى إذ لم يطلعه على عيوبك كلها الموجودة فيك وشغله بذكر ما انت بريء عنه.

الثانى ان سماع ذلك الكلام يوجب النفـرة الشـديدة عن مخالطة الخلق ، ومن اعـــــرض عن الخلق فقد توجه إلى خدمة الخلق لا محالة لأن الانســــــان يمتنع أن يبقى معطلا ، بل خلق فعالا بـالطبع ، فالـذم يـدعوك من الخلق إلى الحق ، والمـــدح يـــدعوك من الحق إلى الخلق ، فما أعظم التفاوت!

الثالث ان ذلك القائل قد صــارت نفسه ملوثة برذيلة الكـذب مع أن الله طهـرك منها ، فليكن شـكرك وفرحك بهذه السلامة مذهلا لك عن الحزن بسبب ذلك الذم ،

الرابع انك ان اعتقدت ان ذلك الفعل منه فقط فإنك مشرك ، وإن عرفت أنه بقضـاء الله وقـدره وهو باطل أو منه وهو [1] عاجز معذور.

الخــامس كما انه أدخل الغم فى قلبك فصـــار قلبك معرضا عن الخلق متوجها إلى الخلق ، فكأنه خـــــــرب (الورقة 289 و) دنيـاك وعمر دينك ، وأما ذلك القائل فقد خرب (6 دين نفسه بسبب ذلك القـول فيجب عليك بحكم الكرم أن تسعى فى عمارة دينه ، ولهذا قال

(1) المخطوطة : اللفظ غير واضح

عليه‌السلام : «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون».

الســــــادس أن تقطع طبعك عن أمـــــوال الخلق ومنافعهم ومتى فعلت ذلك سهل عليك ذمهم لك ومدحهم لك ، لأنه لا يرجى من مدحهم إلا وصــول النفع من جهتهم ولا مضرة فى ذمهم إلا انقطاع منافعهم عنك فـإذا قطعت طبعك عن منافعهم استوى عندك مدحهم وذمهم.

السابع أن يسلط صفة الكــبر على نفسه ويعتقد فى نفسه انه أعلى من يزداد بمـدح المـادحين أو ينتقص بـذم الذامين ، أو يعتقد فى ذلك المادح والذام أنه جـار مجـرى البهيمة ، ومتى كان كذلك لم يبق فى قوله أثر ولا فائدة ، وقد ذكرنا طريقا 1 من طرق علاجها.

الثامن ان ذلك الذم ان صدق فالذنب المذموم حيث اكتسب تلك الصــفة الموجبة للمذمة ، وإن كــذب فــذلك الـذم للمـذموم فى الظـاهر ولكنه ذم للـذام فى الحقيقة فــإن اقدامه على ذلك الكــذب يــدل على كونه متصــفا بــــالأخلاق القبيحة من الكـــــذب والغيبة وخبث النفس ، وإدخال الشبهات فى القلوب.

التاسع أن ذلك الــذم إن كــان صــدقا فهو اشــاعة الفاحشة وذلك من لـوم الطبع وخبث النفس ، فـوجب أن يشكر المذموم على أن صانه عن هذه الصـفة ، وإن كـان كـذبا كـان ذلك اعراضا عن تعظيم أمر الله وعن الشـفقة على خلق الله ، فوجب أن يكـون فـرح المـذموم على أن صانه الله عنه بذهله عن الغم بسبب الذم.

العاشر ان الذام إنما أقبل على ذلك الـذم سـعيا منه فى إدخـال الحـزن فى قلب ذلك المـذموم ، فـإن حصل ذلك الحزن فقد حصل

غرض ذلك العدو ، وإن لم يحصل بطل عليه سعيه وخـاب جـده وجهـده ، وذلك يـدل على أن المـذموم لم يقم [1] له وزنا وانه يلحقه بالبهائم والجمـادات ، فـوجب أن لا يحـزن المـذموم عند سـماع الـذم لئلا يصل عـدوه إلى مقصـوده وغرضه.

(الفصل الرابع عشر)

بيان اختلاف الناس فى احوال المدح والذم (1

للناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الذام والمادح (2 :

الحالة الأولى : أن يفـرح بالمـدح وبمـدح المـادح ، ويحزن بالذم وبذم الذام ، وهذا حـال الأكـثرين وهو أخس الدرجات (3.

الحالة الثانية : أن لا يفرح بالمدح وأن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويحزن بالذم ، ولكنه يمسك لسـانه عن مكافاته ، وهذا أيضا من باب النقصـان لكنه بالإضـافة إلى ما قبله كمال (4.

الحالة الثالثة : أنه يستوى (5 عنده المدح والذم ولا يسوؤه الذم ولا يسره المدح ، وقد يظن بعض الناس هذه الحالة بنفسه ، ولكنه يجب أن يمتحن نفسه وعلامة صدق هـــذه الحالة أن لا يجد فى نفسه اســـتثقالا للـــذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر ما يجد فى المــادح وأن لا يجد فى نفسه زيادة لذة [2] ونشـاط فى قضـاء حـوائج المـادح فــوق ما يجــده فى قضــاء حــوائج الــذام ، وأن لا يكــون انقطاع الذام عن مجلسه

---

(1) المخطوطة : لم يتيم / لم يقيم
(2) أيضا : سده

أهون عليه من انقطاع المادح.
فإن قيل كيف يجوز أن يستوى عنده المدح والذم ، والمدح يقتضي إقدام المادح على تعظيم حال ممدوحه وهو طاعة (6 ، والذم يقتضي إقدام الذام على الاساءة إلى أخيه المسلم (الورقة 289 ظ) وهو معصية.
قلنا ان المذموم لو تفكر علم أن فى الناس من ارتكب من الكبائر أكثر مما ارتكبه هذا الذام فى مذمة المذموم ، ثم انه لا ينفر طبعه عنهم ،
وأيضا فالمادح (7 الّذي مدحه لا ينفك عن اقدامه على ذم غيره مع انه لا يجد فى قلبه نفرة عنه كما يجد لمدحه نفرة ، والمذمة من حيث انها معصية لا يختلف بأن يكون هو والمذموم أو غيره ، فثبت أن ذلك المذموم إنما غضب طاعة لهواه لا طاعة لمولاه. وان الشيطان يخيل إليه انه من الدين وأن الله قد جعله ممن قال فى حقه : («**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ**)[1] (**بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ الخ**)[2] (8 ،
الحالة الرابعة أن يكره المدح (9 ويحب الذم ، لانه يعلم أن المدح يجره من نور عينية[3] جلال الله الحق إلى ظلمات عالم الخلق ، والذم يهدى إليه عيوبه ويرده عن ظلمات عالم الخلق إلى انوار عالم الحق ، فهذه[4] المراتب التى ذكرها الشيخ الغزالى.

(1) المخطوطة أنبئك
(2) أيضا : وهم فى الآخرة
(3) أيضا : عينه
(4) أيضا : فهذا ،

وعنــدى فى هــذا البــاب حالة خامسة : وهو أن يصــير فارغا عن المــدح وعن الــذم بالكلية فلا يحبهما ولا يبغضهما ولا يلتفت قلبه إليهما ، وهذه [1] درجة الصــديقين المســتغرقين فى نــور جلال الله تعـالى ، لا يبقى فى قلبه محل إلى الالتفات إلى غير الله ، ومن لا يتصور الشيء لا يمكنه أن يحبه أو يبغضه ،

ثم قال الشيخ : وأهون المراتب هو المرتبة الأولى ثم الثانية وهى ضـعيفة لأن الإنســان ، وان مكث عن اكــرام المادح وإهانة الـذام لكنه لا بد وأن يحض المـادح بما يـدل على أن قلبه إليه اميل ومحبته له آكد.

بيـان حركـات المـدح : الحب والبغض من الاحــوال القابلة للاشد والاضــعف ، فلا جــرم مــراتب النــاس فيه مختلفة.

فالمرتبة الأولى : أن يعظم حبه للمدح (10 والثنـاء حتى يدانيه [2] بالعبادات ولا يبالى بارتكاب [3] المحظـورات [4] ، ولا حد لاشــتماله على قلــوب النــاس واســتنطاق ألسنتهم بالمدح.

الثانية أن يطلب المـــدح لا بالريـــاء ولا بارتكـــاب المحرمات بل بالمباحـات ، وهـذا على شـفا جـرف هـار ، فان حدود الكلام الّذي

---

(1) المخطوطة : وهذا
(2) أيضا : يرى انه
(3) أيضا : بالارتكاب
(4) أيضا : المحضورات

يشتمل به القلوب لا يمكن ضـبطها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لطلب الحمد فهو قريب من الهالكين.

الثالثة أن لا يريد المـــدح (11 ولا يســـعى فى طلبه لكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه ، فإن لم يعـالج هـذه الحالة بالمجاهـدة فهو قـريب من أن يسـتجره من فـرط السرور إلى الرتبة التى قبله.

الرابعة انه إذا سمع المدح لم يحصل فى قلبه سرور ، وصاحب هذه الحالة لا بد وان يستحضر فى قلبه أبـدا ما فى الســرور بالمــدح من الآفـات لئلا يقع فى الدرجة إلى قبلها.

الخامسة إذا ســمع المــدح كرهه (12 ولكن لا ينتهى به إلى أن يغضب على المادح وينكره عليه.

السادسة أن يكــره (13 ويغضب وينكــره عليه وهو صادق إلا ان قلبه محب له الا انه يريد أن يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مقتبس عنه ، ولذلك بالضد من هذا يتفـاوت الاحــوال فى حق الــذام والمــادح ، واوّل درجاته إظهار الغضب وآخره إظهار الفرح.

(الفصل الخامس عشر)

الكلام فى الرياء وأحكامه

الريـاء مشـتق من الروية والسـمعة (1 (مشـتقة من السماع) وحده إظهار خصـلة (2 من الخصـال الـتى يعتقد الحاضــرون فيها انها من الخصــال الفاضــلة لغــرض أن يعتقدوا فيه كونه موصـوفا بتلك (الورقة 290 و) الفضـيلة مع كونه فى نفسه عاريا عنها.

اعلم أن هذه الحالة قد يقع فى أحوال الـدنيا وقد يقع فى أحوال الدين.

أما الأول فكما إذا أتى الإنسان بأفعال وأقـوال تـدل على كونه كثـير المـال مع أنه لا يكـون ذلك فى الحقيقة ، ومقصوده أن يعتقد فيه كثرة المال من يرى ذلك فضيلة.

وأما الثـانى فكما يـأتى بأفعـال تـدل على الزهد أو العبادة ليعتقد فيه ويكون هذا قصده ، ولا يكون كذلك فى الحقيقة ، فهـذا الحد الّـذي ذكرنا غاية فى الريا فى أمـور الآخرة والدين والدنيا ، إلا أن القسم الثـانى هو المشـهور فى العرف ، وهو الرياء فى أمـور الـدين ـ وأما فى أمـور الدنيا فذاك يسمى طلب الجاه والرفعة.

إذا عرفت هذا فنقول : لا بدّ من أركان ثلاثة :

الأول أنا نقول المرائى هو الّـذي يـأتى بتلك الأفعـال على قصد التلبيس.

وثانيها القوم الذين يراد تـرويج التلـبيس عليهم وهم المراءى لهم.

وثالثها المــراءى [1] به وهو تلك الأفعــال والأحــوال التى يراد بها ترويج ذلك التلبيس على الناس.

إذا عـرفت هـذا ، فنقـول : المـراءى به كثـير ويجمعه خمسة اقسام (3 :

البدن والزى والقول والعمل ، والأشياء الخارجة.

وكما أهل الدين يراءون بهذه الخمسة ، كذلك [2] أهل الدنيا يراءون بها ، الا أن جهة المراءاة مختلفة فى الناس.

فــالنوع الأول : الريــاء من جهة البــدن (4 باظهــار النحول والصفرة [3] ليـوهم بـذلك جهـده واجتهـاده وعظم الحــزن على أمر الــدين وغلبة خــوف الآخــرة ، وليــدل بــالنحول على قلة الأكل وبالصــفرة على ســهر الليل ـــ وكذلك يرائى بشعث الشعر ليـدل على اسـتغراقه فى هم الدين ، وقلة فراغه لتسريح الشعر ، وهـذه الأحـوال مـتى ظهرت استدل النـاس بها على هـذه الأمـور ، ويقـرب من هذا خفض الصوت واغارة وكثرة أطرافها وذبـول ليسـتدل بذلك على الصوم وعلى وقار الدين.

النــوع الثـانى : الريـاء بالهيئة والـزى (5 ، أما الهيئة فـاطراق الــرأس فى المشى ليسـتدل به على غـرق فى الفكر ، وكذلك ابقاء أثر السجود فى الجبهة [4].

---

(1) المخطوطة : والمرعايا
(2) أيضا : وكذلك
(3) أيضا : والصفا
(4) أيضا : الجهة

وأما الزى فغلظ الثياب ولبس الصوف وتقصير الثياب وتشـميرها وقصر الاكمـام ، وتـرك تـرميم الثـوب وتركه مخرقا أو مرقعا بعض الـترقيع كل ذلك تورية ليسـتدل بها على اتباع السـنة ، وطريق العبـاد الصـالحين من السـلف الفقراء ، ولو كان هذا الجاهل يلبس ثوبا رفيعا حلالا وكان قصده فيه أن لا يوصف بالرياء والناموس لكـان خـيرا له ، ومنه لبس المرقعة والصلاة على السـجادة ولبس الثيـاب الـزرق الـتى يلبسـها الصـوفية مع التعـرى عن حقـايق التصوف فى الباطن.

وطبقة أخرى (6 : أرادوا أن يتشـبهوا بالصـالحين فى الثيـاب والـزى والهيئة ولم يسـمح نفوسـهم بلبس الثيـاب النازلة ، فـأرادوا الجمع بين البـابين فطلبـوا الأصـواف الرقيقة ، والفوط الرفيعة والمرقعات المصبوغة يلبسونها وقيمة ثيـابهم قيمة لبـاس الأغنيـاء ، وأكـثر ، وهـذا من النزور.

وأما مـراءاة (7 أهل الـدنيا فلباسـهم الثيـاب الرقيقة النفيسة ، والمراكب الفارهة بالآلات [1] المذهبة والمموهة ليستدل بذلك على كثر أموالهم ويتحصلون به زيادة الجـاه والمال.

النوع الثالث : الريـاء بـالقول (8 ، أما لأهل الـدين فبـذكر (الورقة 290 ظ) المواعظ وايـراد الاخبـار. وأما للشيوخ والفقهاء [2] فبالمجادلة والمناظرة ليكون الغـرض افحـام الخصـوم بحضـرة النـاس ليسـتدل به على كـثرة العلوم ، وفى تحريك الشـفتين بالـذكر فى حضـرة النـاس والامر بـالمعروف والنهى عن المنكر ، واظهـار الغضب للمنكرات ،

(1) المخطوطة : بالآت
(2) أيضا : واما الشيوخ واما الفقهاء

كل ذلك ليستدل به على قوة الزهد.

واما اهل الــدنيا فمــراءاتهم (9 بالاشــعار والامثــال والنكت المطربة والحكايات المضحكة ليستدل بذلك على لطافة الطبع وكثرة الاطلاع على الفنون.

النـوع الرابع الريـاء بالعمل (10 كمـراءاة [1] المصـلى بطول القيام وتطويل السـجود والركـوع واطـراق الـرأس وكــذلك باظهــار الصــوم وتقليل الاكل والمضى إلى الحج والغـــزاة وفى ســـكون المشى وتجنب المزاحمة وغض البصر والتــأنى فى المشى حــتى اذا خلا بنفسه عــاد إلى طبعه فى العجلة.

واما اهل الـــدنيا (11 فمـــراءاتهم بـــالتبختر ومشى الخيلاء وتحريك اليدين وتقريب الخطى [2] ليدل بذلك على الجاه والحشمة.

النـوع الخـامس المـراءاة [3] بالاصـحاب (12 كالـذى يستزير الامراء والـوزراء واصـحاب السـلطان ، فيقـال ان فلانا زاره فيزوره سائر الناس بنـاء على حشـمته وفضـله وكالذى يكثر بكثر لقاء المشـايخ والرحلة ليقـال انه حصل العلوم والفوائد فيقصد لذلك.

واما اهل الــدنيا فمــراءاتهم (انهم) خــدموا عظمــاء السلاطين وشرعوا فى مهمات الملك.

فهــذه مجــامع (13 ما به يــرائى المــراءون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة فى قلوب الناس.

---

(1) المخطوطة : كمرائا
(2) أيضا : الخطا
(3) أيضا : المرايا

بيان درجات اهل الرياء فى الرياء

الدرجة الاولى ان يكـرم بحسن اعتقـاد النـاس فيه فكم من راهب (14 يـنزوى إلى ديـره سـنين [1] كثـيرة ، وكم من زاهد عابد انما هو متزهد متعبد اعـتزل إلى زاوية او قلة جبل مدة طويلة ولذته وحياته قيـام جاهه وسـمعته عند الخلق ، ولو خطر بباله سوء اعتقادهم فيه لمـات من الغم.

الدرجة (2 الثانية ان لا يقنع (15 بـذلك الاعتقـاد بل يلتمس اطلاق لسان القـوم بوصـفه ومدحه ، والثنـاء على حسن طريقته ، وانتشـار الصـيت فى البلاد لتكـثر الرحلة إليه.

الدرجة الثالثة أن يقصد به التوسل (16 الى كسب الحـرام وجمع الحطـام ولـوث أمـوال اليتـامى واوقـاف المساكين او المرضى ، وهذا من اشر طبقات المرائين.

واعلم ان الشـيخ الغـزالى ذكر تفصـيلا وهو ان من الرياء ما يحل منه ومنه ما يحـرم ، ثم لما شـرع فى بيـان ذلك التفصـيل تكلم فى بيـان ان طلب الجـاه قد يكـون مباحا وقد يكون حراما (17 ، وهذا عنـدى مسـتدرك من وجوه.

الاول ان مراتب طلب الجاه قد تقدم ذكرها فى باب الجاه ، فلا فائدة فى الاعادة هاهنا.

الثانى ان الرياء غـير ، وطلب الجـاه غـير ، وذلك لانا بينا ان الريـاء مشـتمل على التلـبيس (18 والتـدليس ومجادلة ان يقع فى الخواطر ما لا حقيقة له ، وذلك

---

(1) المخطوطة : سنبين.

يكــون حراما بالكلية لان التلــبيس والاضــلال محرمــان [1] بالكلية ، فثبت انه لا يلـزم من اهتشـام الجـاه على سـبيل التلبيس وهذا كله يكون حراما.

علاج الريـــاء وهو إما بـــالعلم وإما بالعمل ، وهو ان يعــرف الانســان ما فى الريــاء من المضــار العظيمة فى الدين وفى الدنيا.

أما فى الدين فمن وجوه :

الأول أن العمل الّــذي ما وضع حيث وضع إلا لتعظيم الله إذا أتى الإنســان به ويــدعى (الورقة 291 و) انه أراد به الله تعـالى مع أنه فى قلبه ، إنما أتى به لغـير الله (19 فهذا يدل على أنواع كثيرة من الكبائر :

أحـدها أن هـذا يـدل على ذلك الغـير أعظم وقعا فى قلبه من الله ، وإلا لما صـرف ما هو حق الله إلى الغـير ، وهذا يدل على كون ذلك الإنسان جاهلا من كل الوجوه.

وثانيها أنه لو أخلص الطاعة لله لاســتوفى حمد الله ، ولما أتى بها لأجل الريـــاء فقد اســتدل بحمد ســلطان السلاطين حمد أخس خلقه وما ذاك إلا جهل وحماقة.

وثالثها أنه إذا ادعى بلسانه أنه أتى بهذه الطاعة لله ، وانما أتى بها فى قلبه غير الله فكان كالمستهزئ بالله (20 ومثاله أن يقوم رجل بين يدى الملك طول النهــار كما جــرت عــادة الخدمة ، وكــان غرضه من ذلك الوقــوف أن ينظر إلى جارية من جواريه أو إلى واحد من غلمانه ، فإن هذا استهزاء بالملك.

---

(1) المخطوطة : محرما

ورابعها [1] أن هذا كالاستخفاف (21 بـالحق سـبحانه لأن من حضر فى حضــرة أعظم الملــوك قــدرة وقهــرا وكرما وفضلا ، وعرض عليه حاجة من حاجاته ، وكان قلبه غــير معلق فى ذلك الكلام بــذلك الملك ، بل كــان قلبه معلقا بـاخس من حضر هنـاك من العبيد ، كـان ذلك سـوء ظن بالملك واستخفافا به وكذا [2] هاهنا ، وذلك يــدل على أنه يعتقد فى ذلك الملك أنه كـاذب فى ادعائه كونه قـادرا وكونه كريما ، وبهذه الأسباب سـمى النـبي عليهالسـلام : «الرياء الشرك الأكبر» (22.

(الفصل السادس عشر)

بيان الرياء الخفى

اعلم أن الاقسـام الثلاثة : اعـنى أن لا يكـون غـرض الثـواب معتـبرا فى الفعل أصلا ، أو يكـون معتـبرا اعتبـارا مرجوحا أو مساويا ، فهى المسماة بالرياء الخفى.

أما القسم الرابع وهو أن يكــون غــرض الثــواب (1 معتـــبرا فى الفعل اعتبــــارا راجحا إلا أنه قد حصل معه غرض الرياء فهذا هو المسمى بالريـاء الخفى ، وهـذا مما لا يمكن أن يعـرف إلا بالعلامـات ، فمن تلك العلامـات أن يحصل (2 السرور [3] فى قلبه باطلاع الناس على عبادته ، وذلك لأن الســـرور حالة نفســـانية تحصل عند وجـــدان المطلوب ، فلو لا

(1) المخطوطة : وثالثها
(2) أيضا : وكذى
(3) أيضا : النزور

أنه حين أتى بتلك الأفعال كان يتوقع اطلاع غيره عليه وإلا لما حصل [1] السرور لحصـول هـذا [2] الاطلاع ، وينبغى أن يعـــالج ، فإنه إن لم يعـــالج اســـتحكم ، ولو اســـتحكم لانعكست هذه الداعية التى هى الريـاء من حد المرجوحية إلى حد الاستواء ، ومن حد الاستواء إلى حد الرجحان.

والعلامة الثانية أن يأتى الفعل مبنيا [3] على كونه كثير العــادة (3 كــالنحول والصــفار وخفض الصــوت وشــعث الشـعر واكثـار البكـاء ، وغلبة النعـاس الـدال على إظهـار التجلد.

والعلامة الثلاثة أن يــترك كل هــذه الأمــور لكنه رأى الناس (4 بأن أحبوا ابتداء بالسلام ، وأن يتبركوا بحضــوره [4] وبمصـافحته ، وأن يهبـوه ويهادونه ، وإذا اشـترى شـيئا سامحوه.

يروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال (5 : «إن الله تعــالى يقــول يــوم القيمة ألم يكن يــرخص لكم الاســعار ، ألم تكونــوا تبــدءون بالســلام ، ألم تكن تقضى لكم الحوائج ، اذهبوا ، فقد استوفيتم أجوركم.

واعلم أن كل المقصــود من العبــادات والطاعـــات انقطاع [5] النفس

---

(1) المخطوطة : حصلت
(2) أيضا : هذه
(3) أيضا : بنيه
(4) أيضا : بان احب ابتداءه بالسلام ، وان يتركوا بحضوره الخ ،
(5) أيضا : وانقطاع

عن عالم المحسوسـات واقبالها على عـالم الروحانيـات ، حـتى أن الإنســان عند المـوت يفـارق من المنــافى إلى الملائم ، والآتى بالطاعـــات لأجل داعية الريا ، فقد أكمل العلاقة مع عالم المحسوسات وبالغ فى الفـرار عن عـالم الروحانيـــات ، فعند المـــوت ينتقل (الورقة 291 ظ) من الملائم إلى المنــافى ، ومن اللذيذ إلى المــؤلم ، فيحصل هناك البلاء العظيم.

واعلم أنه مهما أدرك الإنسـان تفرقة (6 بين أن يطلع على عبادته انسان أو بهيمة ، ففيه شعبة من الرياء ، فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبـال بحضـور البهـائم ، فلو كـــان مخلصا قانعا بعلم الله لما التفت إلى اطلاع غـــيره عليه ، وحيث حصل التفـاوت ولو بالقليل ، فالريـاء هنـاك حاصل.

فـــإن قلت فهل يعقل أن يحصل الســـرور عند اطلاع الغير على طاعته ، مع كونه مخلصا ، فنقول : هـذا ممكن فى صور :

أحـــــدها أنه إذا نظر إلى هـــذه الحالة من حيث أنه تعـــالى اطلع (7 الخلق على أفعاله الجميلة وســـتر عنهم أفعاله القبيحة ، كل ذلك على العناية من الله تعـــالى فى حقه ، فإذا فرح بهـذه الحالة نظـرا إلى هـذا الاعتبـار كـان ذلك بمحض الاخلاص ، وهو المــراد بقوله تعـالى : (**قُـلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ ، فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**) (8.

الثانية أن يغلب على ظنه أنه تعـــالى : لما أظهر (9 جميله وســتر عليه قبيحه فى الــدنيا فالظــاهر أنه كـذلك يفعل فى الآخــرة لقوله عليهالســلام : ما ســتر الله على عبده فى الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة.

الثالثة إذا غلب على ظنه أن الــــذين رأوه على تلك الطاعة

يرغبون (10 فى الاقتـداء به فيصـير اطلاعهم سـببا لتكـثر الطاعات ، فالسرور بالاطلاع على طاعته محض للاخلاص والعبودية.

الرابعة [1] أن المطاعن (11 على طاعته لما عظموه وانقادوا له علم كونهم راغـبين فى الـدين والتقـوى ، فـإذا فـرح بحسن اعتقـادهم فى الـدين وتعظيم الشـريعة كـان ذلك محض الإيمـان ، وإذا فـرح [2] بـاطلاعهم على طاعته لأنه يتوسل بـــذلك إلى اســتجلاب المقاصد الدنيوية منهم فذلك هو الريا المذموم (12.

(الفصل السابع عشر)

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفى

والجلى وما لا يحبط (1

الريا ـــ إما أن يحصل بعد انقضــاء العمل بتمامه على الاخلاص ، وإما أن يطـــرى فى أثنـــاء العمل الّـــذي وقع الابتداء به على الإخلاص.

القسم الأول وأما أن يحصل بعد تمـام العمل فهـذا على وجهين :

الأول إذا تمم العمل على الاخلاص (2 ثم اتفق ان علم ان واحدا من الملوك كـان قد اطلع على اقدامه على ذلك العمل ، فحصل فى قلب هـذا المتعبد سـرور بسـبب اطلاع ذلك الملك على عبادته ، فهـذا مما يـرجى من الله تعالى أن لا يصـير محبطا لثـواب العمل ، لأن علمه قـديم على

(1) المخطوطة : الرابع
(2) أيضا : فرع

الإخلاص ، وهذا السرور لم يقع باختياره ، فوجب أن يكون فى محل العفو ، إلا أن حصـول هـذه الحالة يـدل على أن هـذا الشـخص ليس من المخلصـين الصـديقين إذ لو كـان كـــذلك ، لما التفت إلى اطلاع غـــير الله على طاعته بعد علمه بأن الله رأى تلك الحالة منه.

الثـانى إذا تمم (3 العبد على الإخلاص ، ثم أنه اطلع الناس وأظهره لهم ، فمنهم من قـال : هـذا الريـاء محبط لثواب الأعمال السالفة.

واحتجــوا بما روى أن رجلا قــال : «صـمت الــدهر يا رسول الله؟» ، قال : «ما صمت ولا أفطرت» (4.

وعن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول : قرأت البارحة البقرة ، فقال : ذلك حطه منها (5.

ومنهم من قـــال أنه يثـــاب على إخلاصه المتقـــدم ويعاقب (6 على هذا الريا المتاخر ، والله سـبحانه يقتضي فيه بالعـدل برعاية الخـير والمقابلة بين الزائد والنـاقص ، وأجاب عن هذا الحديث بأن هـذا التهديد لعله كـان إشـارة إلى كراهة صـــوم الـــدهر (الورقة 292 و) على ســـبيل الدوام.

القسم الثانى إذا شـرع فى العبـادة مع الاخلاص ثم طرأت [(1)] داعية الرياء (7 فى اثنـاء العمل بهـذا الطـارئ ، إما أن يكـون مجـرد سـرور ولا يـؤثر فى العمل ، وإما أن يكـــون ريـــاء باعثا على العمل ، وبتقـــدير كونه باعثا على العمل ، فأما [(2)] أن يكون باعثا على كيفيات

(1) المخطوطة : طرت
(2) أيضا : فلما

ذلك العمل أو على أصل ذلك العمل ، فهـــذا القسم (8) مشتمل على ثلاثة انواع :

النــوع الأول : ــ أن لا يكــون الطــارئ إلا مجــرد الســرور وهـذا هو (اخس) [1] الـدرجات ــ فـإن الحـارث المحاســبى قـــال : «أنه يحبط (9 العمل لأنه لما حصل الســرور فى قلبه بسـبب اطلاع المخلـوق عليه كـان ذلك السرور داعيا له إلى العمل ، وإذا صار هذا السرور حـاملا له على العمل امتنع أن يكــــون القصد الأول المليء به لأجل الله تعالى حـاملا له على العمل ، لأن الأثر الواحد لا يجتمع عليه مؤثر ان مستقلان [2] ، والطـارئ أولى بإزالة الثـانى من العكس ، فكـان أجر هـذا العمل ما شـابه أجر الله فوجب أن سر.

واحتج من قال بأن هذا الســرور لا يحبط الثـواب (10 بما روى أن رجلا قـال يا رســول الله انــنى اسر العمل لا أحب أن يطلع عليه أحد ، فـــإذا اطلع عليه أحد ســـرنى ، فقـال عليهالســلام : اللهم لك أجــران ـــ أجر السر واجر العلانية (11. وأيضا إن هـذا الســرور الزائد فى العمل لما لم يـؤثر فى العمل دل على أنه ضـعيف مرجـوح بالنســبة إلى نية الاخلاص ، والمرجوح مختص [3] بالعدم.

اجاب عنه من ثلاثة أوجه (12 :

أحـدها لعل هـذا الســرور إنما حصل بعد الفـراغ من العمل ،

والثانى لعله إنما حصل لاعتقاده بأن غيره يقتـدى به ، بدليل أنه

---

(1) المخطوطة : ليس بموجود
(2) أيضا : مسعلان
(3) أيضا : ملخص

جعل له به أجر ، ولم يقل أحد من الأمة أن السرور بحمد الناس أجر بل غايته أن يعفى عنه.

الثالث أن الحديث ضعيف الأسناد.

النوع الثـانى الّـذي يـؤثر فى كيفية العمل ، ولكنه لا يؤثر فى أصل العمل (13 ، فهو كما إذا شرع فى الصلاة تعظيما لله تعالى ، ثم حضر فى أثناء صلاته جماعة ففـرح لحضورهم وصار ذلك الفرح حاملا له على الإتيان بزيادات فى الخضوع والخشوع ، لو لا حضورهم ما كان يـأتى بها ، فهاهنا داعية الريا اثرت فى حصول كيفية زائدة.

أما تمثيله : فمثاله (14 أن يكون قد شـرع فى صـلاة تطوع فحدث أمر من الأمـور ، واشـتهى هـذا المصـلى ان ينظر إليه ، ولو لا حضور الناس لقطع الصــلاة ، لكنهم لما حضــروا فهو يتمها خوفا من مــذمتهم ، فهاهنا الريا صــار مؤثرا فى أصل العمل.

واعلم أن من وقف فى المرتبة الأولى ، علم أن الثانية ادنى [1] بالبطلان ، وان الثالثة أولى بالبطلان.

ثم هاهنا دقيقة أخــــرى ، وهى ان العبــــادات على قسمين :

منها ما يكــون كل واحد من أجزائها عبــادة مســتقلة بنفسه ، ولا تتوقف صحته على انضمام الجزء الآخر إليه ــ وهو مثل قراءة القرآن ، فإن قراءة كل كلمة وحـرف منه عبادة.

ومنها ما يتوقف صــحة بعضــها على صــحة كلها وهو مثل الصلاة ،

---

(1) المخطوطة : ادل

والصــوم والحج ، فإنه مــتى فسد جــزء من اجزائه فسد كلها ، ومــتى صح جــزء من اجزائها فقد صح ذلك الجــزء وبصحة باقيه يتم الكل ويصح.

وإذا عـرفت هـذا ظهر عنـدك أن خطر طريـان داعية الريـاء فى اثنـاء العبـادات الـتى تكـون من القسم الثـانى اعظم واشد من ظهور طريانها فى اثناء القسم الأول.

وأما القسم الثـــــالث وهو أن يحصل داعية الريــاء فى أول حد الشــروع (15 فى العبــادة ، فهذا على قسمين :

أحدهما إن كـان فى الصـلاة ونيتها ، فإنه ان اسـتمر على تلك الداعية إلى اخر الفــــراغ من تلك العبــــادة فلا خلاف (الورقة 292 ظ) فى أنه يقضى ولا يعبد بصلاته.

وأما ان ندم فى اثناء ذلك ففيه قولان :

أحـــــدهما أن صــــلاته لم تنعقد البتة ، ولم توجد نية أخرى ، فوجب أن لا يصح صلاته أصلا ، لأن الأعمـال الـتى اتى بها بعد ان لم تنعقد الصلاة (صارت) [1] لغوا.

والقول الثـانى أن العـبرة فى العبـادات بخواتمها ، فاذا وقع الختم هاهنا على الاخلاص كـان صـحيحا. والاولى أن يقال هذا الفعل ان كان الـداعى إليه فى ابتدائه مجـرد الريا دون طلب الاخلاص لم ينعقد هذا الفعل عبـادة ، ولم يصح ما بعده ،

ومثاله الرجل الّذي لو خلى بنفسه لم يصل (16) ولم يصم ، ولما

---

(1) اللفظ غير موجود فى المخطوطة

رأى الناس تحرم بالصـلاة ، فهـذه صـلاة لا نية فيها ، اذ [1] النية عبــارة عن القصد إلى الفعل تعظيما لله تعــالى فى هذا المعنى ولم يوجد هاهنا.

وأما أن حصل مع باعث الريا باعث الـدين. فـإن كـان باعث الدين (17 راجحا كانت العبرة به كان المرجــوح مع الراجح كالعدم ، وإن تسـاويا تعـادلا فتسـاقطا ، وان كـان مرجوحا كان ساقطا ، وهو ظاهر.

مسئلة : الانسان إذا حصل عنده اعتقـاد ما فى عمل الريــاء ، وانه من آفــات الــدنيا والآخــرة ، وتكلف اظهــار كراهية الريــاء فى القلب وواظب على اخفــاء الحســنات واظهــار الســيئات ، وهــذا [2] هو الغاية فى علاج الريــاء ، ولكنه مع ذلك يجد قلبه مـــائلا إلى الريـــاء محبا له مع انه يبغض حبه لـــذلك ، فهل هو فى زمـــرة المـــرائين أو من جملة الصديقين؟

قــال الغــزالى (7 رحمة الله عليه : لم يكلف العبد إلا ما يطيق ، فلما دللنا على ان الغاية القصـــــوى فى علاج الرياء ليس إلا مقابلة الاعتقاد والحـال والعمل بأضـدادها ، فـإذا أتى العبد بـذلك فقد اتى بكل ما قـدر عليه فالخـارج عن ذلك ليس فى وسعه ، فوجب ان لا يكون مؤاخذا به.

واحتج عليه بما روى ان اصــــــحاب رســــــول الله صلىاللهعليهوســلم شـكوا (19 إليه : وقـالوا : «تعـرض لقلوبنا اشياء لأن نخر من السماء فيخطفنا

---

(1) المخطوطة : اذا

(2) أيضا : اللفظ غير واضح فى الكتابة ،

الطير أو تهوى بنا الـريح إلى مكـان سـحيق أحب إلينا من أن نتكلم به ، فقال عليهالسلام : «ذلك صريح الإيمان».

قال الغزالى : ولم يجدوا إلا الوسـواس والكراهية ولا يمكن أن يقال المراد تصريح الإيمـان الوسوسة ، فلم يبق إلا الكراهية المساوية للوسوسة.

إذا ثبت هــذا فنقــول : الريــاء (20 وإن كــان عظيما بالكراهة ، فإنه يندفع ضرر الأصغر كـان أولى بالحاصل أن كل ما كــان من مقتضـيات النفس ، فـإن وجــدت النفس كارهة لها كـــانت من الحق ، وإن وجـــدت النفس مع ذلك راضية بها مائلة إليها ، فذاك من الشيطان والنفس.

وأعلم أنه يتفرع على هـذه المسـألة مسـئلة أخـرى ، وهى ان الشــيطان إذا عجز (21 عن حمل الإنســان على الريـــاء خيل إليه ان إصـــلاح قلبه فى الاشـــتغال بمحاربة الشيطان فيتوسل بهذا الطريق إلى تشويش صفاء القلب عليه ، وإن الاشـــتغال بمحاربة الشـــيطان انصـــراف عن اللذات الحاصلة بسبب المناجاة مع الله تعالى.

وأعلم أن للناس فى هذا المقام (26 مراتب :

الاولى أن يشتغل بمحاربة الشيطان ومنازعته.

والثانية أن يقتصر على تكذيبه ولا يشتغل بمحاربته ،

الثالثة أن لا يشـتغل أيضا بتكذيبه بل يسـتمر على ما كان عليه من كراهية الرياء من غير أن يشـتغل بالتكـذيب أو بالمخاصمة.

الرابعة أن يكــون قد عــزم على أن الشــيطان مهما نازعه فى شرط

من شـــرائط الاخلاص ، فإنه يريد فى الأعمـــال الموجبة للاخلاص.

وضرب الحارث المحاسبى لهذه المراتب الأربع مثـالا (23 فقال كأربعة نفر قصدوا مجلس عالم ليسـتفيدوا منه ، فحسدهم عليه ضـال [1] مبتـدع ، فتقـدم إلى واحد منهم (الورقة 293 و) ومنعه عن الـــــذهاب إلى ذلك المجلس فأبى ، فلما علم إباءه شـغله بالمحاربة فاشـتغل ذلك معه لــيرد ضــلاله ، فبقى فى تلك المخاصــمة إلى أن يفــوت مجلس العلم ، وحينئذ يحصل غرض ذلك الضال.

فلما مر الثـــانى عليه نهـــاه واســتوقفه فوقف وانكر على الضال ذلك المنع والنهى ، ولكن لم يشتغل بالقتال ، ففرح الضال بقدر توقفه للدفع.

ومر به الثـالث فلم يلتفت إليه ولم يشـتغل بدفعه ولا بقتاله ، بل استمر على ما كان فخاب رجاه بالكلية.

فمر الرابع فلم يتوقف له بل زاد فى عجلته فيوشك أن عادوا ومروا على ذلك المضل [2] مرة أخرى ، أن يعاود [3] الجميع إلا هذا الأخير ، فإنه لا يعاوده خيفة من أن يزداد فى الاستعجال.

النوع الثـانى : هل يجب الرصد (24 للشـيطان قبل شروعه فى الوسوسة انتظـارا لـوروده [4] أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع

---

(1) المخطوطة : مال
(2) أيضا : المصلى
(3) أيضا : ان يعادوا الجميع
(4) أيضا : الورد

له ـ اختلفوا فى هـذا ، **فقـال قـوم : الأولى تـرك هـذا الرصد ، ويدل عليه وجوه :**

(الأول) أن الترصد لدفع الشيـطان يـوجب الإعـراض عن ذكر الله ، فالترصد وقوع فى حبالة الشيطان.

الثـانى أن الترصد للشـيطان اعتمـاد على النفس ، والتفـــــويض إلى الله اعتمــــاد على الحق ، فمن ترصد للشــــيطان فقد اعتمد على نفسه ، فقد وقع فى حبالة الشيطان.

الثـالث الشـيطان مخلـوق ضـعيف (25 لا قـدرة له على شيء كما قـال الله تعـالى حاكيا عنه : (**ما كـانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَـوْتُكُمْ فَاسْـتَجَبْتُمْ لِي**) (26 ــ وأما الحق سـبحانه ، فله الأمر والنهى ، والتفـويض إلى الحق بعينه على الحـــــذر ، لأن من توكل على الله كفاه.

الرابع أن الإنسان لا يمكنه أن يتوكل على الله الا إذا عــرف أنه العــالم بكل المعلومــات ، والقــادر على كل المقدورات ، وله رحمة عامة ، وفضـله وقضـاءه شـامل ، وأنه لا مقـــــــدرة لاحد على مقدرته ، ولا رحمة لاحد مع رحمته ، ومــتى اســتنار القلب بهــذه المعــارف لم يجد الشيطان إليه سبيلا ـ فصارت هذه المعارف شيئا لحصول الامان من منابذة الشيطان.

أما من نرصـده لـدفع وساوسه احتـاج إلى اسـتنباط الحيل.

وقال آخرون : «بل لا بدّ من الحذر من الشــيطان» (27 ، واحتجّوا عليه بأن الاستغراق فى المعرفة والمحبة لا يخلص عن نزعـات الشـيطان ، لأن الأنبيـاء كـانوا أعظم النـاس قـدرا فى المعرفة والمحبة ، مع أنهم ما خلـوا عن نزغات الشيطان ، قال تعالى : «**وَما أَرْسَلْنا مِنْ**

قَبْلِــــكَ مِنْ رَسُــــولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى ، أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ» (28
وقال عليه‌السلام : «إنه ليغان على قلبى» (29 ، مع أن شيطانه قد أسلم ، ولا يأمر إلا بخير.

وأيضا ان آدم وحــوا قد بين الله تعـالى أن الشـيطان غيرهما وأنه عــدولهما فى قوله : (**إِنَّ هــذا عَــدُوٌّ لَــكَ وَلِزَوْجِكَ ، فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى**) (30.

وأنه تعالى ما نهى (31 (إلا عن) شجرة واحـدة ، ومع ذلك وقعا فى حبالة الشيطان.

فإذا كـان حـال الأنبيـاء والأوليـاء كـذلك ، فكيف حـال غـيرهم؟ وقـال موسى عليه‌السـلام : (**هـذا) مِنْ عَمَـلِ الشَّيْطانِ**) (32 ، وقال يوسف : (**نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي**) (33.

وقـال تعـالى : (**يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّـيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَـوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**) (34 ، والقـرآن يشـتمل على كثير من التحذير من الشيطان فكيف يجوز اهماله ـــ وأيضا أنه تعـــالى أمرنا نحــــذر من الكفــــار ، فقــــال : (**وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ**) (35 ، وقال : (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْـلِ**) (36 ـــ فلما لزمك الحذر من العدو الكافر وأنت تراد فبأن يلزمك الحذر من العدو الّذي يراك ولا تراه كان أولى.

أجابوا عن الكلام الأول : فقالوا : الحذر عن الشيطان (الورقة 293 ظ) عبــــارة عن المواظبة على وظـــــائف الشرائع التى حاصلها يرجع إلى الإيمان بالأعمـال الشـاقة لئلا يصـير الطبيعة مسـئولية ــ فـإذا ألفت الشـريعة فعند ذلك يفوض رعاية المصالح إلى الخالق ، وهذا هو مقام

الحقيقة والاســـــتغراق فى العبودية ، ألا تــــرى أنا ناكل ونشرب ثم نعول على فضل الله فى تحصيل الصحة ودفع الأمـراض. فكـذا [1] هاهنا نسـتعد لمحاربة الكفـار ، ونعتقد أن الظفر والنصرة هو من الله ، وكذلك نحذر الشـيطان (37 ، ونعتقد أن المضل والهادى هو الله ، هذا ما اختـاره الحارث المحاسبى ، وهو قول الكاملين الذين جمعــوا بين رعاية قوانين الشريعة ومناهج الحقيقة.

إذا عرفت هذه [2] **المسألة فنقول : اختلفوا فى كيفية ذلك الحذر على ثلاثة أوجه :**

قال قوم (38 إذا حذرنا الله من العدو وجب أن يكون ذكر هذا الحذر أغلب الأشـياء على قلوبنا ، وقـال قـوم إن هذا يـؤدى إلى خلو القلب عن ذكر الله تعـالى ، واشـتغاله بالكلية بحــــرب الشـــيطان وحزبه ، وذلك عين مــــراد الشــيطان ، بل ينبغى ان يجمع بين ذكر الله تعــالى وذكر الحذر من الشيطان.

وقال المحققون (39 : غلط الفريقان :

أما الأول فلأن من تجــرد لمحاربة الشــيطان ونسى ما ســـواها فقد غفل عن ذكر الله ، وذلك غاية غـــــرض الشيطان ، وأيضا فالشيطان إنما يفر عن القلب لاشتماله على نور ذكر الله تعـالى ، فـإذا خلا القلب عن هـذا النـور اســـتولى الشـــيطان عليه لا محالة فـــالتجرد لمحاربة الشيطان يوجب تقوية الشيطان على تخريب القلب.

---
(1) المخطوطة : فكذى
(2) أيضا : هذا

أما الفرقة الثانية (40 فقد شـــــاركت الأولى ، إذ جمعت فى القلب ذكر الله تعـالى وذكر محاربة الشـيطان وبقدر ما يشـتغل القلب بـذكر غـير الله يبقى محروما عن ذكر الله ، فالصـــواب أن يقـــرر العبد مع نفسه عـــداوة الشـيطان ويـترك هـذا المعـنى كالشـيء المحـروب عند النفس ، ثم يقبل بالكلية على ذكر الله تعــالى ، ويعــرض عن أن يخطر بباله أمر الشيطان ثم ان عند هذا الحال ان خطر أمر الشـــيطان بباله تنبه له ، وعند التثبت يشـــتغل بدفعه ، والاشـتغال بـذكر الله على هـذا الوجه لا يمنع من التيقظ بل الوجل قد ينـــام وهو خـــائف من أن يفوته مهم عند طلـوع الشـمس فيلـزم نفسه الحـذر وربما انتبه فى اثناء الليل من قبل أن يطلع الفجر لما سكن فى قلبه من الحـذر مع أنه بـالنوم غافل عنه فاشـتغاله بـذكر الله كيف يمنع انتباهـه؟ بل لهـذه الواقعة مثـال آخر ، وهو بـئر (41 فيها مـاء قـذر اراد صـاحبها أن يطهرها بإزالة ذلك المـاء لينفجر منها المـاء الصـافى ، فالمشـتغل بـذكر الشـيطان كالـذى تـرك فيها المـاء القـذر ، والّـذي جمع بين ذكر الله وذكر الشيطان ، هو الّذي احتال حتى انفجر الماء الصافى ، ولكنه اختلط بالماء القذر.

والمصيب هو الّذي أخرج الماء القذر واسـتنبط المـاء الصافى ، وهو المشـتغل بـذكر الله وبالجملة فلا حيلة فى دفع الشـيطان إلا بـذكر الله تعـالى كما قـال : (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا**) (42.

وإذا كـان لا ينـدفع الشـيطان إلا بالاشـتغال عنه بـذكر الله وجب إبقاء هذا الـذكر حـتى تكـون السـلامة والسـلاح فى دفعه قويا ، وكلما كان التشاغل عن ذكر الله أقوى [1] كان السلاح أضعف ، وبالعكس إذا

(1) المخطوطة : اقل

ذكر الله أكثر كان السلاح فى دفعه أقوى.

قـال الفريق الأول : ثبت بهـذه المبـاحث أنه كلما كـــان ذكر الله فى القلب أكمل وأجلى وعن الشـــوائب أصفى كانت القدرة على الدفع أكمل لكن الاشتغال بـذكر الشيطان شوب صفاء الذكر ، وذلك يوجب ضعف السـلاح (الورقة 294 و) فكل ذلك يـــوجب نقيض المطلـــوب ، وعكس المقصـــود ، بل نقـــول : من كملت معرفته بالله فقد قوى حصن قلبه ، ومتى قوى الحصن عجز الشـيطان عن النقب والسرقة ، فكان هذا الطريق أكمل ، وعند هذا توصلوا منه إلى شيء مهيب ، وهو ان الاشتغال بالأعمـال الظـــاهرة اشـــتغال بغـــير الله ، وذلك يـــوجب اســـتيلاء الشـــــــــيطان على القلب ، فكل من كلف به فقد كلف الاعراض عن الله تعالى ، وهذا كلام مهيب وله غــور منكر ينتهى إلى تحريك الأخطار.

(الفصل الثامن عشر)

بيان الرخصة فى قصد [1] إظهار الطاعات (1

اعلم ان فى الاخفاء فايدة الاخلاص والنجاة من الرياء ، وفى الاظهار فايدة الاقتـداء بالفضـلاء ، وتـرغيب النـاس فى الخــير الظــاهر ، ولكن فيه آفة الريــاء (2 ، وبهــذا السبب [2] اثـنى الله تعـالى على السـرو العلانية ، فقـال : «**إِنْ تُبْــــدُوا الصَّـــــدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** الآية» (3 ،

وللاظهــار (4 قســمان : احــدهما فى نفس العمل ، والاخر فى التحدث [3] بالعمل ،

اما القسم الاول : وهو اظهـار نفس العمل : اعلم أن الاعمال منها ما لا يمكن اخفاؤه كالحج والجهاد والعمـرة ، ومنها ما يمكن اخفــــاؤه كالصــــوم وبعض الصــــلوات والصدقات ،

اما الاول فالافضل (5 المبــادرة إليه واظهــار الرغبة فيه للتحريض ، فان الاسرار فيه غير ممكن.

فنقول : ان كان اظهار الصدقة يؤذى المتصدق عليه ، لكنه يرغب الثـانى فى الصـدقة (6 ، فالسر افضل لأن الايـذاء حـرام ، والـترغيب منـدوب إليه ، وتـرك الحـرام افضل من فعل المنـــدوب ، وإن لم يكن فيه ايـــذاء ففيه قولان :

---

(1) المخطوطة : فضل
(2) أيضا : اثنا
(3) أيضا : التحدى

قـــال قـــوم : السر افضل من فعل المنـــدوب ، لأن الاظهـار فيه خطر الريـاء والريـاء حـرام ، والاحـتراز عن الحرام المحتمل اولى من الترغيب فى المندوب إليه.

وقــال آخــرون : العلانية الموجبة للقــدرة افضل من السر.

واحتجوا بانه تعالى امر الأنبياء باظهار العمل للاقتـداء ولا يجـوز أن نظن بهم انهم حرمـوا افضل العمـل. ولقوله عليهالسـلام (7 : «من سن سـنة حسـنة فله اجرها واجر من عمل بها إلى يـــوم القيمـــة» ، وذلك لا يحصل إلا عند الاظهار.

والاولى ان يقال ان كـان فى الاظهـار احتمـال الريـاء اغلب كـان تـرك الاظهـار اولى ، وان كـان الاقتـداء من الخلق اغلب من الريـاء كـان الاظهـار اولى ، وان اسـتوى الاحتمـــالان فعنـــدى أن الاخفـــاء اولى من الرغبة فى تخصـــيص النفع الزائد ، وإذا غلب على ظنه ان احتمـــال الاقتـــــــداء به راجح ، فهاهنا الاولى به أن يظهر لكن فيه شرائط :

الاول يكفى فيه حصول ، فـان الاقتـداء فى الجملة ، ولا يشترط فيه اقتداء الكل به ، فـرب رجل (8 يقتـدى به أهله دون جيرانه ، ورب رجل آخر يقتـــدى به جيرانه دون السـوق ، وربما يقتـدى به العامة دون الاكـابر والعلمـاء وربما اقتدى به الكل.

الثانى اظهار الطاعات لغرض أن يقتدى به إنما يصح ممن هو فى محل القدرة بالنسبة إلى من يكون فى محل من يقتدى به ، أما من لا يكون كذلك فلا ، لأن غير العـالم (9 إذا أظهر بعض الطاعات ،

فربما نسب إلى الريـاء والنفـاق وذمـوه ، ولم يقتـدوا به ، فهاهنا لم يجز له الاظهار.

الثالث أن يراقب (10 قلبه ربما كان فيه حب الريـاء الخفى ، فيدعوه إلى الاظهار بعـذر الاقتـداء ، وهـذه مزلة قدم ، فان الضـعفاء يتشـبهون بالاقويـاء فى الاظهـار ، فلا يقوى قلوبهم على الإخلاص ، فيحبط أجورهم بالرياء.

وعلامة الفرق فى هذا الباب

(الورقة 294 ظ) انه إذا قيل له «اخف عملـــــك» (11 ، فإن مقصود الاقتداء حصل باظهار غيرك ، فـإن لم يجد فى قلبه تفاوتا فحينئذ ظهر ان الاظهـــار كـــان لرغبة الاقتداء ، فلما حصل هذا الغرض بطريق آخر اســتغنى هو عن الاظهــار ، وإن وجد تفاوتا فحينئذ نعــرف أن الــداعى إلى الإظهار هو الرياء.

القسم الثانى : أن يتحدث بما فعله بعد الفراغ (12 ، وحكمه حكم اظهار العمل نفسه ، إلا أن الخطر فى هذا أشد ، لأن مئونة النطق خفيفة على اللســـــــان ، فعند الحكاية قد يريد فيها شـــــيئا لغـــــرض يظن به النفس ، ويحصل هاهنا معنى الرياء الكذب ، إلا أن هـذا القـول من الأول من وجه آخر ، لأن هاهنا تمت العبــــادة منفكة عن الريـــاء ، والريـــاء إنما حصل بعد تمامها ، أما فى الأول فصارت داعية الرياء حال الاتيان بالفعل ، وهــذا المنع من حصول تلك الأعمال فى نفسها يوصف كونها عبادة.

(الفصل التاسع عشر)

بيان الرخصة فى كتمان الذنوب

(1 اعلم أن الإنســـان إذا اتى بشـــيء من المعاصى وجب عليه اخفاؤها ويــدل عليه قوله تعــالى : (**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ**) الآية (2 ، وقوله عليهالسلام : من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستر بستر الله (3.

إنما الحــرام (4 أن يقصد ســترها ايهــام النــاس كونه متورعا زاهــدا ، واعلم أنه لا يجــوز له أن يفــرح بســتر المعاصى لوجوه :

الأول أنه لما ستر الله (5 عليه ذلك الذنب فى الدنيا ستر الله عليه فى الآخرة.

الثــانى ان الــدلائل الــتى ذكرناها تــدل على ان الله ســبحانه يحب ســتر العيــوب ويكــره فضــيحة المعيــوب ، واحب [1] أن يتشـــبه بهـــذا الخلق بـــالحق ســـبحانه لقوله عليهالسلام : «تخلقوا باخلاق الله» (6.

الثالث ان الناس إذا اطلعوا على عيوبه لعنوه وذموه (7 واســتحقروه ، وذلك يــوجب تشــويش قلبه وهو يمنعه من الاشــغال بعبــادة الله فهو ســعى فى اخفــاء عيوبه لئلا يصبر عن طاعة الله.

الرابع : الإنسان يحذر من اطلاع الغير على عيبه لأنه ربما عابه به ، وإذا عابه بــذلك فــإن طبعه (8 يحمله على تبحث أحواله ، ويســـــــــتخرج بعض عيوبه وبعيبه به لأن المكافات فى الطبيعة واجبة ، فهو حذرا عن

---

(1) المخطوطة : واجب

هذا الضرر يسعى فى اخفاء عيوب نفسه.

الخـامس أن سـتر (9 المعصـية لئلا يقصد بضـرر أو نوع اخر من الآلام.

السادس ان ستر المعصية لمجرد الحياء (10 ، فإن عـدم المبـالاة بـذلك الـذنب نـوع من الوقاحة ، وهى خلق مـذموم ممن اذنب ومن لم يسـتحى فقد جمع بين الـذنب والوقاحة ، وهى خلق مذمومة لكن هاهنا دقيقة ، وهى أن الحياء شديد الاشتباه بالرياء.

والفرق ان الحياء حالة نفسانية يقتضي كرامية شعور الغير بنقصانه ، وأما الرياء فحـال يقتضي كراهية مع إرادة التلبيس على الغـير ومع إرادة أن يبقى ذلك الغـير معظما له منقادا إليه.

السابع أن يخاف (11 ظهور ذنبه ان يقتدى به غيره.

إذا عرفت هذا ، فنقول : المذنب إذا حاول اخفاء ذنبه لواحد من هـذه الاغـراض كـان مطيعا لله تعـالى فى ذلك الاخفاء مخلصا فى تلك الطاعة فى سـعيه فى اخفـاء تلك المعصـية ، أما إذا قصد (12 سـتر المعصـية ان يخيل إلى الناس كونه زاهدا أو ورعا فحينئذ يكون مرائيا لا محالة

(الفصل العشرون)

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء (1

من الناس من تـرك العمل لئلا يقع فى الـدنيا ، وذلك غلط بل نقول : الطاعات قسمان (2 :

منها ما ليس فيها من حيث هى لذة ، وهى الطاعــات البدنية كالصلاة والصوم والحج ،

(الورقة 295 و) ومنها ما يكــون لذيــذة فى نفســها وهى الطاعة الـــــــــتى لها تعلق به كالخلافة [1] والولاية والقضــاء والشــهادة ، وإمامة الصــلاة ، ومنصب التــذكير والتدريس وانفاق المال على الناس فى وجوه البر.

أما القسم الأول : فنقــول : خطر الريـــاء فيه من ثلاثة أوجه :

الأول : أن يكون الداعى له إلى العمل محض الريـاء ، ولا يكون معه باعث الدين ، فهذا ينبغى أن يترك (3 لأنه معصية لا طاعة.

الثانى أن يحصل الداعى الدينى الّذي فى أول العمل لكن يحصل منه أيضا داعى الرياء ، فهذا لا ينبغى أن يترك لأن الداعية الدينية قد حصـــلت ما يعقد الفعل على الوجه الحسن ولكن يجب عليه أن يجاهد نفسه فى دفع الريـــــاء وتحصيل الاخلاص (4.

الثـــــــالث أن ينعقد العمل على الداعية الدينية ، ثم يطرئ داعية الرياء فى اثنـاء العمل ، فهاهنا يجب عليه أن يجاهد فى الدفع ،

---

(1) المخطوطة : لخلافة

ولا يترك العمل البتة ، وذلك لأن الشيطان يدعوه أولا إلى تـرك العمل ، فـإذا لم يجب وشـرع فى العمل دعـاه إلى الريـاء ، فلما لم يجب ودفعه ، قـال له هـذا العمل ليس بخالص ، وانت مرائى وسعيك ضائع ، فـانى؟؟؟ فائـدة لك فى عمل لا اخلاص فيه ، حـتى يحمله بهـذا الطريق على ترك العمل ، فإذا تركه فقد حصل غـرض الشـيطان (5 ، ومن مكايـده (6 أيضا أن يحسن له تـرك العمل خوفا من أن يقـول النـاس أنه مـرائى ، فيعصـوا الله به وهـذا أيضا باطل لوجوه :

الأول أن ذلك اساءة الظن بالمسـلمين وما كـان من حقه ان يظن بهم هذا ،

الثـانى ان كـان كـذلك لكنه لا يضـره ويفوته ثـواب العمل بترك الطاعة خوفا من قولهم هو مـرائى ، هـذا هو عين الريـــاء ، فلو لا حبه لمـــدحهم وخوفه [1] من ذمهم ، فماله ولقولهم انت مرائى؟

الثالث لو ترك العمل (7 ليقصد أنه مخلص لا يشتهى الشـــهرة ، فالشــــيطان يلقى فى قلبه انك [2] رجل من اقوياء الزهاد ، حيث تركت الشهرة واثرت الانزواء ، وهـذا أيضا من المهلكات.

وبالجملة ما خلا القلب من نزعـات الشـيطان بالكلية فيتعذر [3] ، فلو وقفنا جواز الاشتغال بالعبادات على ذلك الخلو التـام ليعـذر الاشـتغال بشـيء من العبـادات ، وذلك يوجب البطالة وهى أقصى

---

(1) المخطوطة : وحبه (موضع «وخوفه»)

(2) أيضا : انكر

(3) أيضا : متعذر

غايات الشيطان ، بل الصواب انك ما دمت تجد باعثا دينيا على العمل فلا يـترك العمل ، فـإن ورد فى اثنائه خـاطر يوجب الريـاء فجاهد نفسك واحتل فى ازالة ذلك الخـاطر بقدر القوة.

واحتج الذين قـالوا يحب تـرك العمل عند الخـوف من داهية الريـــاء بما روى ان النخعى (8 دخل عليه انســـان فاطبق المصحف وترك القـراءة ، وقـال لا ينبغى أن يـرى هذا انى اقرأ كل ساعة ،

وقال ابراهيم الـتيمى إذا اعجبك الكلام فامسك ، وإذا اعجبك السكوت تكلم.

والجــواب (9 ، اما أمر النخعى فلعله علم ان ذلك الإنســان ســيقاربه فى الحالة ، وانه ســيعود إلى قــراءة القرآن في الحال من غير خطر الرياء.

وأما أن الــتيمى فلو اراد مباحــات الكلام فالفصــاحة والحكايـــات ، فـــإن الاغـــراق فى ذلك يـــورث العجب ، والسكوت المباح محـدود فهو عـدول من مبـاح إلى مبـاح حذرا من العجب.

القسم الثـــانى : فيما يتعلق بـــالخلق ويعظم فيه الآفـــات والاخطـــار ، واعظمها الخلافة ، فهى من أفضل العبـادات ، إذا كـانت مع العــدل (10 والانصــاف ، قــال عليهالسلام (11 : عدل (الورقة 295 ظ) خـير من عبـادة ستين سنة.

واعلم ان هذا وإن كانت بشــارة من وجه فهو تخويف (12 من وجه اخر ، لأنه لمفهومه يـدل على «أن يوما من سـلطان جـائر شر من فسق سـتين سـنة». والأمر كـذلك لأن حكم الخلافة والامارة غير لازم

بل متعـدى ، لا جـرم كـانت حالته فى العـدل وفى الفسق مساوية لاحوال الكل على سبيل الاجتماع.

وقال عليهالسـلام : ما من والى عشـرة الا جـاء يـوم القيمة مغلولة يـده إلى عنقه ، اطلقه عدله وآنفه جـوره (13.

وهاهنا مســـئلة وهى أن الرجل إذا ضـــرب نفسه ورآها صــابرة على الحق ممتنعة عن الشــهوات فى غــير زمان الولاية ، إلا أنه خاف عليها ان تتغـير ، إذا دامت لـذة الولاية ، وان يستحلى الجـاه (14 ، ويسـتلذ نفـاذ الأمر ، فيكــره العــزل ، فيــداهن خيفة من العــزل ، فقد اختلف الفقهاء فيه.

فقال بعضـهم يلزمه الهـرب من تقلد الامـارة ، وقـال آخرون هذا حرف أمر فى المسـتقبل فهو فى الحـال وجد نفسه قويا فى اظهار الحق والبعد عن الباطل.

قــال الغــزالى والصــحيح (15 ان عليه الاحــتراز لأن الإنسان إذا شرع فى الامارة تعسر عليه تحمل ألم العـزل ، فربما لا يتم امر الامارة إلا بالمداهنة والتزام[1] الباطل ، فيــدعوه خــوف العــزل إلى الشــروع فى الباطل والعمل الفاسد ، إذا عــرفت الكلام فى الخلافة والامــارة فــافهم مثله فى القضاء.

وأما الوعظ (16 والفتـوى والتـدريس ، وكل ما يتسع نســبة الجــاه ويعظم به القــدر ، فآفته عظيمة ، لأن لــذة الجاه والقبول متولية على الطباع ، وعند الاسـتيلاء يخـاف أن لا يبقى الإنسان على المنهج القديم

---
(1) المخطوطة : الزام

فى اظهار الحق وابطـال الباطل ، بل الظـاهر أنه يقع فى المداهنة ممن وجد فى نفسه داعية الريـــاء وحب الجـــاه وخاف على نفسه منهما وجب عليه الترك.

فإن قيل فهذا يقضى إلى التعطيل (17 وترك العلـوم وانـدراس الشـريعة ، قلنا : كما احتـاج النـاس إلى يسـير العلم والشـريعة ، فكـذلك احتـاجوا إلى من يقـوم بـامر الخلافة والامارة.

قلنا : قول يوجب الامتناع منها ، ونبذها [1] ، هنا ، بل السبب أن الداعية الطبيعية فى التزام [2] الخلافة والامارة واظهار العلم والشريعة قائمة وهى كافية فى حصـولهما ، فالنهى الّذي ذكرناه لا يوجب المحذور المذكور [3].

وهاهنا مسـئلة أخـرى : وهى ان الرجل إذا سـعى فى جمع المـــــال (18 الحلال لغـــــرض ان يفرقه على المستحقين فالاولى فعله أو تركه؟

قـال بعضـهم الاولى تركه ، لأن لـذة اسـتجلاب الحمد والثناء لـذة مسـتولية ، على النفس ففيها خطـرات تصـير مانعة من الاخلاص.

وقال آخرون فعله اولى لأنه طاعة مشتملة على مانع متعد به [4] فكـانت افضل ، وتمـام الكلام فيه مـذكور فى مسئلة التحلى.

---

(1) المخطوطة : ونبدا هاهنا بل السبب الخ ،
(2) أيضا : الزام
(3) أيضا : المركوز
(4) أيضا : متعديه

المســألة الثالثة فى العلامــات (19 الــتى تعــرف الواعظ أنه مخلص فى وعظه ، وانه لا يريد به رياء الناس وهى امور :

الاول : لو ظهر من هو احسن منه وعظا ، واغــزر [1] منه علما ، والنــاس له اشد قبــولا فــرح به ولم يحســده ، نعم لا بأس بالغبطة وهى ان يتمنى لنفسه مثل علمه.

الثانى ان الاكابر إذا حضــروا مجلسه لم يتغـير كلامه بل يبقى كما كـــان إذ لو حصل التغـــير فى كلامه دل ذلك على أنه يراعى القلــوب ويــداهن بكلامه ، وذلك يمنعه من الاخلاص.

الثـــالث : لو اتفق ان اخطأ فى شـــيء فـــرده عليه بعض الحاضـــرين وجب ان يقبل ذلك منه ويفــــرح به ولا يسوؤه بحال.

تم الكتاب

والحمد لله وحده كما هو أهله ومستحقه ، وصلى الله على محمد وآله.

وحسبنا الله ونعم المعين.

---

(1) المخطوطة : واغذر

ضميمه

مؤلفات الامام فخر الدين الرازى

فى علوم القرآن والحديث

1 ـ مفــاتيح الغيب : يقــال انه لم يكمله ، طبع فى ثمــانى مجلدات وعرف بالتفسير الكبير.
2 ـ كتاب تفسير الفاتحة ، ولعله جزء من التفسير الكبـير فى تفسير الفاتحة.
3 ـ كتاب تفسير سورة البقـرة على الوجه العقلى لا النقلى ، مجلد
4 ـ رسالة فى بعض الاسرار المودعة فى القرآن
5 ـ تفسير اسماء الله الحسنى
6 ـ تفسير سورة الاخلاص ، ذكره صاحب كشف الظنون
7 ـ درة التنزيل وغرة التأويل فى الآيات المتشابهات ،
8 ـ البرهان فى قراءة القرآن ،
9 ـ نقد التنزيل
10 ـ المسك العبيق فى قصة يوسف الصديق
11 ـ سداسيات فى الحديث

فى الفقه وأصول الفقه

1 ـ المحصول فى علم اصول الفقه ،
2 ـ المعالم فى اصول الفقه ،
3 ـ شرح الوجيز فى الفقه للغزالى ـ (فى طبقات الاطباء انه «لم يتم ، كمل منه العبادات والنكاح فى ثلاث مجلدات»
4 ـ فى ابطال القياس
5 ـ احكام الأحكام ، (لم يذكر فى كشف الظنون)
6 ـ منتخب المحصول ،

فى علم الكلام

1 ـ المطالب العالية ، فى ثلاث مجلدات ، ولم يتمه ،

2 ـ كتـاب نهاية العقـول فى دراية الأصـول ، فى مجلـدين ، (ذكره ابن خلكان فى باب علم الكلام ، أما صاحب كشف الظنون فقال : انه فى أصول الفقه. وذكر الرازى نفسه فى رسـالته هـذه انه فى علم الكلام)

3 ـ كتـاب الاربعين فى اصـول الـدين ، طبع بحيـدرآباد ، فى الهند

4 ـ كتـاب الخمسـين فى اصـول الـدين ، هـذه الرسـالة قد طبعت فى مجموعة الرسـائل الـتى نشـرها الشـيخ محى الـدين صـبرى ، بمصر سـنة 1328 ه ، وهى الرسـالة الخامسة عشر من المجموعة واسمها «المسائل الخمسون فى اصول الكلام ،»

5 ـ المحصل ، مجلد ، (كشف الظنون : المحصل فى اصــول الفقه)

6 ـ كتاب البيان والبرهان فى الـرد على اهل الزيغ والطغيـان ،

7 ـ كتاب المباحث العمادية فى المطالب المعادية ،

8 ـ كتاب تهذيب الدلائل وعيون المسائل

9 ـ كتاب ارشاد النظار الى لطائف الاسرار ،

10 ـ كتاب أجوبة المسائل النجارية ،

11 ـ كتاب تحصيل الحق فى الكلام

12 ـ أسرار التنزيل وانوار التأويل ، مجلد مشتمل على أربعة اقسام :

الاول فى الأصول ، الثانى فى الفروع ، الثـالث فى الاخلاق ، الرابع فى المناجات والدعوات ، لكنه تـوفى قبل اتمامه فبقى فى اواخر القسم الاول ـ وهو تفسير القرآن الصغير عند القفطى ،

13 ـ كتاب الزبدة ،

14 ـ المعالم فى اصول الدين ، لعله فى اصول الفقه

15 ـ كتاب القضاء والقدر ،

16 ـ رسالة الحدوث ،

17 ـ عصمة الأنبياء ، طبع

18 ـ الملل والنحل ، لم يـذكره حـاجى خليفه ولا ابن خلكـان ولا السـبكى ـ ولعله كتـاب «اعتقـادات فـرق المسـلمين والمشركين» الّـذي حققه على سـامى النشـار وقد نشـرته مكتبة النهضة المصرية ، بالقاهرة فى سنة 1356 / 1938 م

19 ـ رسالة فى النبوات ،
20 ـ شفاء العى من الحلاف ، ذكر صاحب هدية العارفين «شفاء العى والخلاف»
21 ـ كتاب تنبيه الاشارة فى الأصول ،
22 ـ كتاب الطريقة فى الجدل
23 ـ الاختبارات العلائية فى التاثيرات السماوية ، وذكر صاحب هدية العارفين ، الاختيارات السماوية
24 ـ سراج القلوب ،
25 ـ رسالة فى السؤال ،
26 ـ كتاب منتخب تنكلوشاء وفى طبقات الاطباء : منتخب كتاب دنكاوشا (دنكلوشا؟)
27 ـ شرح إثبات الواجب ،
28 ـ الصحائف الالهية ،
29 ـ كتاب الخلق والبعث
30 ـ الطريقة العلائية فى الخلاف ، فى اربع مجلدات ،
31 ـ كتاب الرسالة المجدية ، لم يذكره صاحب كشف الظنون ، وعند صاحب هدية العارفين : رسالة المحمدية.
32 ـ الرسالة الصاحبية ، لم تذكر فى كشف الظنون
33 ـ كتاب اللطائف الغياثية ، فارسى مرتب على أربعة اقسام ـ الاول فى اصول الدين ، الثانى فى الفقه ، الثالث فى الاخلاق ، الرابع فى الدعاء
34 ـ كتاب تأسيس التقديس ، وقد طبع باسم اساس التقديس فى علم الكلام بمطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر سنة 1354 / 1935 م ،
35 ـ كتاب المعلم ، وهو اخر مصنفاته من الكتب الصغار ، لم يذكر فى كشف الظنون ،
36 ـ كتاب عمدة النظار وزينة الافكار ، لم يذكر فى كشف الظنون ،
37 ـ الآيات البينات ،
38 ـ لوامع البينات فى شرح اسماء الله تعالى والصفات ، طبعت
39 ـ كتاب جواب الفيلانى
40 ـ الرياض المونقة ، لم يذكره حاجى خليفة؟ ولا ابن خلكان ولا صاحب شذرات الذهب ، وذكره ابن ابى أصيبعة ، وورد فى اخبار الحكماء هكذا : «الرياض المونقة فى الملل والنحل»

فى الحكمة والعلوم الفلسفية

1 ـ كتاب الملخص فى الفلسفة ،
2 ـ كتاب الانارات فى شرح الاشارات
3 ـ المحاكمات ،
4 ـ لباب الاشارات ، طبع
5 ـ شرح عيون الحكمة ،
6 ـ كتاب تعجيز الفلاسفة ، وفى اخبار الحكمـاء كتـاب تهجين تعجيز الفلاسفة بالفارسية ،
7 ـ كتاب البراهين النهائية بالفارسية ،
8 ـ كتاب الخلق والبعث ،
9 ـ مباحث الوجود
10 ـ مباحث الجدل ،
11 ـ كتاب المباحث المشرقية ، طبع فى مجلدين بحيدرآباد ، بالهند ،
12 ـ الرسـالة الكمالية فى الحقـائق الالهية ، بالفارسـية ، نقلها تـاج الـدين محمد بن الارمـوى الى العـربى فى سـنة (625) خمس وعشـرين وسـتمائة بدمشق ، حققها سـيد محمد بـاقر سبزوارى ، ونشرتها جامعة تهران سنة 1335 ه.
13 ـ المنطق الكبير
14 ـ الملخص فى الحكمة والمنطق ،
15 ـ شرح المنطق الملخص ،
16 ـ رسالة وحدة الوجود ،
17 ـ كتاب الاخلاق ، اظنه نص كتـاب النفس والـروح وشـرح قواهما ، تحقيق «محمد صغير حسن المعصومى»
18 ـ طريقة فى الخلاف ، ذكر صـاحب هدية العـارفين باسم «اخلاق فخر الـدين» انظر رقم 30 تحت «علم الكلام» الطريقة العلائية فى الخلاف ،
19 ـ المحصول فى المنطق
20 ـ مباحث الحدود ،
21 ـ محصل افكـار المتقـدمين والمتـأخرين من الحكمـاء والمتكلمين ، طبع
22 ـ رسالة فى النفس ،

23 ـ رسالة الجوهر الفرد ، صاحب هدية العارفين : رسالة الجواهر ،
24 ـ الرعاية ، لم يذكر فى كشف الظنون ، صاحب هدية العارفين : باسم كتاب الرعاية ،
25 ـ كتاب فى ذم الدنيا
26 ـ المرسوم فى السر المكتوم
27 ـ كتاب النفس والروح ـ واظنه كتاب الاخلاق ،
28 ـ شرح الاشارات والتنبيهات لابن سينا ،

فى العلوم والآداب العربية

1 ـ شرح المفصل فى النحو للزمخشرى ،
2 ـ مؤاخذات جيدة على النجاة ،
3 ـ نهاية الايجاز فى نقاية الاعجاز ، فى علم البيان ، طبع وذكر صاحب هدية العارفين «دراية الاعجاز»
4 ـ مختصر فى الاعجاز ،
5 ـ شرح سقط الزند
6 ـ شرح نهج البلاغة ، لم يتم
7 ـ كتاب السر المكتوم فى مخاطبة الشمس والنجوم على طريقة من يعتقدهم وقد انكر السبكى صاحب الطبقات الشافعية ان يكون من مؤلفاته ، طبع
8 ـ شرح ديوان المتنبى (الوافى لصلاح الدين ، جلد 4 ، ص 255)
9 ـ شرح ابيات الشافعى الاربعة التى اولها : وما شئت كان وان لم اشأ ، اظنه كتاب القضاء والقدر ، الوافى : جلد 4 ، ص 255)
10 ـ الاحكام العلائية فى الاعلام السماوية
11 ـ التخيير فى علم التعبير
12 ـ جامع العلوم فارسى ، طبع
13 ـ جمل فى الكلام
14 ـ حدائق الانوار فى حقايق الاسرار.

فى الطب

1 ـ شرح الكليات للقانون ، لم يذكر فى كشف الظنون ، وفى طبقات الاطباء «لم يتم»

2 ـ الجامع الكبير ، لم يتم ، ويعرف بالطب الكبير ،
3 ـ كتاب النبض
4 ـ كتاب الأشربة
5 ـ مسائل فى الطب ،
6 ـ نفثة المصدور ، لم يذكر فى كشف الظنون ، هدية العارفين : نفثة الصدور
7 ـ كتاب التشريح من الفم الى الحلق ، لم يتم ،

فى الطلسمات والعلوم الهندسية

1 ـ السر المكنون ،
2 ـ كتاب فى الرمل
3 ـ مصادرات اقليدس
4 ـ كتاب فى الهندسة ،
5 ـ كتاب الفراسة ، حققه يوسف مراد نقله الى الفرنساوية ، طبع بباريس سنه 1939 م.

فى التاريخ

1 ـ كتاب فضائل الصحابة ، لم يذكره صاحب كشف الظنون ، وذكر صاحب هدية العارفين باسم «فضائل الاصحاب»
2 ـ كتاب مناقب الشافعى ، نشرته المكتبة العلامية بجوار الازهر بمصر ،
3 ـ بحر الانساب.

فهرس الآيات القرآنية

(**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا ،**) ـ (المـؤمن (40) ـ 46)
(**أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً ،**) ـ (نوح ـ 25)
(**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ**) ـ (الانعام (6) ـ 93)
(**يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً**) ـ (ـ الفجر ـ 27)
(**إِذا جـاءَ أَحَـدَكُمُ الْمَـوْتُ تَوَفَّتْـهُ رُسُـلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ**) ـ (الانعام ـ 61)
(**ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِ**) ـ (الانعام ـ 62)
(**وَلَقَـدْ خَلَقْنَا الْإِنْسـانَ مِنْ سُـلالَةٍ مِنْ طِينٍ**) ـــ (المؤمنون (63) ـ 12)
(**ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ**) ـ (المؤمنـون ــ 13)
(**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَـةَ مُضْـغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْـغَةَ عِظامـاً فَكَسَـوْنَا الْعِظـامَ لَحْمـاً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ**) ـ (المؤمنون ـ 14)
(**خَلَقْنَا الْإِنْسانَ**) ـ الدهر ـ 2 ، الحجر (15)
(**وَلَقَدْ خَلَقْنَا**) الخ (ـ 26)
(**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**) ـ (الاسراء (17) ـ 85)
(**فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ،**) ـ (الحجر (15) : 29 ، ص (38) ـ 72)
(**وَنَفْسٍ وَما سَـوَّاها ، فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها ،**) ـ (الشمس (91) ـ 7)
(**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسـانَ مِنْ نُطْفَـةٍ أَمْشـاجٍ نَبْتَلِيـهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً ـ**) ـ (الدهر ـ 2)
(**وَلا تَكُونُـوا كَالَّذِينَ نَسُـوا اللـهَ فَأَنْسـاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**) ـ (الحشر (59) ـ 19)
(**عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها**) ـ (البقرة ـ 31)
(**قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِـكَ ،**) ـ (البقرة ـ 97)
(**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيـلُ رَبِّ الْعـالَمِينَ ، نَـزَلَ بِـهِ الـرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ**) ـ (الشعراء ـ 193)
(**إِنَّ فِي ذلِكَ لَـذِكْرى لِمَنْ كـانَ لَـهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَـهِيدٌ**) ــ (الزمر (39) ــ 21 ، ق (50) ــ 37)

(**أَفَلَمْ يَسِـــيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُــونَ لَهُمْ قُلُــوبٌ يَعْقِلُونَ بِها أَوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها**) ـ (الحج (22) ـ 46)
(**لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِـاللَّغْوِ فِي أَيْمـانِكُمْ**) ــ (البقـرة 225 ، مائدة 92)
(**لَنْ يَنــالَ اللــهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُــهُ التَّقْوى**) ـ (الحج ـ 37)
(**وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ**) ـ (العاديات (100) ـ 10)
(**لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها**) ـ (الاعراف 78)
(**لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ**) ـ (ق ـ 37)
(**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، خَتَمَ اللـهُ عَلى قُلُـوبِهِمْ**) ــ (البقرة ـ 17)
(**وَقالُوا قُلُوبُنا غُلْفٌ بَـلْ لَعَنَهُمُ اللـهُ بِكُفْـرِهِمْ**) ــ (البقرة 88 ـ النساء 15)
(**يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُــورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ**) ـ (التوبة ـ 65)
(**كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ**) ـ (المطففين ـ 4)
(**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُـوبٍ أَقْفالُها**) ــ (محمد ـ 24)
(**فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصـــارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُـــوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**) ـ (الحج ـ 46)
(**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كـانَ عَنْـهُ مَسْؤُلاً**) ـ (الاسراء ـ 36)
(**يَعْلَمُ خائِنَـــةَ الْأَعْيُنِ ، وَما تُخْفِي الصُّـــدُورُ**) ـــ (مؤمن ـ 19)
(**وَجَعَـلَ لَكُمُ السَّـمْعَ وَالْأَبْصـارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ**) ـ (النحل ـ (16) ـ 87) ـ (المؤمنون ــ 79) ــ (السجدة ـ 9) ـ (الملك ـ 23)
(**وَلَقَـدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيـهِ وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً**) ـ (الاحقاف (46) ـ 26)
(**فَما أَغْـــنى عَنْهُمْ سَـــمْعُهُمْ وَلا أَبْصـــارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ**) ـ (الاحقاف ـ 26)
(**لَهُمْ قُلُـــوبٌ لا يَفْقَهُـــونَ بِها ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها**) ـ (الاعراف (7) ـ 178)
(**قـالُوا آمَنَّا بِـأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُـؤْمِنْ قُلُـوبُهُمْ**) ــ (المائدة ـ 44)

وقال : (**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ ،**) ــ (النحل (16) ـ 106)
(**وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ**) ــ (الحجرات (49) ـ 14)
وقال (**كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمانَ**) ـ (المجادلة (58) ـ 22)
(**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ**) ـ (الفرقان ــ 43) ــ (الجاثية ـ 22)
(**..... كَمَثَلِ الْكَلْبِ**) ـ (الاعراف (5) ـ 12)
(**وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى ،**) ـ (النازعات ـ 40)
(**فَضَّلَ اللهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً**) ـ (النساء ـ 94)
(**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها ، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**) ـ (الروم ـ 30)
آيات الذم نحو قوله تعالى : (**لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ**) ـ (المنافقون ـ 9)
(**أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ**) ـ (الانفال (8) ـ 28)
(**أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ**) ـ (التكاثر)
(**ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ،**) ــ (الاحزاب (23) ـ 4)
كما قال : (**ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ ،**) ــ (النحل (16) ـ 96)
(**وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَراءُ ،**) ـ (محمد ـ 38)
(**وَأَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ، فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها ،**) ـ (المنافقون ـ 10 ـ 11)
(**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ**) ـ (الإسراء ـ 29)
وقال : (**وَالَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً ،**) ـ (الفرقان (25) ـ 67)

(**رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا**) ـ (التحريم (66) ـ 8)
(**... وَاجْعَـلْ لِي لِسـانَ صِـدْقٍ فِي الْآخِـرِينَ ،**) ــ (الشعراء (26) ـ 84)
قــال يوسف عليهالســلام : (**اجْعَلْنِي عَلى خَــزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**) ـ (يوسف ـ 55)
(**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمـالاً ، الَّذِينَ ضَـلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا**) ـ (الكهف (18) ـ 104)
(**قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُـوا ،**) ــ (يونس (10) ـ 58)
قال تعالى : (**ما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ،**) ـ (ابراهيم (14) ـ 22)
(**وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُـولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى ، أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**) ـ (الحج ـ 51)
(**إِنَّ هـذا عَـدُوٌّ لَـكَ وَلِزَوْجِـكَ ، فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقى ،**) ـ (طه ـ 117)
وقال موسى عليهالسلام : (**مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ ،**) ـ (المائدة ـ 93)
وقال يوسف : (**نَزَغَ الشَّـيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْـوَتِي ،**) ـ (يوسف ـ 100)
وقــال تعــالى : (**يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّـيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**) ـ (الاعراف ـ 26)
(**وَلْيَأْخُـذُوا حِـذْرَهُمْ ، وَأَسْـلِحَتَهُمْ ،**) ــ (النسـاء ــ 101)
وقال : (**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ قُـوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ ،**) ـ (الانفال ـ 61)
كما قال : (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّـهُمْ طـائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا ،**) ـ (الاعراف ـ 200)
(**إِنْ تُبْـــدُوا الصَّــدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ، وَإِنْ تُخْفُوها وَتُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ،**) ـ (البقرة ـ 271)
(**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَـةُ**) ــ (النـور ــ 19)

فهرس اقوال النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم

الأعلام

فهرس المحتويات

كتاب النفس والروح وشرح قواهما
(فى علم الأخلاق)
القسم الاول

القسم الثانى من الكتاب